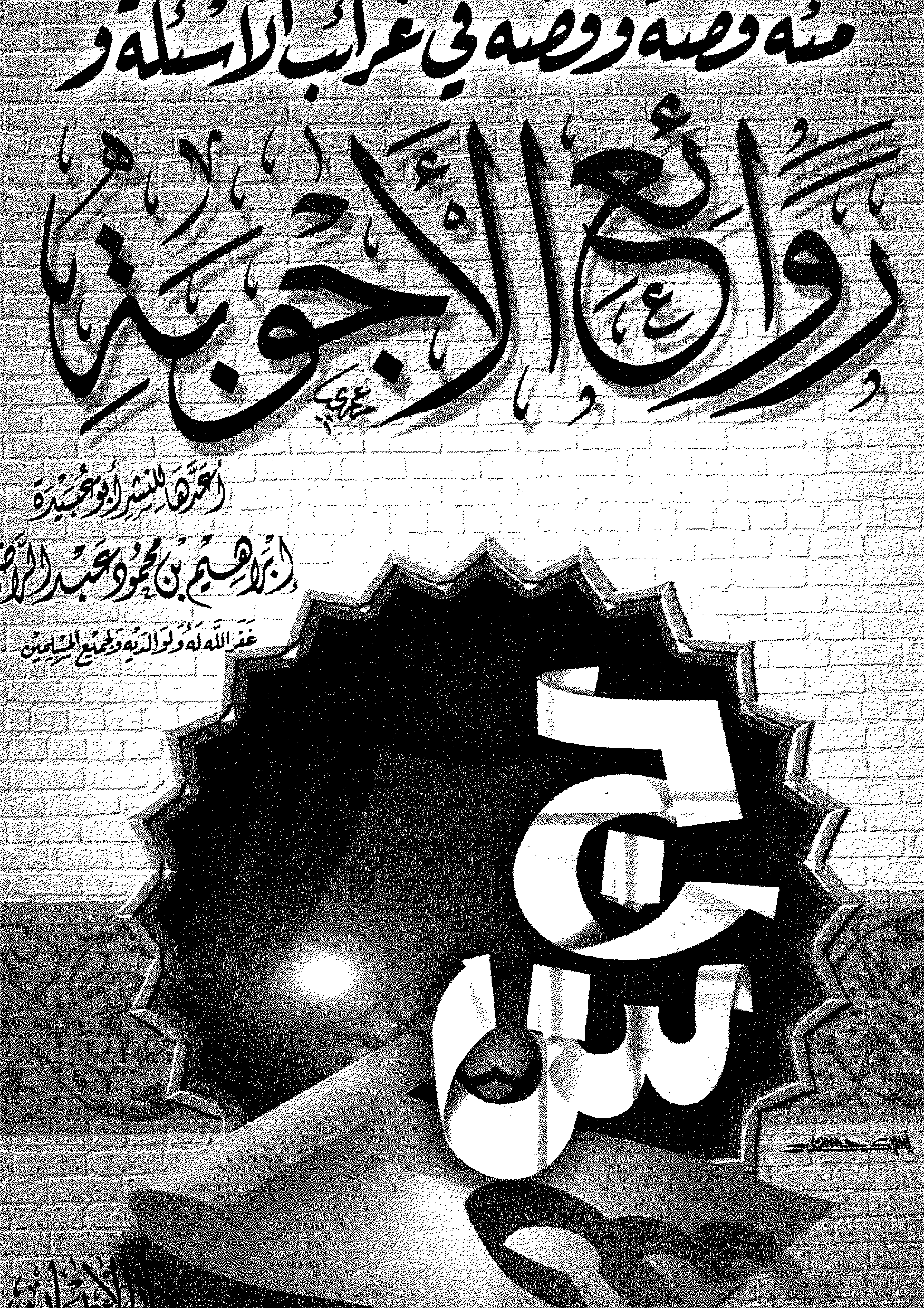
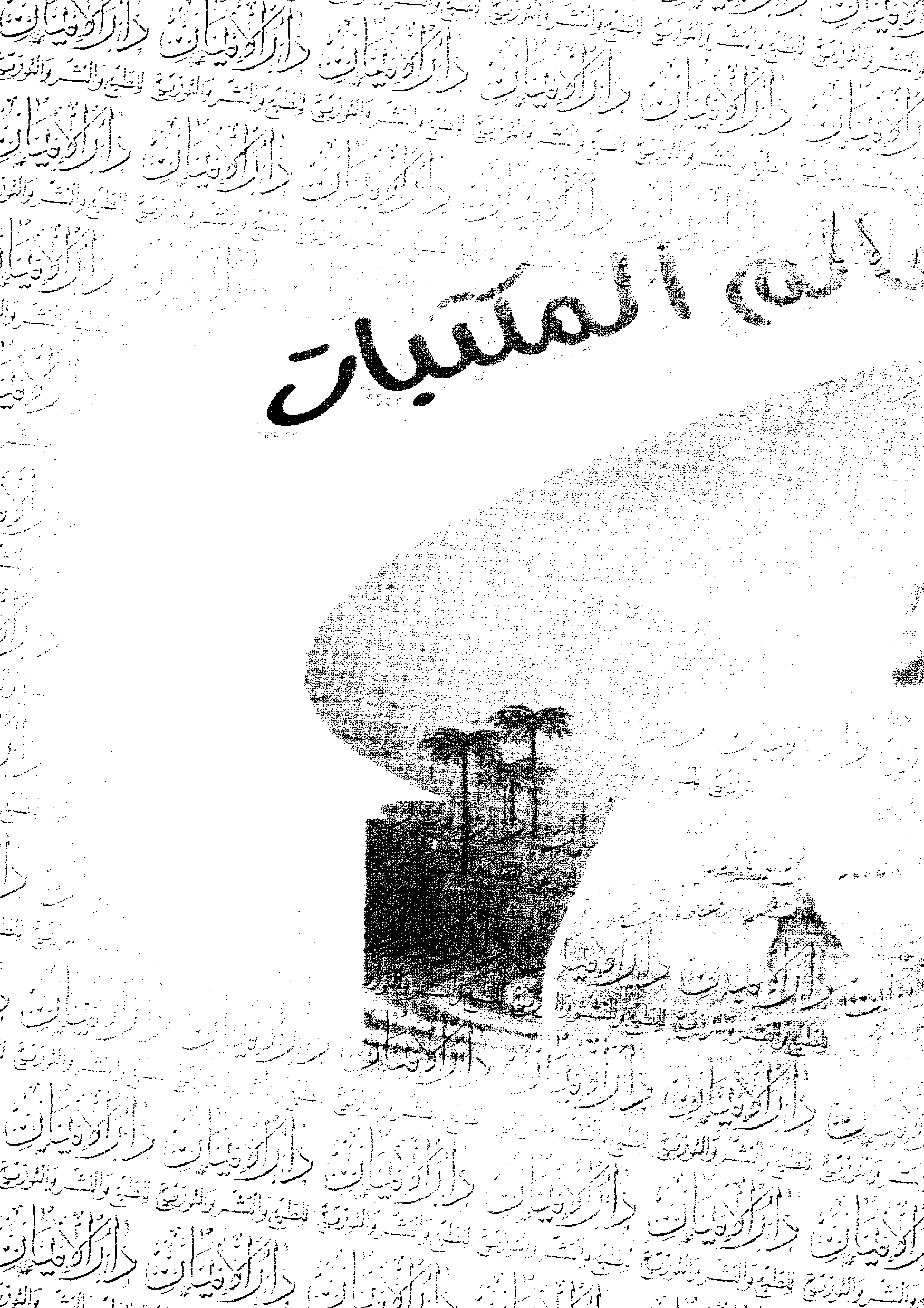


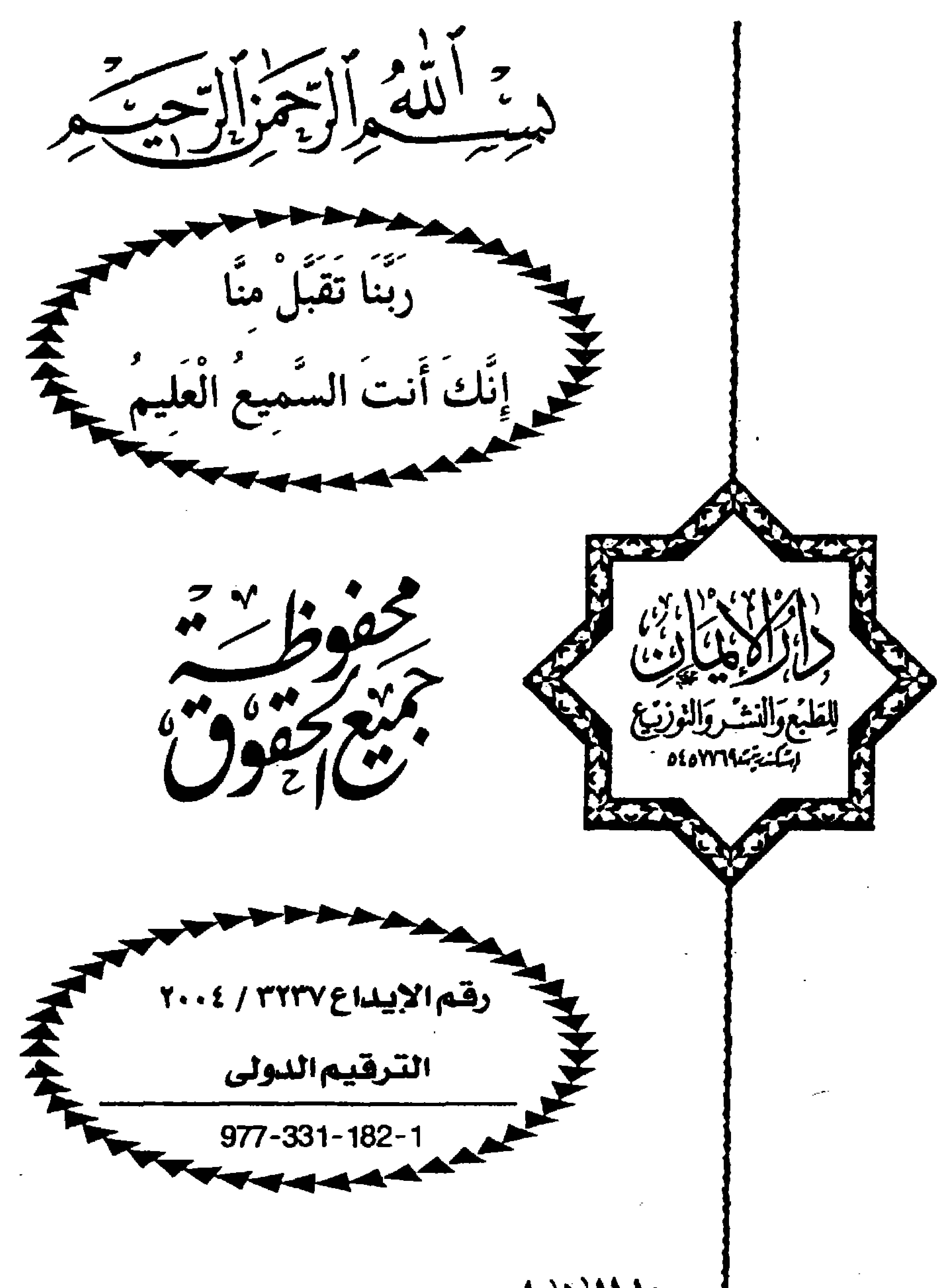
مئة قصة وقصة في غرائب الأسئلة و
روائع الأجوبة
أعدها للنشر أبو عبيدة
إبراهيم بن محمود عبد الرا
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين


شمس تشرق
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع


المكتبات
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

مئة قصة وقصة في غرائب الأسئلة و

روائع الأجوبة



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ٣٢٣٧ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي

977-331-182-1

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مئة قصة وقصة في غرائب الأسئلة و

روائع الأجوبة

أعدها

أبو عبيدة

إبراهيم بن محمود عبد الراضي







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أحلنا محلة الفهم وحلانا حلية العلم، وملكنا عقال العقل، وزيننا بنطق المنطق، ونعوذ به من كدر صفاء الفكر، وعكر ذهن الذهن، وصلى الله على المبعوث بجوامع الكلم إلى أعقل الأمم، وعلى جميع أتباعه والسائرين في منهاج أتباعه وسلم تسليمًا كثيرا.

وبعد... فإن الذكاء الحاد وسرعة البديهة موهبة عالية يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده، وسرعة البديهة تجتمع في تكوينها أمور منها:

أولاً - توفيق الله تعالى.

ثانيًا - موهبة ذاتية يهبها الله جلَّ وعلا للإنسان.

ثالثًا - اهتمام دائب وتفكير متواصل بالقضايا التي يتوجه الإنسان إليها، ولاشك أن سن أعمل فكره في أمر من الأمور سيصل إلى نتائج لا يصل إليها خالي الذهن من ذلك الأمر.

ولما كن العقلاء يتفاوتون في موهبة العقل، ويتباينون في تحصيل ما تيقنوه من التجارب والعلم أحببت أن أجمع كتابًا في أخبار الذين قويت فطنتهم، وتوقد ذكاؤهم لقوة جوهرية عقولهم، وفي ذلك ثلاثة أغراض:

أحدها - معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.

والثاني ـ تلقيح لباب السامعين إذا كان فيهم نوع استعداد لنيل تلك المرتبة، وقد ثبت أن رؤية العاقل ومخالطته تفيد ذا اللب، فسماع أخبار تقوم مقام رؤيته كما قال الرضي:

فاتني أن أرى الديار بطرفي ۞ فلعلي أعي الديار بسمعي

وقال يحيى بن أكثم: «سمعت المأمون يقول لإبراهيم: لا شيء أطيب من النظر في عقول الرجال».

والثالث ـ تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسر عليه لحاقه.

هذا والله الموفق.

وكتبه

أبو عبيدة إبراهيم بن محمود عبد الراضي

ـ عفا الله عنه ـ

١ - لا يلدن من غير أزواجهن(*)

كان العلامة أحمد وفيق باشا العثماني سريع الخاطر، حاضر الجواب، سأله بعض عُشَرائه من رجال السياسة في أوربة، في مجلس بإحدى تلك العواصم قائلاً: لماذا تبقى نساء الشرق محتجبات في بيوتهن مدى حياتهن، من غير أن يخالطن الرجال ويغشين مجامعهن؟!

فأجابه في الحال قائلاً: لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن.

وكان هذا الجواب كصب ماء بارد على رأس هذا السائل، فسكت على مضض كأنه أُلقم الحجر.

(*) «الفتن» البيانوني (ص: ٢١٤).

٢ - عقل الأستاذ غير موجود(*)

ذُكِرَ أن معلمًا، وقف يقول لطلابه في الصف السادس الابتدائي: أتروني؟

قالوا: نعم.

قال: إذًا أنا موجود.

ثم قال: أترون اللوح؟

قالوا: نعم.

قال: فاللوح إذًا موجود.

ثم قال: أترون الطاولة؟

قالوا: نعم.

قال: فالطاولة إذًا موجودة.

ثم قال: أترون الله؟

قالوا: لا، قال: فالله غير موجود.

فوقف أحد الطلاب الأذكياء، وقال: أترون عقل الأستاذ؟

قالوا: لا، قال: فعقل الأستاذ إذًا غير موجود!

(*) «المنهاج الأسنى» (١/ ٨)

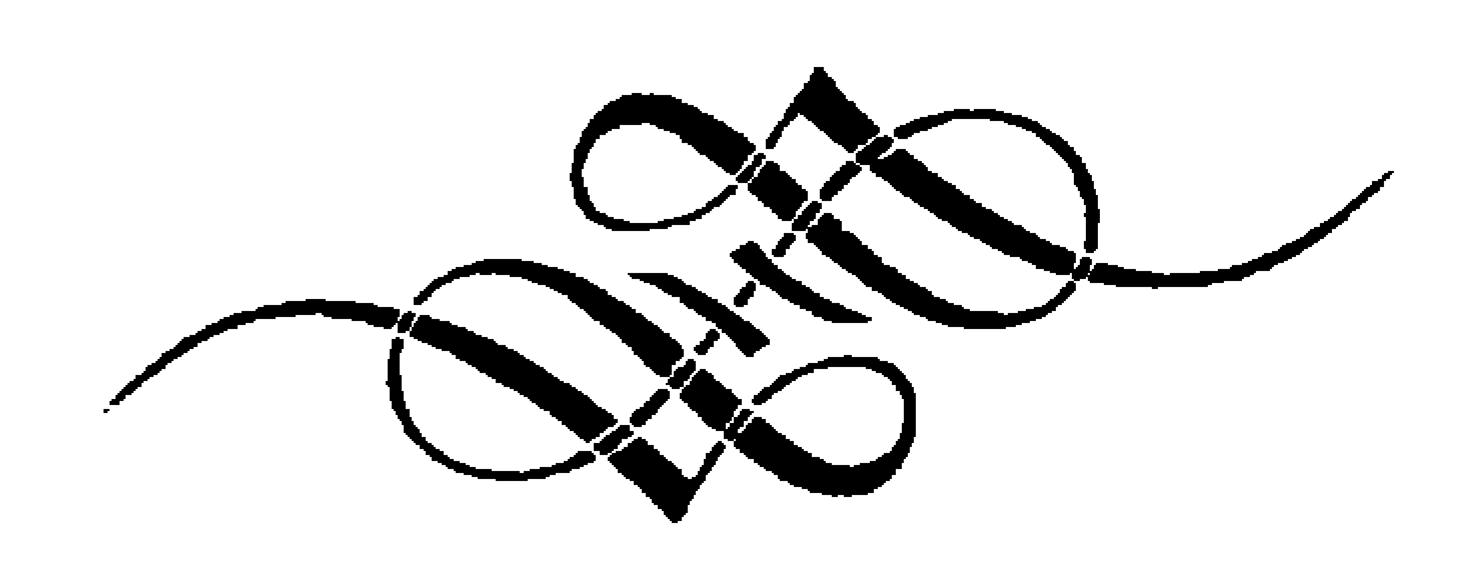
٣ - يا رسول الله، ائذن لي بالزنى(*)

عن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي رضي الله عنه قال: إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه - أي اسكت - فقال: «ادنه» فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «افتحبه لابنتك؟»، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «افتحبه لأختك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «افتحبه لعمتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «افتحبه لخالتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

وهكذا أقنع النبي ﷺ ذلك الفتى بالعدول عن رغبته الجامحة وذلك بنقله من الأنانية والقصور على التفكير بالذات إلى التفكير في مصلحة أفراد المجتمع الآخرين، لقد كان - وهو يبدي رغبته في الزنى - يحمل فكرًا عدوانيًا، فهو لا

(*) صحيح: رواه أحمد (٥/٢٥٦/٢٥٧)، والطبراني (٧٦٧٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٧٠)، «تاريخ الحميدي» (١٠/٢٥٥).

يريد الضرر لأهل بيته ولكنه يطلب الإذن في أن يكون مصدر أذى للآخرين، ولقد كان ـ وهو يبدي تلك الرغبة ـ لا يتصور أنه سيهتك أعراض الناس، ولم تتبلور في مخيلته فكرة المقارنة بين أهله وأهالي الناس الذين سيعتدي على أعراضهم، فلما أن ساءله النبي ﷺ وعقد له مقارنة بين نساء أسرته ونساء الآخرين تبين له أنه مقدم على جريمة كبيرة وتخريب لبيوت الناس، وإن أي إنسان عاقل لو تصور أن تلك الضحية التي ستكون هدفًا للمعتدين إنما هي إحدى محارمه فإنه ستقشعر نفسه من الزنى وستنقطع عنه وساوس الشيطان وإن هذه المحاورة لتبين لنا ما جبل عليه رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق، حيث لم ينتهر ذلك الشاب الذي تقدم بذلك الطلب الشاذ، وإنما أخذه بالحوار الهادىء حتى استل من نفسه سيطرة الشهوات ونزغات الشيطان، كما تبين لنا من هذه المحاورة مقدرة النبي ﷺ الفائقة على الإقناع وتغيير الاتجاهات الفكرية.



٤ ـ ما دعوناك إلا لذلك[*]

قال المهتدي: قدم شيخًا من أذنة[١] فأدخل مقيدًا، وهو جميل حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له، فمازال يدنيه حتى قُرب منه وجلس، فقال له: ناظر ابن أبي دؤاد، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه يضعف عن المناظرة، فغضب وقال: أبو عبد الله يضعف عن مناظرتك أنت!، قال: هوِّن عليك وأذن لي في مناظرته، فقال: ما دعوناك إلا لذلك، فقال: احفظ عليَّ وعليه، فقال: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ما قلتي؟

قال: نعم.

قال: أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله، هل ستر شيئًا مما أُمر به؟

قال: لا.

قال: فدعا إلى مقالتك هذه؟

فسكت.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين واحدة، فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: أخبرني عن الله تعالى حين قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (سورة المائدة:٣).

(*) «النجوم الزاهرة» (٢/ ٣٢٤).

(١) أذنة: بلد من الثغور قرب المصيصة.

أكان الله هو الصادق في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه حتى تقال مقالتك؟ فسكت.

فقال الشيخ: ثنتان

قال الواثق: نعم.

فقال: أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله ﷺ أم جهلها؟

قال: علمها، قال: فدعا الناس إليها؟ فسكت.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين ثلاث.

قال: نعم.

قال: فاتسع لرسول الله ﷺ إن علمها أن يمسك عنها ولم يطلب أمته بها؟ قال: نعم.

قال: واتسع لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ذلك؟

قال: نعم.

فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق وقال: يا أمير المؤمنين، فقال الشيخ: قد قدمت القول أن أحمد يصبو[١] ويضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة كما زعم أنه اتسع للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فلا وسع الله عليك.

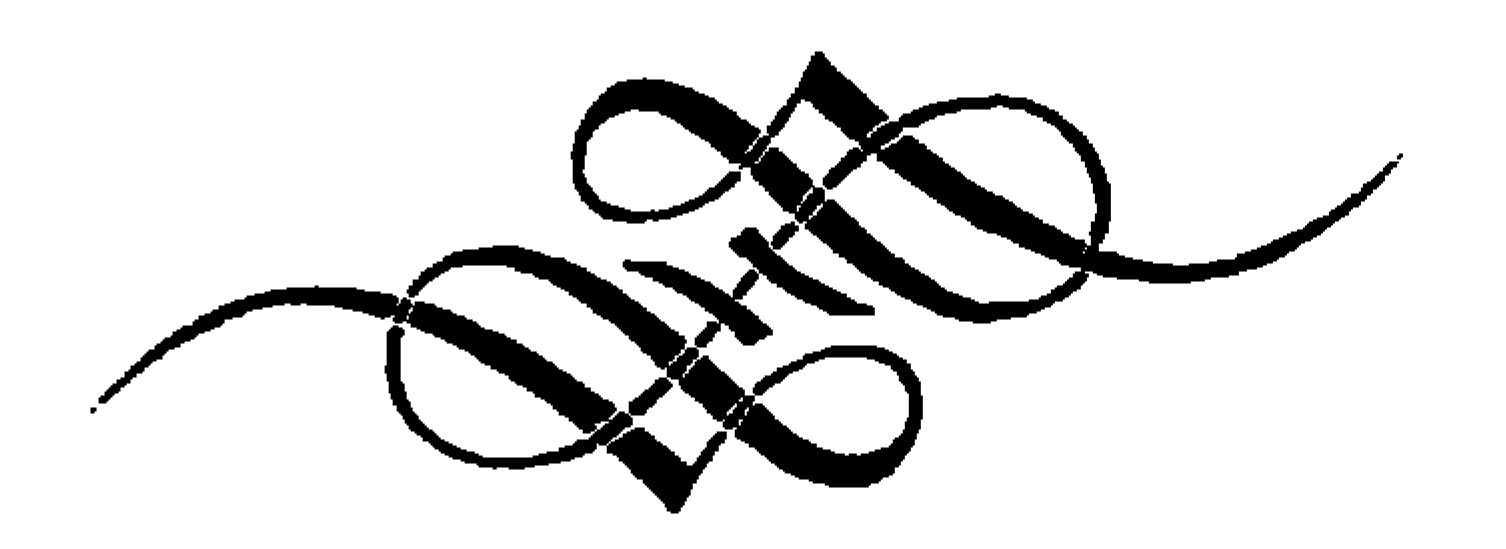
قال الواثق: نعم كذا هو، قطّعوا قيد الشيخ، فلما قطعوه ضرب الشيخ بيده إلى القيد فأخذه.

---

(١) أي يميل إلى الجهل.

فقال الواثق: لم أخذته؟

قال: إني نويت أن أقدم إلى من أُوصِي إليــه إذا أنا مت أن يجعله بيني وبين كـفني حتى أخـاصم به هذا الظالم عند الله يوم القـيامـة، فأقـول: يا رب، لم قيدني وروَّعَ أهلي، ثم بكى، فبكى الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وأمر له بصلة، فقال: لا حاجة لي بها.



٥ ـ مكانك الأرض ومكاني المنبر (*)

ومما يحكى: أن ملكًا من ملوك النصارى أرسل راهبًا من علماء ملته لمناظرة علماء المسلمين وكان أبو حنيفة إذ ذاك صغيراً، فلما جاء الراهب إلى علماء المسلمين واجتمع في المسجد الجامع وفي المنبر ليسألهم عن مسائل، فقام أبو حنيفة من بين العلماء وقال للراهب: أسائل أنت أم مسئول؟ فقال: سائل، فقال: انزل مكانك الأرض ومكاني المنبر فصعد أبو حنيفة المنبر، وقال: سل ما شئت.

قال الراهب: ماذا قبل الله؟

قال أبو حنيفة: هل تحسن العدد؟ قال: نعم، قال: ماذا قبل الواحد؟ قال: لا شيء قبله، قال أبو حنيفة: إذا كان الواحد الفاني لا شيء قبله، فالله سبحانه وتعالى لا شيء قبله.

ثم قال: في أي جهة يكون وجه الله؟

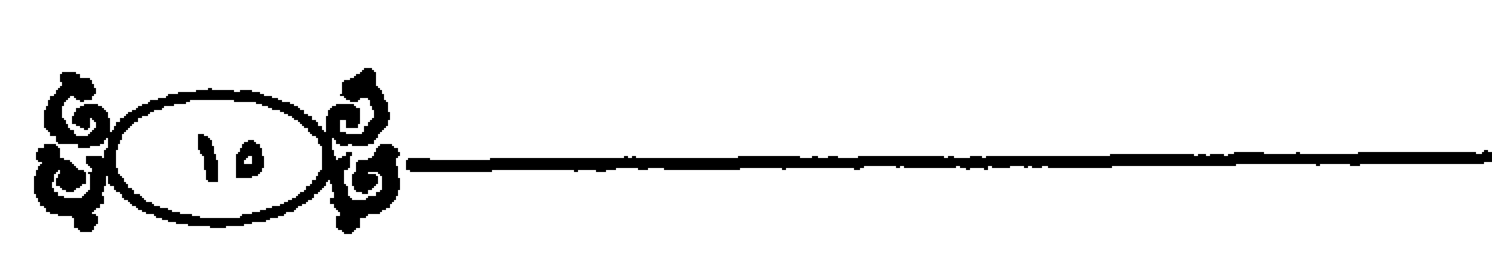
قال: إذا أوقدت السراج ففي أي جهة يكون وجهه؟ قال: ذاك نور يملأ البيت وليس له جهة.

قال: إذا كان النور الزائل الحادث لا جهة له فوجه ربي جلّ وعلا منزه عن الجهة والمكان.

قال: بماذا يشتغل الله؟

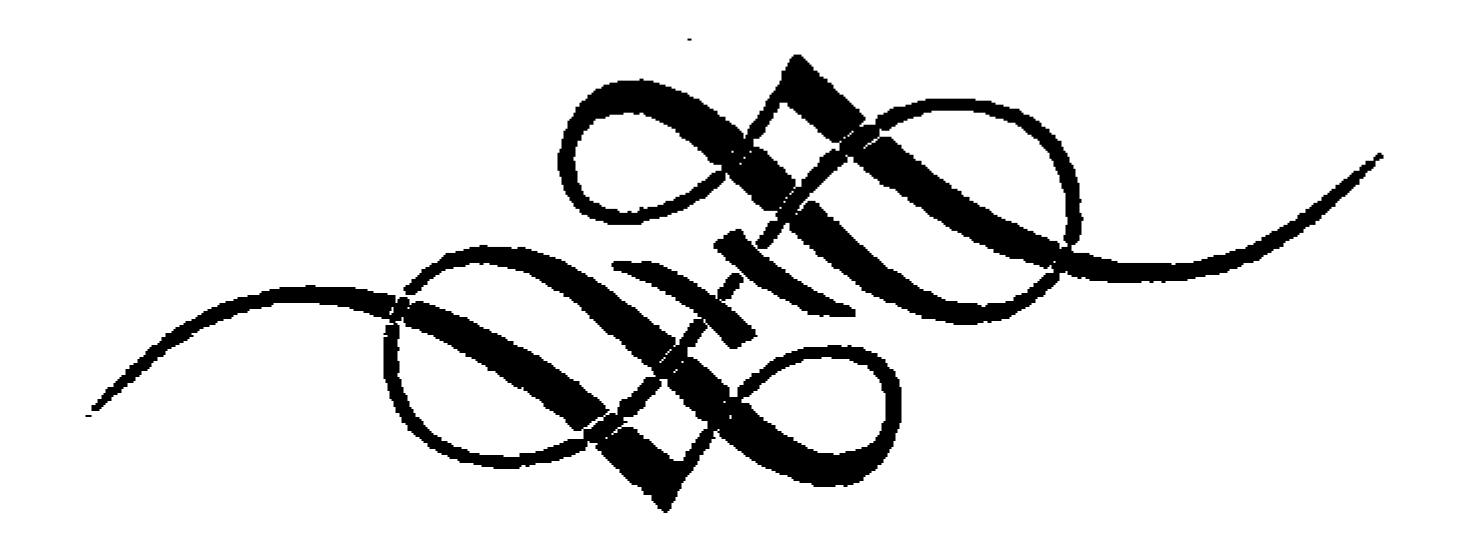
قال: إذا كان عالم موحد مثلي رفعه، وإذا كان كافر مثلك وضعه، كل يوم هو في شأن فخرس الراهب وتوجه مخزيًا.

(*) «الطائف الأول» (ص: ١٢١).



٦ ـ ما حملك على ذلك؟(*)

المغيرة بن شعبة، استعمله عمر على البحرين، فكرهه أهلها فعزله عمر، فخافوا أن يرده عليهم، فقال دهقانهم: إن فعلتم ما آمركم به لم يرده علينا: قالوا: مُرنا بأمرك، قال: تجمعون مائة ألف درهم، حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول: إن المغيرة اختان هذا ودفعه إليَّ، فجمعوا ذلك، فأتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة اختان هذا، فدفعه إليَّ، فدعا عمر المغيرة، فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب، أصلحك الله، إنما كانت مائتي ألف، فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة، فقال عمر للدهقان: ما تقول؟ فقال: لا والله، لأصدقنك. والله ما دفع إليَّ قليلاً ولا كثيراً، ولكن كرهناه، وخشينا أن ترده علينا، فقال عمر للمغيرة: ما حملك على هذا؟ قال: إن الخبيث كذب عليَّ، فأردت أن أخزيه.



(*) «الطرق الحكمية» (ص: ٣٧).

٧ ـ ما أعجب ما في الدنيا (*)

حكي أن أبقراط أقبل بالتعليم على حدث من تلامـذته، فعاتبه الشيوخ على تقديمه إياه عليهم، فقال لهم: ألا تعلموا ما السبب في تقديمه عليكم؟

قالـوا: لا، فقال لهـم: ما أعجـب ما في الدنيـا؟ فقـال أحدهم: السـماء والأفلاك والكواكب، وقال آخر: الأرض وما فيها من الحيوانات والنبات.

وقال آخر: الإنسان وتركيبه.

ولم يزل كل واحد منهم يقول شيئًا، وهو يقول: لا.

فقال للصبي: ما أعجب ما في الدنيا؟

فقال: أيها الحكيم، إذا كان كل ما في الدنيا عجبًا فلا عجب.

فقال الحكيم: لأجل هذا قدمته، لفطنته.



(*) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص: ٥٠).

٨ـ ما فعل طعنك على الأئمة؟ (*)

عن عروة بن الزبير: أن المسور بن مخرمة أخبره أنه قدم وافدًا على معاوية بن أبي سفيان فقضى حاجته، ثم دعاه فأخلاه، فقال: يا مسور ما فعل طعنك على الأئمة؟

فقال المسور: دعنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له.

قال معاوية: لا والله لتكلمنَّ بذات نفسك، والذي تعيب عليَّ.

قال المسور: فلم أترك شيئًا أعيبه عليه إلا بينته له.

قال معاوية: لا بريء من الذنب، فهل تعدُّ يا مسور مالي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنة بعشر أمثالها؟ أم تعد الذنوب وتترك الحسنات.

قال المسور: لا والله ما نذكر إلا ما ترى من هذه الذنوب.

قال معاوية: فإنا نعترف لله بكل ذنب أذنبناه فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلكك إن لم يغفرها الله؟.

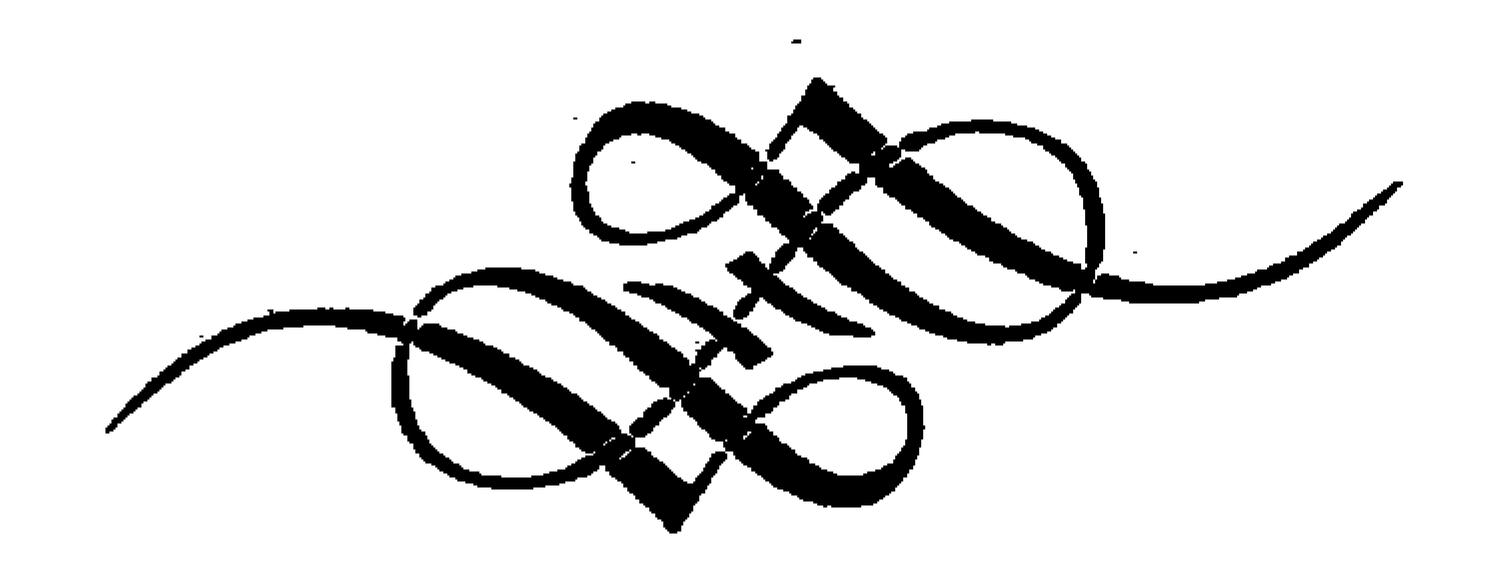
قال مسور: نعم!. قال معاوية: فما يجعلك أحق أن ترجو المغفرة مني؟ فوالله لما ألي من الإصلاح أكثر مما تَلي ولكن والله لا أُخيَّر بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله تعالى على ما سواه، وأنا على دين يقبل الله فيه

(*) «تاريخ بغداد» (١/٢٠٨).

العمل، ويجزئ فيه بالحسنات، ويجزئ فيه بالذنوب، إلا أن يعفو عمن يشاء، فأنا أحتسب كل حسنة عملتها بأضعافها، وأوازي أموراً عظامًا لا أحصيها ولا تحصيها، من عمل الله في إقامة صلوات المسلمين، والجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، والحكم بما أنزل الله تعالى، والأمور التي لست تحصيها وإن عددتها لك، فتفكَّرْ في ذلك.

قال المسور: فعرفت أن معاوية قد خصمني حين ذكر لي ما ذكر.

قال عروة: فلم يُسمع المسور بعد ذلك يذكر معاوية إلا استغفر له.



٩ـ يا ركيك(*)

وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان أنه كان بالبصرة رجل من بني تميم بن سعد وكان شاعراً ظريفًا خبيثًا منكراً وكنت آنس به واستحليه فقلت له: أنت شاعر وأنت ظريف، والمأمون أجود من السحاب الحافل فما يمنعك مني؟.

فقال: ما عندي ما يحملني فقلت: أنا أعطيك راحلة ونفقة فأعطيته راحلة نجيبة وثلاثمائة درهم فعمل أرجوزة ليست بالطويلة ثم سار إلى المأمون. قال: فجئت إليه وهو بسلغوس قال: فلبست ثيابي وأنا أروم بالعسكر وإذا بكهل على بغل فاره فتلقاني مواجهة وأنا أردد نشيد أرجوزتي فقال: السلام عليك فقلت: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. قال: قف إن شئت فوقفت فتضوعت منه رائحة المسك والعنبر، فقال: ما أولك؟ قلت: رجل من مضر، قال: ونحن من مضر، قال: ثم ماذا؟ قلت: من بني تميم، قال: وما بعد تميم؟ قلت: من بني سعد، قال: وما أقدمك؟ قلت: قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى رائحة ولا أوسع راحة، قال: فما الذي قصدته به؟ قلت: شعر طيب يلذ على الأفواه ويحلو في آذان السامعين، قال: فأنشدنيه، فغضبت وقلت: (يا ركيك) أخبرتك أني قصدت الخليفة بمديح تقول: أنشدنيه فتغافل عنها وألغى عن جوابها فقال: فما الذي تأمل منه؟ قلت: إن كان على ما ذكر لي فألف دينار قال: أنا

(*) «الكامل في التاريخ» (٦/ ١١).

أعطيك ألف دينار إن رأيت الشعر بعيداً والكلام عذباً وأضع عنك العناء وطول الترداد متى تصل إلى الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل؟ قلت: فلي عليك الله أن تفعل قال: نعم لك والله عليَّ أن أفعل فانشدته:

مأمون ذا المنزلةِ الشريفهْ ٭ وصاحبَ المرتبةِ المُنيفهْ

وقائد الكتيبة الكثيفهْ ٭ هل لك في أرجوزةٍ ظريفهْ

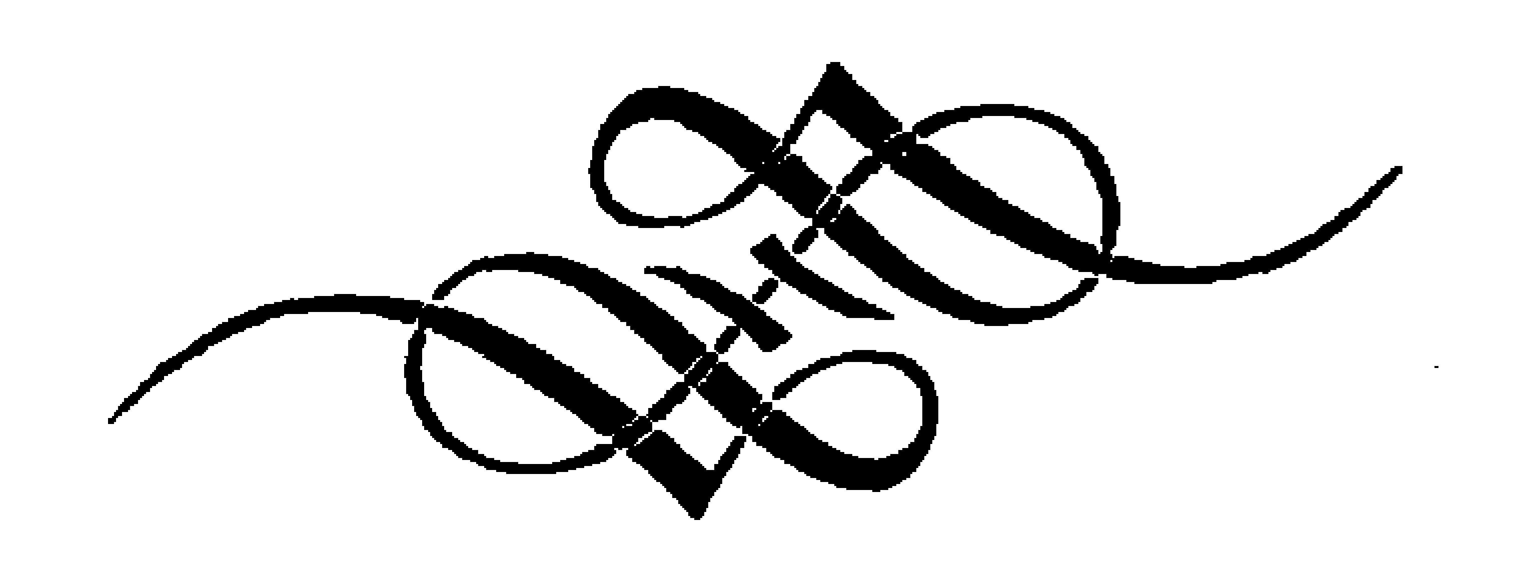
أظرف من فقه أبي حنيفهْ ٭ لا والذي أنت له خليفهْ

ما ظُلمت في أرضنا ضعيفهْ ٭ أميرُنا مؤنتُهُ خفيفهْ

وما اقتنى شيئًا سوى الوظيفهْ ٭ فالذئب والنقمة في سقيفهْ

واللص والتاجر في قطيفهْ

قال: فوالله ما عدا أن بلغت ههنا فإذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ فأخذتني رعدة فنظر إليَّ بتلك الحال فقال: لا بأس عليك أي أخي قلت: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك من بعد الكاف مكان القاف من العرب؟ قال: حمير قلت: لعن الله حمير ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم، فضحك المأمون وقال لخادم معه: اعطه ما معك فأخرج كيسًا فيه ثلاثة آلاف دينار فأخذتها ومضيت، ومعنى سؤاله عن وضع الكاف موضع القاف أنه أراد أن يقول: يا رقيق فقال: يا ركيك.



١٠ - ما الفرق بينك وبين الحمار(*)

وقع الاتفاق: أن السلطان حسنًا يجلس بالمدرسة يفرق وظائفها لمستحقيها بحضرته وحصل التنبيه على يوم معلوم، فجاء السلطان حسن صبيحة اليوم المذكور بعد أن فرشت المدرسة بالفرش الفاخرة، وجلس السلطان بالمدرسة، وجلس من له عادة بالجلوس، وكان بإزاء السلطان حسن فرجة، وبجوارها وسادة متكيء عليها السلطان حسن، فاتفق أن الشيخ الإمام الهمام قوام الدين الأتقاني العجمي صاحب (الإتقان في فقه الحنفية، والنهاية شرح الهداية)، وغير ذلك من التصانيف.

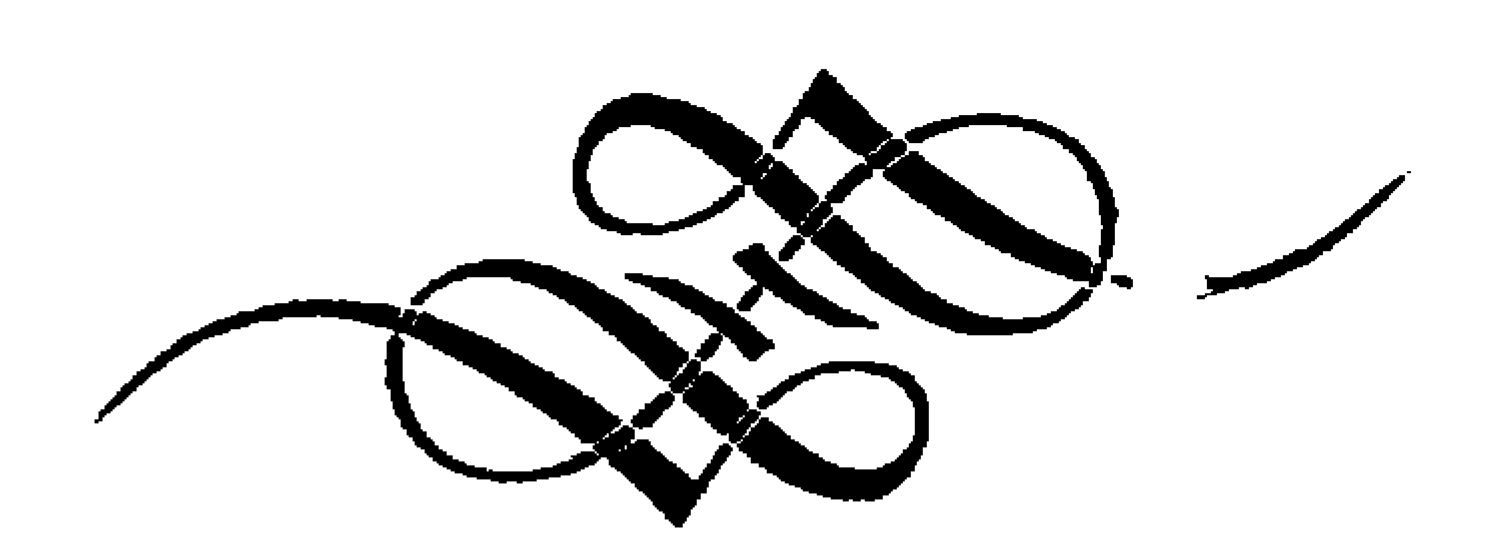
وكن في زمانه أوحد الدهر باتفاق، وشيخ الحنفية على العموم والإطلاق، وكان حالة قدومه إلى مصر صورة قرندلي وعلى رأسه طرطور، فبلغه هذه الجمعية، فبادر إلى المدرسة ودخلها، فرأى السلطان في هذا المحفل العظيم، فمازال يتخطى الرقاب إلى أن جلس في تلك الفرجة، فنظر إليه السلطان حسن شرراً وقال له: ما الفرق بينك وبين الحمار؟

قال: هذه الوسادة، فهابه السلطان، وأمر من حضر من العلماء والأفاضل أن يبحثوا معه في علوم شتى، فأجادوا وأفاد، وأخرست الألسن، وفتحت الآذان لما أبداه من العلوم، فأعجب به السلطان حسن، وأنعم عليه بالمشيخة بمدرسته.

(*) «الطائف الأول» (ص: ٢٩١)

وتوجه السلطان حسن إلى تخت ملكه، وأمر أن يركبوا الشيخ قوام الدين المذكور على مركوب السلطان حسن بسرجه، وعدته فركب ومشى أمامه أكابر الدولة من جملتهم الأمير صرغتمش إلى أن طلع الديوان، فتعجب بعض من حضر من ذلك الموكب، فقال الشيخ قوام الدين لا تعجبوا في ذلك، فقد مشى تحت ركابي سبع سلاطين من سلاطين العجم، فسبحان المنعم على عبيده، ولقد أحسن من قال في هذا المعنى:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له ٭ والجهل يخفض بيت العز والكرم



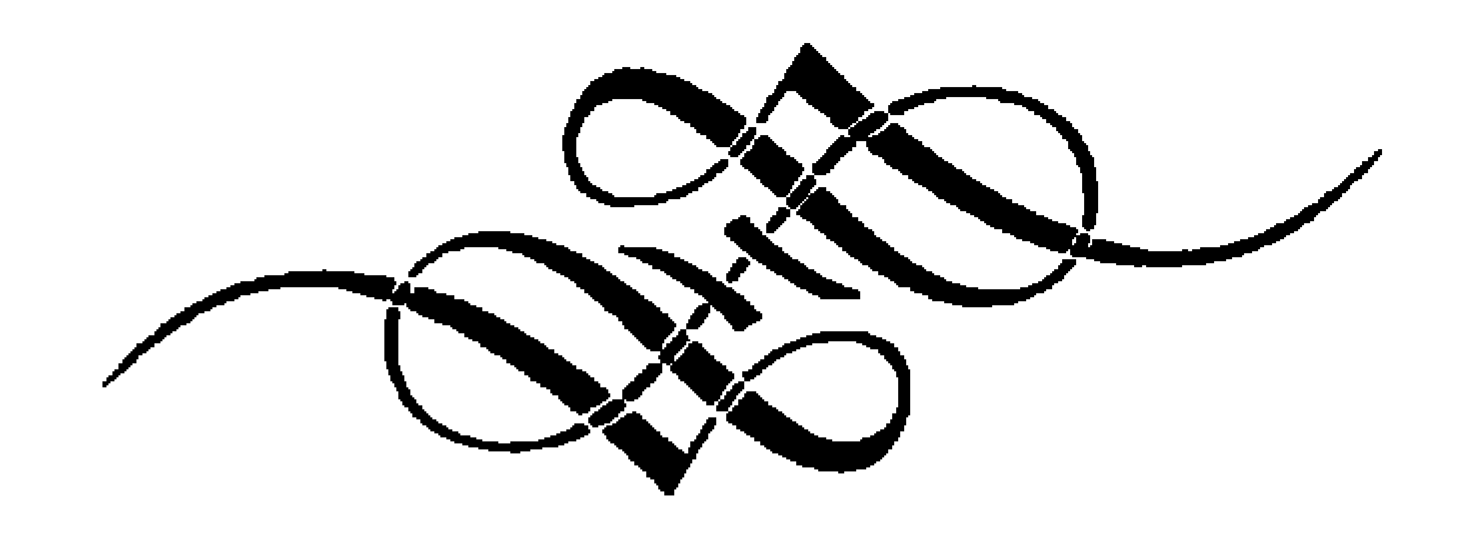
١١ - جاءكم أعلم من عليها (*)

قال ابن يونس: كان شُفي بن مانع حكيمًا، ثم ساق من حديث سعيد بن أبي أيوب عن النعمان ابن عمرو، عن حسين بن شفي قال: كنا جلوسًا مع عبد الله بن عمرو بن العاص فأقبل شفي، فقال عبد الله: جاءكم أعلم من عليها، فلما جلس قال له عبد الله: أخبرنا يا أبا عبيد الله، ما الخيرات الثلاث، وما الشرات الثلاث؟

قال: الخيرات الثلاث: لسان صدوق، وقلب تقي، وامرأة صالحة.

والشرات الثلاث: لسان كاذب، وقلب كافر، وامرأة سوء.

قال عبد الله: قد قلت لكم.



(*) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ٥٩).

١٢ ـ مالك لا تدخل في دينه(*)

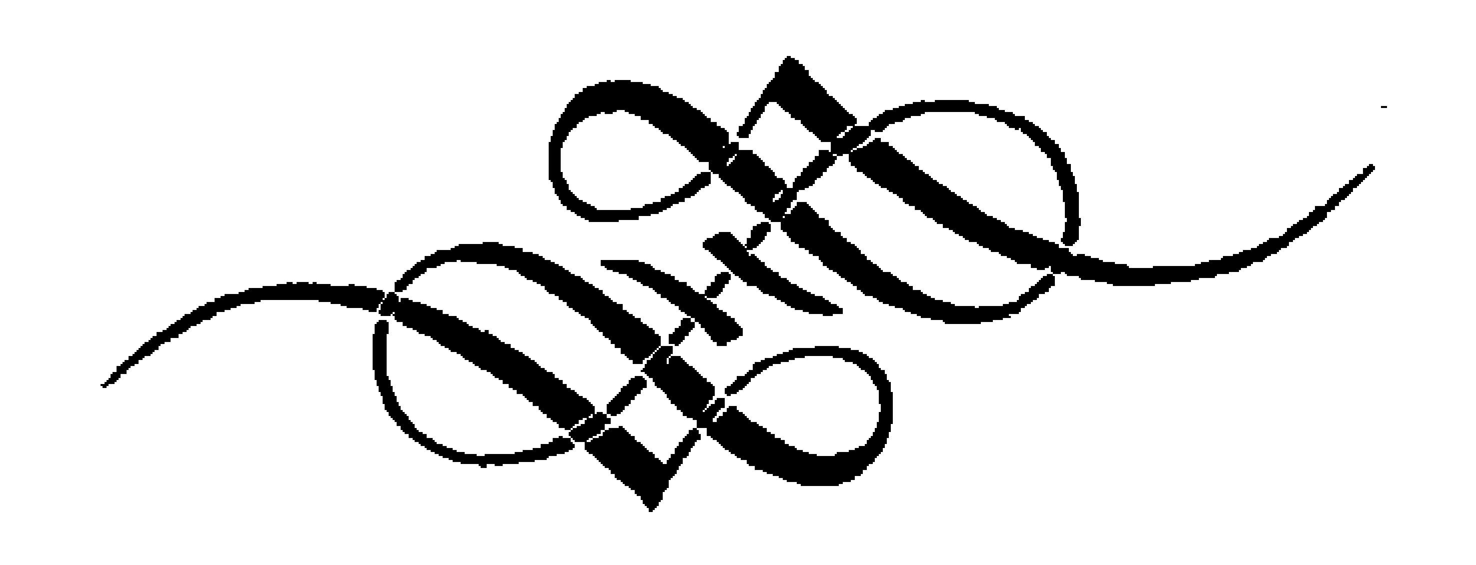
قال العلامة ابن القيم: جرت لي «مناظرة» بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة، فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام! فقلت له: اسمع الآن تقريره، إذا قلتم: إن محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدعى أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحى إليَّ كذا، ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: أنه أباح لي سبى ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم، فلا يخلو إما أن تقولوا: إن الله سبحانه كان يطَّلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا: إنه خُفِيَ عنه ولم يعلم به، فإن قلتم لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل وكان من علم ذلك أعلم منه، وإن قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أولاً، فإن لم يكن قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي لله للربوبية، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلي حكمته، ويجيب دعاءه ويمكنه من أعدائه ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على

(*) «هداية الحيارى» لابن القيم (ص: ١٨٠).

الألف ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء، فكيف وهو ما يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب.

فلما سمع ذلك قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد، قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟

قال: إنما بعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه، قلت له: غلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به، وأمسك ولم يحر جوابًا.



١٣ ـ سلنا عما شئت(*)

دعا بولة الوزراء ومن كانت الملوك قبله تجرى عليهم الأرزاق والجوائز فكأنه استكثر ذلك، فقال لهم: إني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن أخبرتموني بها زدت في أرزاقكم ورفعت من أقداركم، وإن أنتم لم تخبروني بها ضربت أعناقكم، فقالوا له: سلنا عما شئت، فقال لهم: أخبروني ما يفعل الله تبارك وتعالى في كل يوم وكم عدد نجوم السماء وكم مقدار ما تستحق الشمس في كل يوم على ابن آدم، فاستأجلوه فأجلهم في ذلك شهراً، وكانوا يخرجون في كل يوم إلى خارج مدينة منف فيقفون في ظل قرموس يتباحثون ما هم فيه، ثم يرجعون وصاحب القرموس ينظر إليهم، فأتاهم ذات يوم فسألهم عن أمرهم فأخبروه. فقال لهم: عندي علم ما تريدون، إلا أن قرموسًا لا أستطيع أن أعطله، فليقعد رجل منكم مكاني يعمل فيه، وأعطوني دابة كدوابكم وألبسوني ثيابًا كثيابكم، ففعلوا. وكان في المدينة ابن لبعض ملوكهم قد ساءت حالته، فأتاه صاحب القرموس فسأله القيام بملك أبيه وطلبه فقال: ليس يخرج هذا (يريد الملك) من مدينة منف، فقال: أنا أخرجه لك، وجمع له مالاً، ثم أقبل صاحب القرموس حتى دخل على بولة فأخبره أن عنده علم ما سأل عنه، فقال له: أخبرني كم عدد نجوم السماء؟ فأخرج صاحب القرموس جرابًا من الرمل كان معه فنثره بين يديه وقال له: مثل عدد هذا، قال: وما يدريك؟ قال: مر من بعده.

(*) «فتوح مصر وأخبارها» (ص: ٩١).

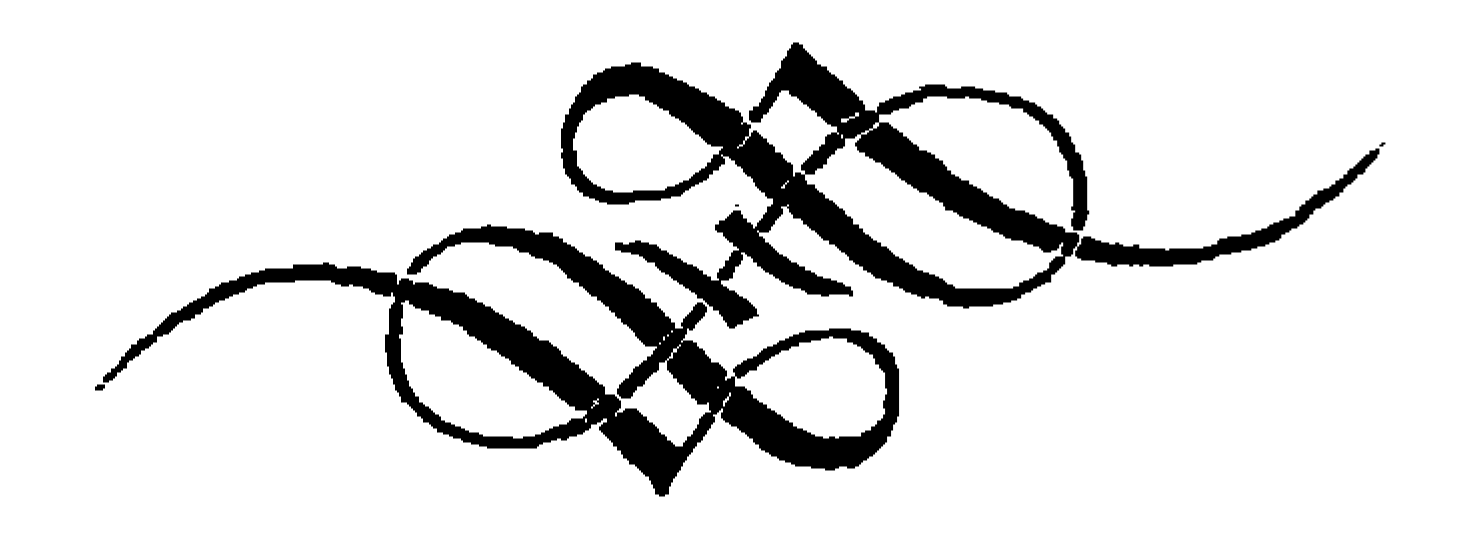
قال: فكم مقدار ما تستحق الشمس في كل يوم على ابن آدم؟

قال: قيراطًا لأن العامل يعمل يومه إلى الليل فيأخذ في أجرته.

قال: فما يفعل الله عزَّ وجلَّ كل يوم؟

قال له: أريد ذلك غدًا، فخرج معه حتى أوقفه على أحد وزرائه الذي أقعده صاحب القرموس مكانه فقال له: يفعل الله عزَّ وجلَّ كل يوم أن يُذل قومًا ويعز قومًا ويميت قومًا، ومن ذلك أن هذا وزير من وزرائك قاعد يعمل على قرموس وأنا صاحب قرموس على دابة من دواب الملوك وعليَّ من لباسهم.

أو كما قال له أن فلان بن فلان أغلق عليك مدينة منف، فرجع مبادرًا فإذا مدينة منفى قد أُغلقت، ووثبوا مع الغلام على بولة فخلعوه، فكان يقعد على باب مدينة منفى يوسوس ويهذي.



١٤ - هل فيكم من يجيب بمثل هذا؟![*]

لما عزم المأمون على أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي ﵇ اجتمع إليه أهله فقالوا له الأهل: يا أمير المؤمنين.. أما كان في أهلك من تعدل عليه في كريمتك عن هذا الغلام الطالبي؟

المأمون: هو بها أولى، ولست أصغى إلى لوم لائم فيه.

الأهل: يا أمير المؤمنين.. إنه غلام غِر[1] فلو أخرت إنكاحه حتى يتفقه في الدين، ويستبصر في الأدب.

المأمون: إنه لأفقه منكم، وأعلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأرسخ بالنظر في الحلال والحرام، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والخاص والعام فأسألوه لتعلموا حقيقة رأيي فيه.

فخرجوا من عنده، وقصدوا يحيى بن أكثم فأخبروه الخبر وقالوا له الأهل: أيها القاضي.. عليك أن تتولى مسألته وتحرص على إفحامه[2].

يحيى: لقد اختلفتم لغير مهم، وما أمر صبي لعله أنه لا يتجاوز سنه عشر سنين.

الأهل: إن أمره لعظيم عند أمير المؤمنين.

(*) «أنباء نجباء الأبناء» (ص:٥٨, ٥٦)، «ذكاء أهل البيت» (ص:١٣٦, ١٤١).

(١) غر: جاهل.

(٢) إفحامه: إعجازه أمام الحجة.

يحيى: سترون.

فلما اجتمعوا للتزويج، وحضر أبو جعفر العباسيون للمأمون:

الأهل: يا أمير المؤمنين.. هذا القاضي يسأل أبا جعفر إن أذنت له.

المأمون: اسأله.

يحيى: ما تقول يا أبا جعفر في مُحرم قتل صيداً؟

محمد: أقتله في حل أم حرم؟ أعالمًا أم جاهلاً؟ أعمدًا أم خطأ؟ أكان عبدًا أم حُرًا؟ أوصغير أو كبيرًا؟ أكان الصيد طائرًا أم وحشيًا؟ أمن صغار الصيد أم من كبارها؟ أبليل في مأواها أم في النهار؟ بمسرحها أم محرمًا بالحج أم بالعمرة؟

فلم يجب يحيى بن أكثم، فقال المأمون: نخطب يا أبا جعفر.

محمد: نعم يا أمير المؤمنين.

المأمون: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصًا لعظمته، وصلى الله على محمد وعلى آله عند ذكره، أما بعد.. فقد كان من فضل الله على الأنام، أن أغناهم بالحلال عن الحرام، وقال: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(سورة النور: ٣٢).

إن محمد بن علي خطب أم الفضل بنت عبد الله، وبذل لها من الصداق[1] خمسمائة درهم، وقد زوجته، فهل قبلت يا أبا جعفر؟

محمد: نعم.. قبلت هذا التزويج بهذا الصَّداق.

---

(١) الصداق: مهر الزوجة.

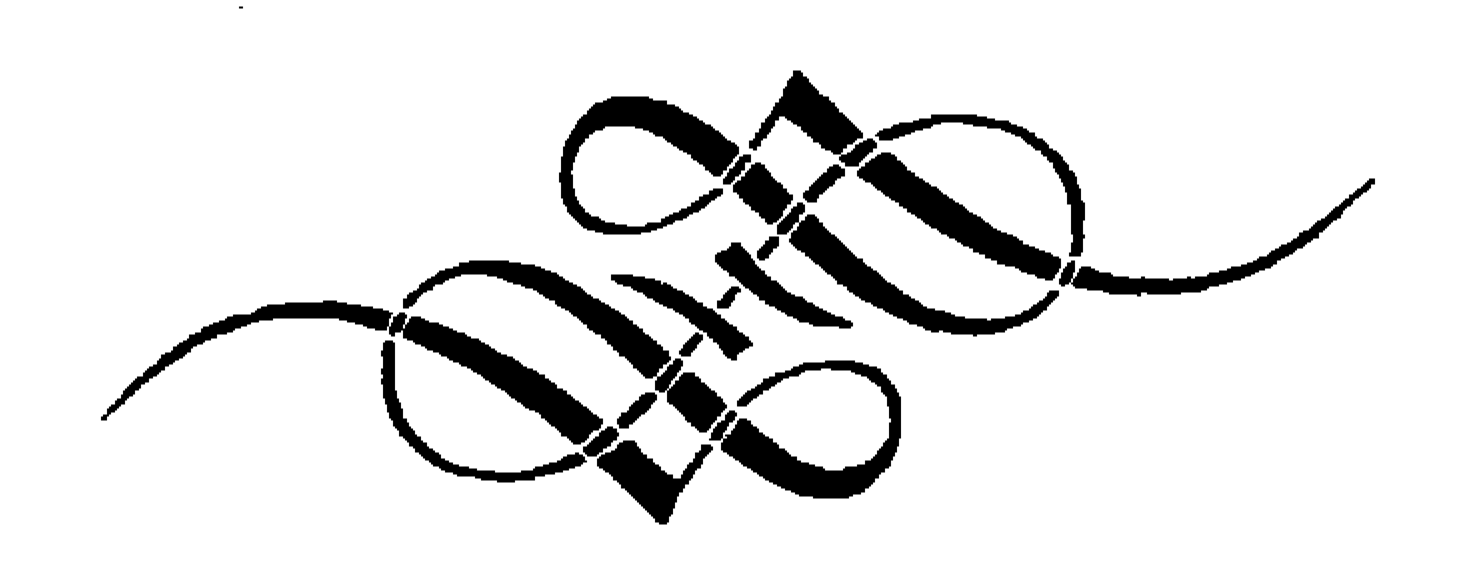
ثم إن المأمون أولم[1]، وحضر الناس على مراتبهم، ولما تفرقوا أمر المأمون استبقاء بعض الخاصة[2]. وقال لأبي جعفر: يا أبا جعفر.. بيِّن لنا الفتيا في التقسيم الذي قسمته.

محمد: نعم.. إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل والصيد من ذوات الطير من كبارها فعليه جمل قد فطم، وليس عليه قيمته لأنه ليس في الحرم، وإذا قتله في الحرم فعليه الجمل وقيمته لأنه في الحرم، وإن كان من الوحشى فعليه في حمار الوحش بدنة[3]، وكذلك في النعامة، فإن لم يقدر فإطعام ستين مسكينًا، فإن لم يقدر فليصم ثمانية عشر يومًا، وإن كان بقرة فعليه بقرة، فإن لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكينًا، فإن لم يقدر فليصم تسعة أيام، وإن كان ظبيًا فعليه شاة، فإن لم يقدر فعليه إطعام عشرة مساكين، فإن لم يقدر فصيام ثلاثة أيام، فإن كان في الحرم فعليه الجزاء مضاعفًا هديًا بالغ الكعبة واجبًا عليه، وإن كان في حج نحره بمنى، وإن كان في عمرة نحره بمكة، وتصدق بمثل ثمنه ليتضاعف عليه الجزاء، كذلك إذا أصاب أرنبًا أو ثعبانًا فعليه شاة، ويتصدق إذا قتل الحمامة بعد الشاة بدرهم، أو يشتري به طعامًا للحمام الحرمية[4]، وفي الفرخ نصف

(١) أولم: عمل وليمة، والوليمة: طعام العُرس.
(٢) الخاصة: أصدقاء الرجل وخلصاؤه المقربون منه.
(٣) البدنة: ناقة أو بقرة.
(٤) الحمام الحرمية: الحمام التي تعيش داخل الحرم وحوله.

درهم، وفي البيضة ربع درهم وكل ما أتى به الصغير غير البالغ فلا فلا شيء عليه، فإن كان ممن عاد فينتقم الله منه ليس عليه كفارة، والنقمة في الآخرة، وإن دلّ على الصيد وهر محرم فقتل، فعليه الفداء، وإذا أصابه في وكره أو مأواه ليلاً خطأ فلا شيء عليه إلا أن يصدق، فإن تصيد في ليل أو نهار فعليه الفداء بمنى حيث ينحر الناس، والمحرم بالعمرة بنحره بمكة.

فأمر المأمون بأن يكتب ذلك كله عنده، ثم قرأه عليهم وقال لهم المأمون: هل فيكم من يجيب بمثل هذا؟ فاعترف الجميع بفضله.



١٥ - محاورة علي لابنه الحسن رضي الله عنهما(*)

سأل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنه الحسن رضي الله عنه عن أشياء في أمر المروءة فقال:

علي: يا بني.. ما السداد؟

الحسن: يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف.

علي: فما الشرف.

الحسن: اصطناع المعروف، وحمل الجريرة[1].

علي: فما المروءة؟

الحسن: العفاف وإصلاح المال.

علي: فما الرأفة؟

الحسن: النظر في اليسير ومنع الحقير.

علي: فما اللؤم؟

الحسن: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه.

علي: فما السماح؟

(*) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٥/ ٣٦).

(١) الجريرة: الجناية والذنب، الجمع: جرائر.

الحسن: البذل في العسر واليسر.

علي: فما الشح؟

الحسن: أن ترى ما في يديك شرفًا، وما أنفقته تلفًا.

علي: فما الإخاء؟

الحسن: المواساة في الشدة والرخاء.

علي: فما الجبن؟

الحسن: الجرأة على الصديق، والنكول عن العدو.

علي: فما الغنيمة؟

الحسن: الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة.

علي: فما الحلم؟

الحسن: كظم الغيظ وملك النفس.

علي: فما الغنى؟

الحسن: رضى النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قلَّ، وإنما الغنى غنى النفس.

علي: فما الفقر؟

الحسن: شره النفس في كل شيء.

علي: فما المنعة؟

الحسن: شدة البأس ومنازعة أعزاء الناس.

علي: فما الذل؟

الحسن: الفزع عند الخوف.

علي: فما العي؟

الحسن: العبث باللحية وكثرة البزق عند المخاطبة.

علي: فما الجرأة؟

الحسن: موافقة الأقران.

علي: فما الكلفة؟

الحسن: كلامك فيما لا يعنيك.

علي: فما الجد؟

الحسن: أن تعطي في العزم وتعفو عند الجرم.

علي: فما العقل؟

الحسن: حفظ القلب كلما استوعبته.

علي: فما الخرق؟

الحسن: معادتك إمامك ورفعك عليه كلامك.

علي: فما الثناء؟

الحسن: إتيان الجميل وترك القبيح.

علي: فما الحزم؟

الحسن: طول الأناة والرفق بالولاة.

علي: فما السَّفه؟

الحسن: اتباع الدناءة ومصاحبة الغواة.

علي: فما الغفلة؟

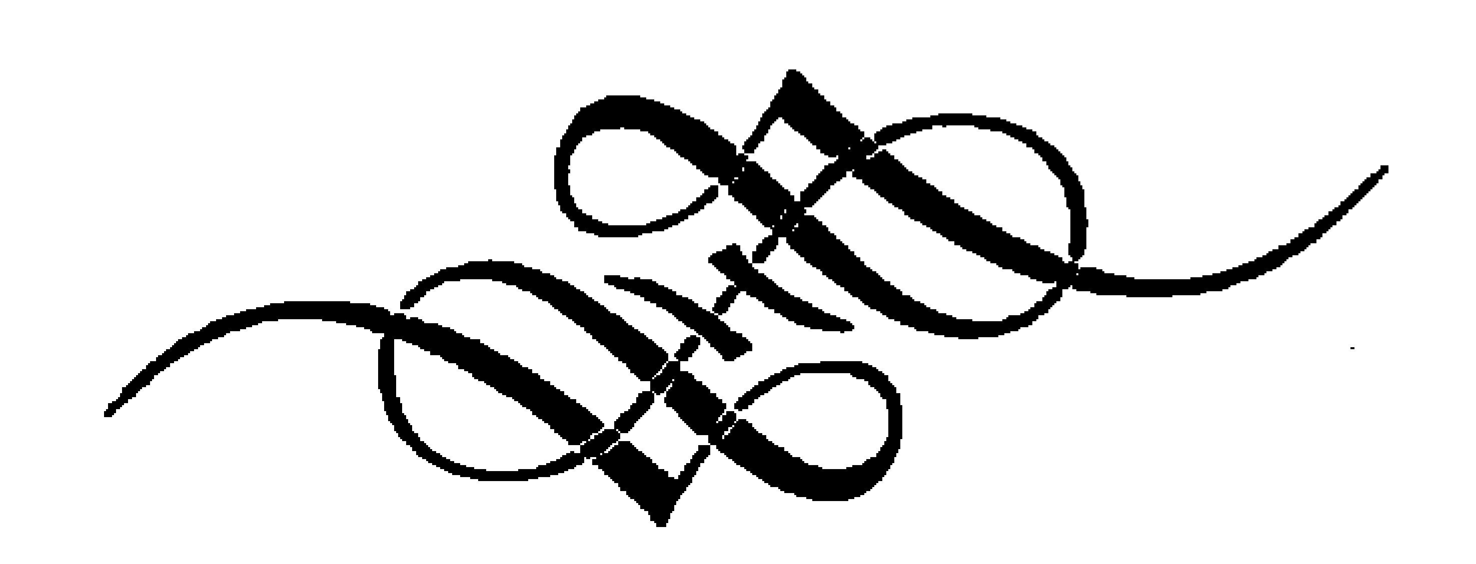
الحسن: تركك المجد وطاعتك المفسد.

علي: فما الحرمان؟

الحسن: تركك حظك وقد عرض عليك.

علي: فما السيد؟

الحسن: الأحمق في ماله، والمتهاون في عرضه، يشتم فلا يجيب، والمتحزن بأمر عشيرته هو السيد.





١٦ ـ وما علمي بما هاهنا(*)

روى الدينوري في «المجالسة» وأبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» عن أبي العباس محمد بن إسحاق السراج قال: حدثنا هشيم عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كتب صاحب الروم إلى معاوية رضي الله عنه يسأله عن أفضل الكلام ما هو، وعن الثاني والثالث والرابع والخامس، وكتب إليه يسأله عن أكرم الخلق على الله. وعن أكرم الإماء على الله، وعن أربعة من الخلق فيهم الروح لم يرتكضوا في رحم، ويسأله عن قبر مشى بصاحبه، وعن المجرة، وعن القوس، وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع عليه قبل ذلك، ولم تطلع عليه بعده.

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: أخزاه الله تعالى، وما علمي بما هاهنا؟

فقيل له: اكتب إلى ابن عباس.

فكتب إليك بذلك، فكتب إليه ابن عباس رضي الله عنهما: أن أفضل الكلام له إله إلا الله، كلمة الإخلاص لا يقبل عمل إلا بها، والتي تليها سبحان الله وبحمده، صلاة الحق، والتي تليها الحمد لله، كلمة الشكر، والتي تليها الله أكبر، والخامس لا حول ولا قوة إلا بالله.

(*) «حياة الحيوان الكبرى» (٨/٣/١٣٠٣).

وأما أكـرم الخلق على الله عـزَّ وجلَّ، فآدم عليه السلام، خلقه الله بيـده، وعلمه الأسماء كلها، وأما أكرم إمائه عليه، فـهي مريم التي أحصنت فرجها، فنفخ فيه من روحه.

وأما الأربعة الذين لم يرتكضوا في الرحم، فآدم عليه السلام، وحواء، وناقة صالح عليه السلام، والكبش الذي فدى به إسماعيل عليه السلام، وقيل عصا موسى عليه السلام حين ألقاها فصارت ثعبانًا مبينًا.

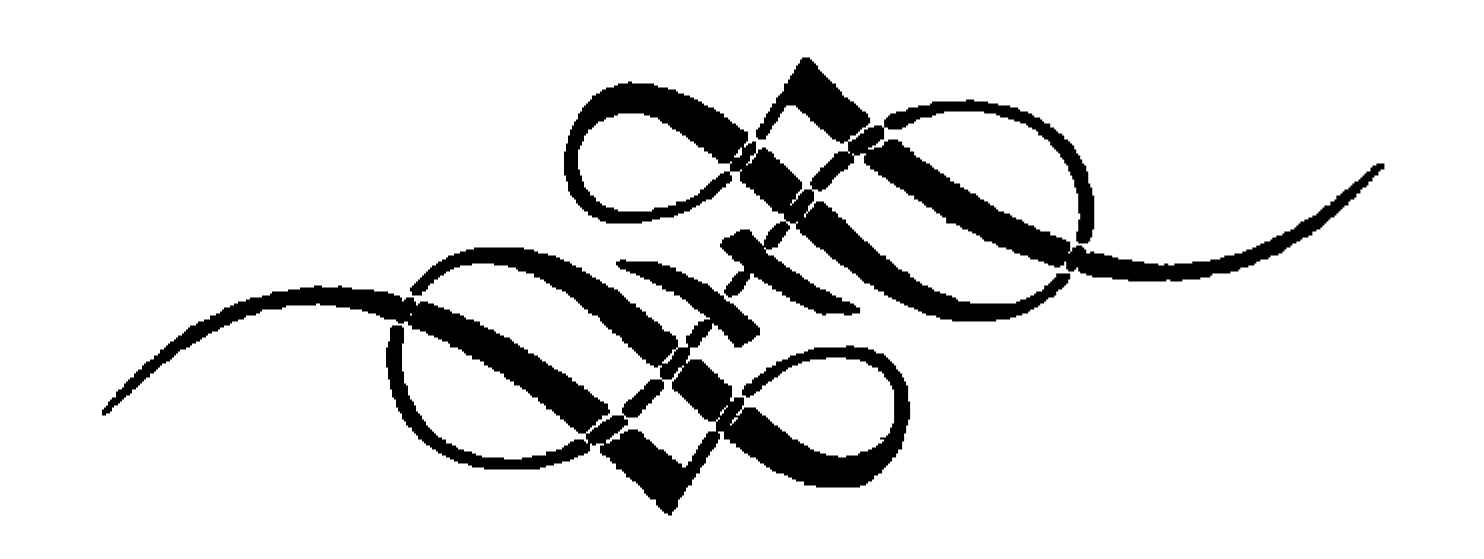
وأما القبر الذي سار بصاحبه، فهو الحوت حين التقم يونس عليه السلام.

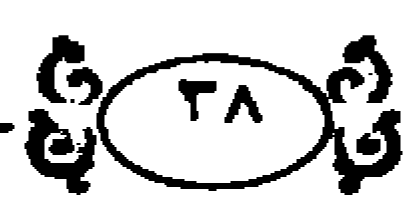
وأما المجرة فباب السماء.

وأما القوس فإنه أمان لأهل الأرض من الغرق بعد قوم نوح عليه السلام.

وأما المكان الذي طلعت عليـه الشمس ولم تطلع عليه قبله ولا بعـده، فهو المكان الذي انفلق في البحر لبني إسرائيل.

فلما قدم علـيه الكتاب أرسل به إلى صاحب الروم، فقـال: لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم، وما أصابه هذا إلا رجل من بيت النبوة؟





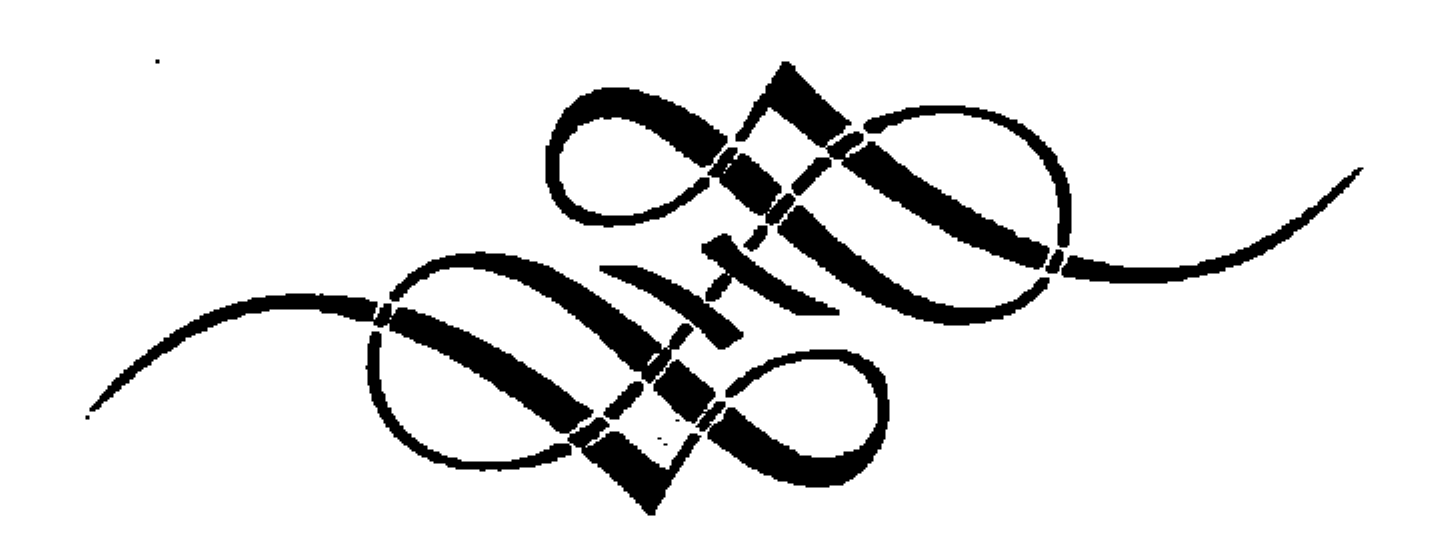
١٧ - ما دعاك إلى ذلك(*)

القاضي منذر بن سعيد البلوطي، قاضي الجماعة بقرطبة، من مشهور ما جرى له في ذلك قصته في أيتام أخي نجدة، وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية، وهي أن الخليفة الناصر احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرُمُ عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة، وكانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عند دوره، ويتصل بها حمام له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أخي نجدة أيتامًا في حجر القاضي، فأرسل الخليفة من قوَّمها له بعدد ما طابت نفسه، وأرسل ناسًا أمرهم بمداخلة وصى الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه، منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد، ومنها الغبطة - يعني المنفعة الظاهرة للأيتام - فأما الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع، وأما الوهي فليس فيها، وأما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع، وإلا فلا، فنقل جوابه إلى الخليفة، فأظهر الزهد في شراء الدار طمعًا أن يتوخى رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام ثورتها فأمر وصيَّ الأيتام

(*) «نفح الطيب» (٢/ ٢٣٦).

بنقض الدار وبيع أنقاضها، ففعل ذلك وباع الأنقاض، فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان، فاتصل الخبر به، فعز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي منذر، وقال له: أأنت أمرت بنقض دار أخي نجدة؟

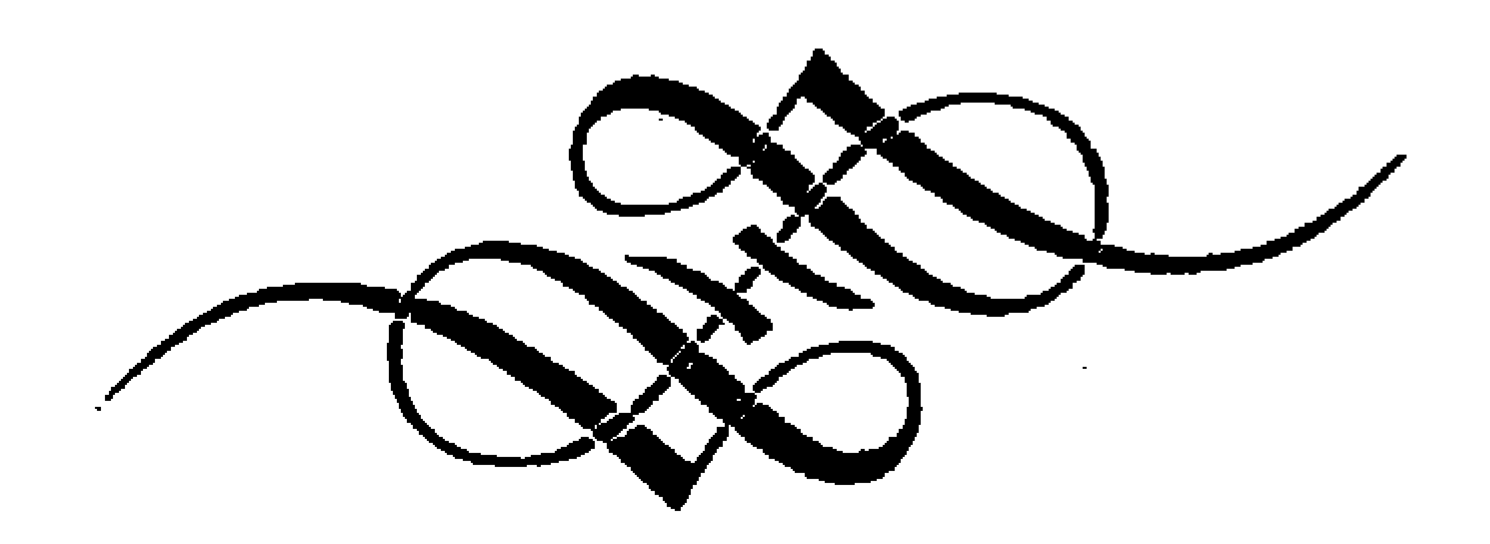
فقال له: نعم، فقال: وما دعاك إلى ذلك؟ قال: أخذت فيها بقول الله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (سورة الكهف:٧٩)، مقوموك لم يقوموها إلا بكذا، وبذلك تعلق وهمك، فقد نض - يعني حصل - في أنقاضها أكثر من ذلك، وبقيت القاعة والحمام فضلاً، ونظر الله تعالى للأيتام، فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك، وقال: نحن أولى من انقاد إلى الحق، فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيراً.



١٨ - يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟(*)

قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب ﷺ بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار، وكانت تهواه، فلم لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفارها، وصبت على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي، وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني، فهمَّ بعقوبة الشاب فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين، تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فنظر عليٌّ إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذ واشتمه وذاقه، فعرف طعم البيض وزجر المرأة، فاعترفت.

وهذا حكم بالأمارات الظاهرة: فإن المني إذا جعل على النار ذاب واضمحل، وإن كان بياض بيض تجمع وييس.



(*) «الفراسة المرضية» لابن القيم (ص:٤٨).

١٩ ـ هل عندكم غير هذا؟[*]

قال عبد الله بن عباس: إنه لما اعتزلت الخوارج، دخلوا داراً وهم ستة آلاف، وأجمعوا على علي ابن أبي طالب، فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، فيقول: دعوهم فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون، فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر، فقلت له: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة، لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم، فقال: إني أخاف عليك، فقلت: كلا، وكنت رجلاً حسن الخلق، لا أوذي أحداً، فأذن لي فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار، فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن[1] الإبل، وعليهم قمص مرحضة، مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم فقالوا: مرحبًا بابن عباس ما جاء بك؟ فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشًا فإن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (سورة الزخرف:٥٨)،

(*) «تلبيس إبليس» ابن الجوزي (ص: ١٢٠).

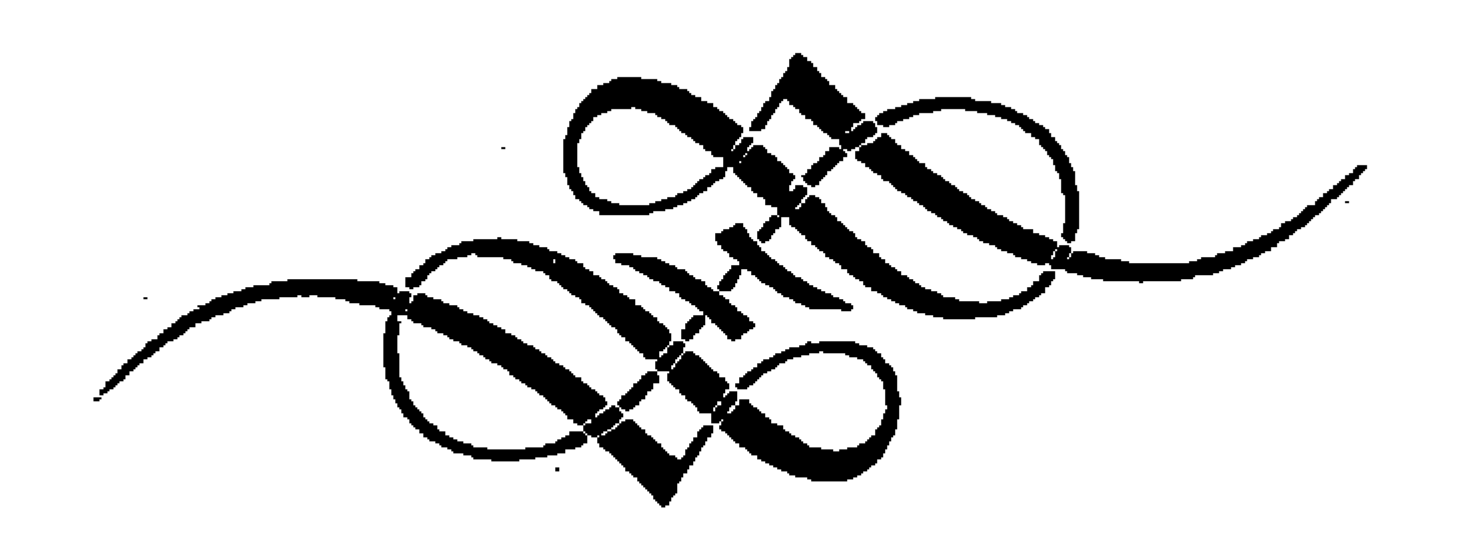
(١) الثفن: جمع ثفنة؛ ركبة البعير وغيرها مما يحصل فيه غلظ من أثر البروك.

فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه، فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجـرين والأنصار، وعليـهم نزل القرآن، وليس فيكـم من أحد، وهم أعلم بتأويله قـالوا: ثلاثًا، قلت: هاتوا، أما إحداهن فإنه حكم الـرجال في أمر الله، وقد قـال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنِ الْحُكْمُ إلاَّ للَّه﴾ (سورة الأنعام:٥٧)، فما شـأن الرجال والحكم بعد قول الله عزَّ وجلَّ؟!.

فقلت: هذه واحدة، ومـاذا؟! قالوا: وأما الثانية فـإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كـانوا مؤمنين فلم يحل لنا قتـالهم وقتلهم، فلما حل لنا قـتالهم وقتلهم ولم يحل لنا سبيـهم؟ قلت: وما الثالثة؟ قالوا: فإنه محا عـن نفسه أمير المؤمنين فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمـير الكافرين، قلت: هل عندكم غير هذا؟، قالوا: كـفانا هذا، قلت لهم: أمـا قولكم حكم الرجـال في أمر الله، أنا أقرأ عليكـم في كتاب الله مـا ينقض هذا، فإذا نقض قـولكم أترجعـون؟ قالوا: نعم، قلت: فإن الله قـد صير من حكمـه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (سورة المائدة:٩٥)، وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء:٣٥)، فنشدتكم بالله هل تعلمـون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وفي حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب، وبضع امرأة، فأيهما ترون

أفضل؟، قالوا: بل هذه، قلت: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، فتسبون أمكم عائشة رضي الله عنها والله لئن قلتم ليست بأمنا خرجتم من الإسلام، والله لئن قلتم لنسبنها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين لأن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (سورة الأحزاب:٦)، أخرجت من هذه؟، قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، إن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية. صالح المشركين: أبا سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، فقال لعلي رضي الله عنه: اكتب لهم كتابًا؛ فكتب لهم علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون: والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم إنك تعلم أني رسول الله امح يا علي اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله**»[1].

فوالله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه، قال: فرجع منهم ألفان.



(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، ومسلم (١٧٨٣).

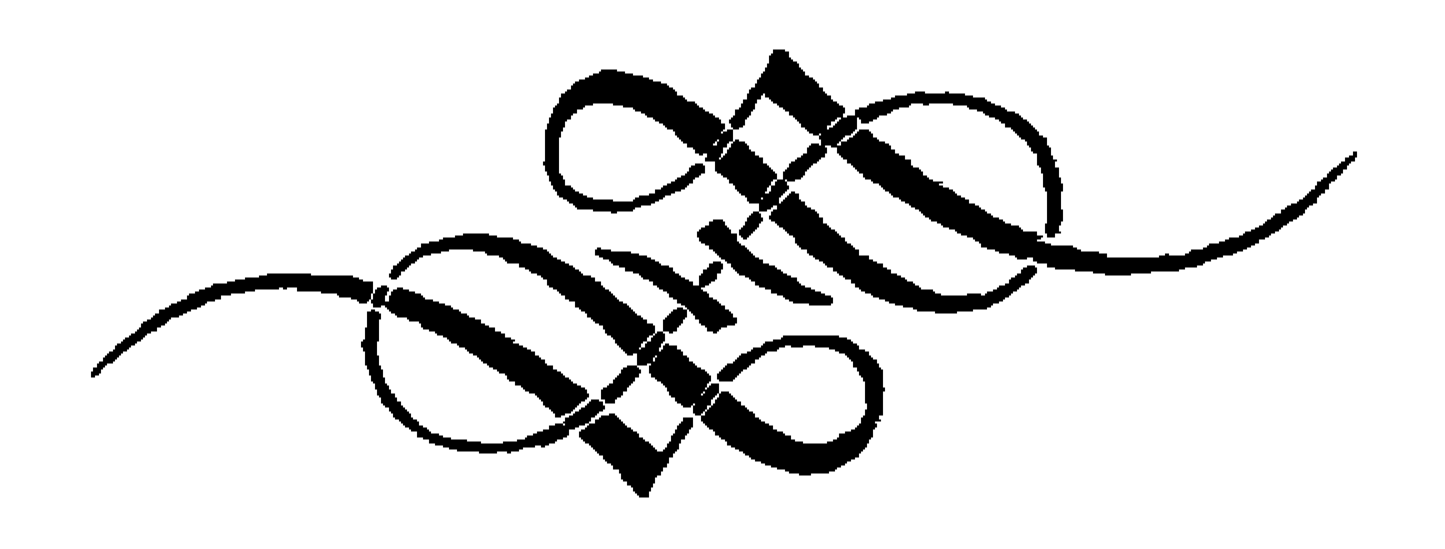
٢٠ ـ أمر كتبه الله على بنات آدم(*)

ومن روائع الأسئلة ما كتبته فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمود الحنفي، إلى الإمام السخاوي:

يا أيها الحبر وبحر الندى ٭ يا حافظًا نقل حديث قديم
يا منحة في دهره لم يرك ٭ ممتدحًا من كل فاء وميم
يا غاية الآمال يا منيتي ٭ يا من به أضحى غرامي غريم
يا شمس دين الله يا من غدا ٭ بكل علم في البرايا عليم
ويا سخاوي يا إمام الورى ٭ من خصه الله بعلم جسيم
أسئلك يا شيخ شيوخ النهى ٭ ومن دوي في فيه در نظيم
فيمن أتاها عائق عاقها ٭ عن أمل صارت به في حميم
قيامها إذ ذاك يا سيدي ٭ بين المقام زمزم والحطيم
في ليلة أخبرنا أنها ٭ يفرق فيها كل أمر حكيم
وهل لها أجر الذي قامها ٭ وهل يساوي مقعداً وسيم
وهل ينلها مثل ما نالهم ٭ تكرمًا من فضل رب كريم
أخبرني يا منيتي عاجلاً ٭ يا من ذكاه فاق فهم الفهيم
يا من فتاويه إذا أبرزت ٭ يكاد ذا فهم بها أن يهيم
صلاحك الظاهر بين الورى ٭ اتمامه إذ ذاك بر اليتيم
يهنك شعبان الذي قدره ٭ مازال عند الله قدر عظيم
أحياكم الله لأمثاله ٭ تروى صحيحًا نقله لا سقيم

(*) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي (١٢/ ٩ ١).

فأجاب الحافظ شمس الدين السخاوي عليها بقوله: الحمد لله هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فطيبي نفسًا وقري عينًا بتفضل الله سبحانه ـ إن شاء الله ـ عليك بثواب ما كنت تؤملين فعله فقد صح قوله ﷺ: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له»[1]، أي سواء كان له عذر أو لا ولكنه في المعذور كهذا أغلى لأنه يكتب له ما كان يعمله قبل حصول العارض ففي الصحيح أيضًا أنه ﷺ قال: «ما من احد من الناس يصاب ببلاء في جسده إلا امر الله عزَّ وجلَّ الملائكة الذي يحفظونه بكتاب ما كان يعمل من خير في كل يوم وليلة له ما دام محبوسًا بوثاقه»[2]، وفي لفظ عنه ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»[3]؛ فإن توجه هذا المبتلى بتفويت ما كان نواه وفاته الوقت المشروع لمن أداه وعمله فيما بعده من الأيام والليالي في شهر أو غيره كان الثواب أجزل والفضل أشمل ولاشك أن رب شعبان ورمضان واحد وهو الإله الواحد، وفضله وجوده وكرمه للضعفاء من الموحدين في كل يوم بل لحظة وارد، والأعمال بالنيات، والفضل جزيل.

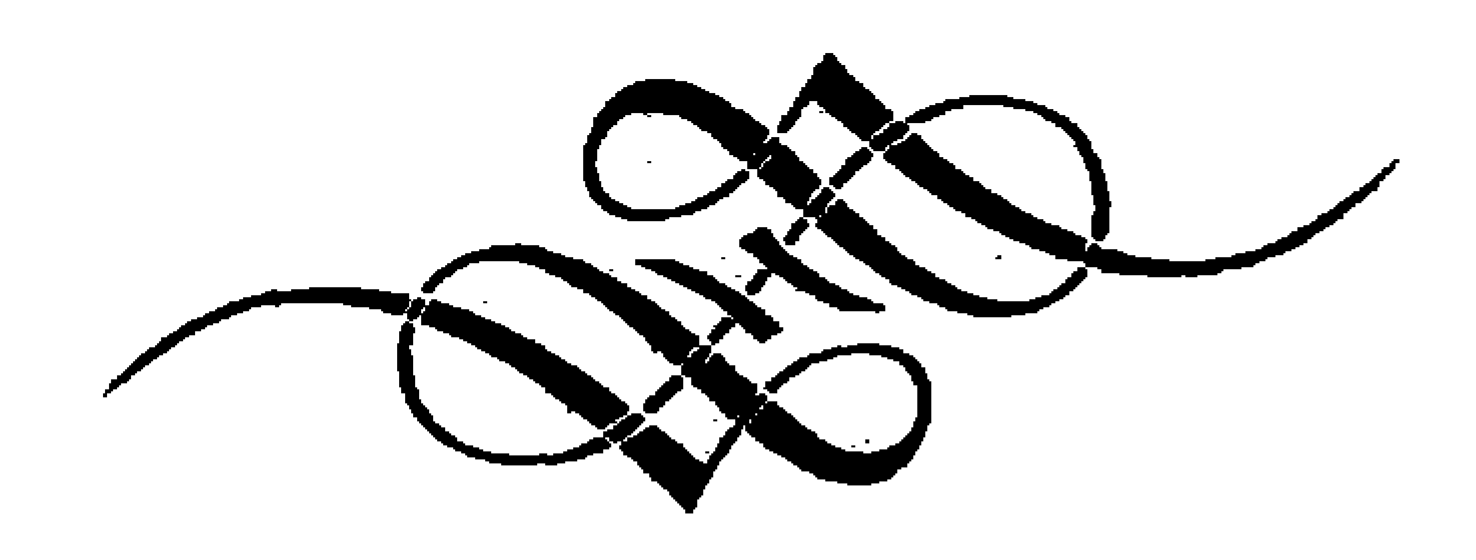


(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ٣١٢).
(٢) صحيح: رواه الحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم: ٢٧٢).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٩٩٦).

٢١ ـ ريح الجيف (*)

حكى غير واحد أن عبد الرحمن الداخل لما هرب من الشام إلى إفريقية قاصدًا الأندلس، نزل بمغيلة[١]، فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس، ويُكنى أباقرة، فاستتر عنده وقتًا، ولحق به بدر مولى أبيه بجوهر وذهب أنفذته أخته إليه، فلما دخل الأندلس، واستتب أمره به سار إليه أبو قرة وانسوس البربري، فأحسن إليه، وحظى عنده، وأكرم زوجته (تكفات) البربرية التي خبأته تحت ثيابها عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه، فقال لها عبد الرحمن مداعبًا حين استظلت بظله في الأندلس: لقد عذبتني بريح إبطيك يا تكفات على ما كان بي من الخوف، وسطعتني[٢] بأنتن ريح الجيف.

فكان جوابها له مسرعة: بل ذلك كان والله يا سيدي منك، خرج ولم تشعر به من فرط فزعك، فاستظرف جوابها، وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك، وهذا من آفات المزاح.



(*) «نفح الطيب» (١/ ٣٢٢)

(١) مغيلة: إقليم من أعمال شذونة بالأندلس. «معجم البلدان» (٥/ ١٦٣)

(٢) سطعتني: يقال سطعتني رائحة المسك إذا طارت إلى أنفي

٢٢ ـ كيف علمت ذلك؟[*]

قال نعيم بن حماد عن إبراهيم بن مرزوق البصري: كنا عند إياس بن معاوية قبل أن يُستقضى، وكنا نكتب عنه الفراسة، كما نكتب عن المحدث الحديث، إذ جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد، فجعل يترصد الطريق، فبينا هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً، فنظر إلى وجهه، ثم رجع إلى موضعه، فقال إياس: قولوا في هذا الرجل. قالوا: ما نقول؟ رجل طالب حاجة. فقال: هو معلم صبيان، قد أبق له غلام أعور.

فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته؟ فقال: هو غلام لي آبق، قالوا: وما صفته؟، قال: كذا وكذا، وإحدى عينيه ذاهبة، قلنا: وما صنعتك؟ قال: أعلم الصبيان، قلنا لإياس: كيف علمت ذلك؟ قال: رأيته جاء، فجعل يطلب موضعًا يجلس فيه، فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه، فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر الملوك، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك، فلم أجدهم إلا المعلمين، فعلمت أنه معلم صبيان، فقلنا: كيف علمت أنه أبق له غلام؟، قال: إني رأيته يترصد الطريق، ينظر في وجوه الناس قلنا: كيف علمت أنه أعور؟ قال: بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً قد ذهبت إحدى عينيه، فعلمت أنه اشتبه عليه بغلامه.

(*) «الطرق الحكمية» لابن القيم (ص:٣٣).

٢٣ - هذا من لصوص الجن (*)

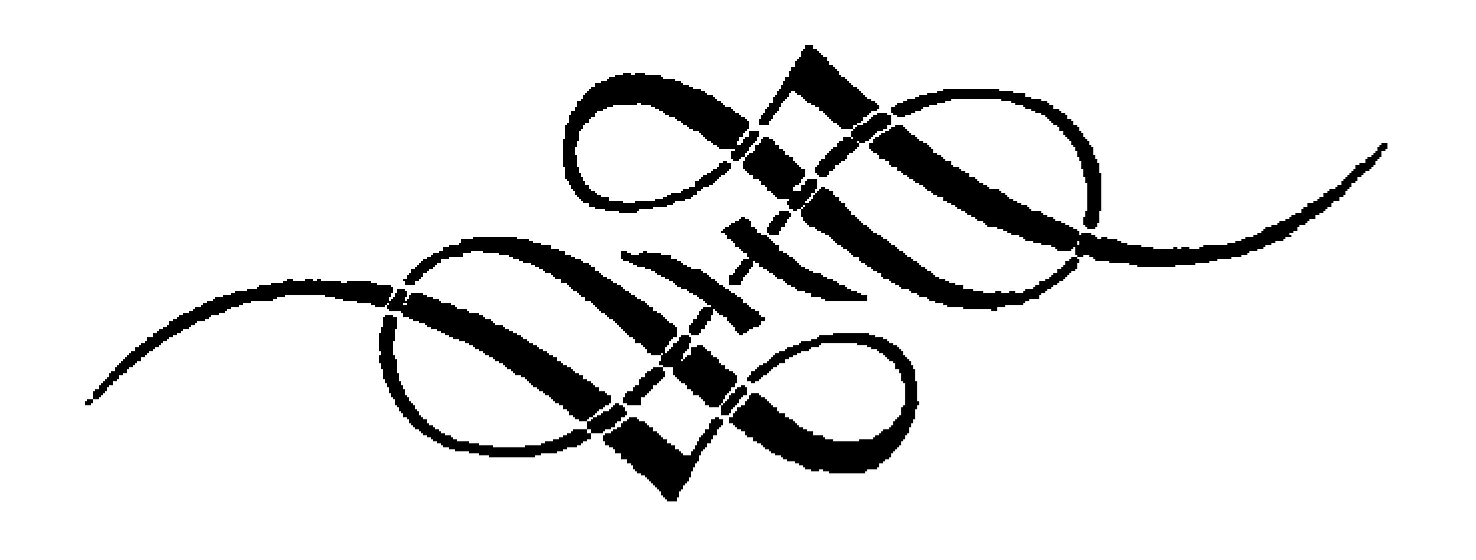
حكي: أن الأصمعي دخل يومًا على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين كانت لي حاجة في ضيعة كذا، فلقيني من كاد يقتلني، قال: وما هو؟ قال: بينما أنا في وسط البيداء، وإذ بشيء قبض على خناقي، ولم أره، فقلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا من شعراء الجن، فقلت له: وما تريد مني؟ قال: أريد منك أن تصف لي في هذا الوقت ما أخبث الأرض، وما أطيبها، وما أضيقها، وما أوسعها؟، فقلت له: أو أُحسن ذلك وأنت قابض على خناقي فاطلقني؟، وأردت أن أعجزه، فقلت له: لا يحصل لي باعث على النظم إلا بالجائزة العظيمة، فقال: أتطلب كثيرًا؟ فقلت: ألف دينار، فقال: اثبت مكانك، فوقفت يسيرًا، وإذا بصرة وقعت من الهواء فأخذتها وضعتها في كمي وقلت:

من لم يكن بين أقوام يسر بهم ٭ فكل أوقاته نقص وخسران
فأطيب الأرض ما للنفس فيه هوى ٭ سم الخياط مع الأحباب ميدان
وأخبث الأرض ما للنفس فيه أذى ٭ خضر الجنان مع الأعداء نيران

فقال: الأعتراف إنصاف لقد أعجبني حسن بديهتك، ولكن صف لي هذه الأرض من أي الأراضي؟ فقلت له: إن لم تحرمني الجائزة، ولم تقتلني فهي أطيب الأرض، وأوسعها وإن قتلتني وأحرمتني الجائزة، فهي أخبث الأرض،

(*) «لطائف أخبار الأول» (ص: ١٥٤).

وأضيقها، فضحك كالرعد القاصف، فارتعدت منه، فقال لي: ما بالك ارتعدت وقد انبسطت معك اليوم؟ فقلت له: إذا كان بسطك يروعني، فكيف انقباضك؟ فضحك أكثر من الأول، وقال: اذهب يا أصمعي يحق للملوك أن يدنوك من مجالسهم، فقال الرشيد: أرني الصرة، فاظهرتها له، فقال الرشيد: هذه من خزائني، وعليها ختمي هذا من لصوص الجن فسبحان من نجاك مني.



٢٤ - منع الموجود سوء الظن بالمعبود(*)

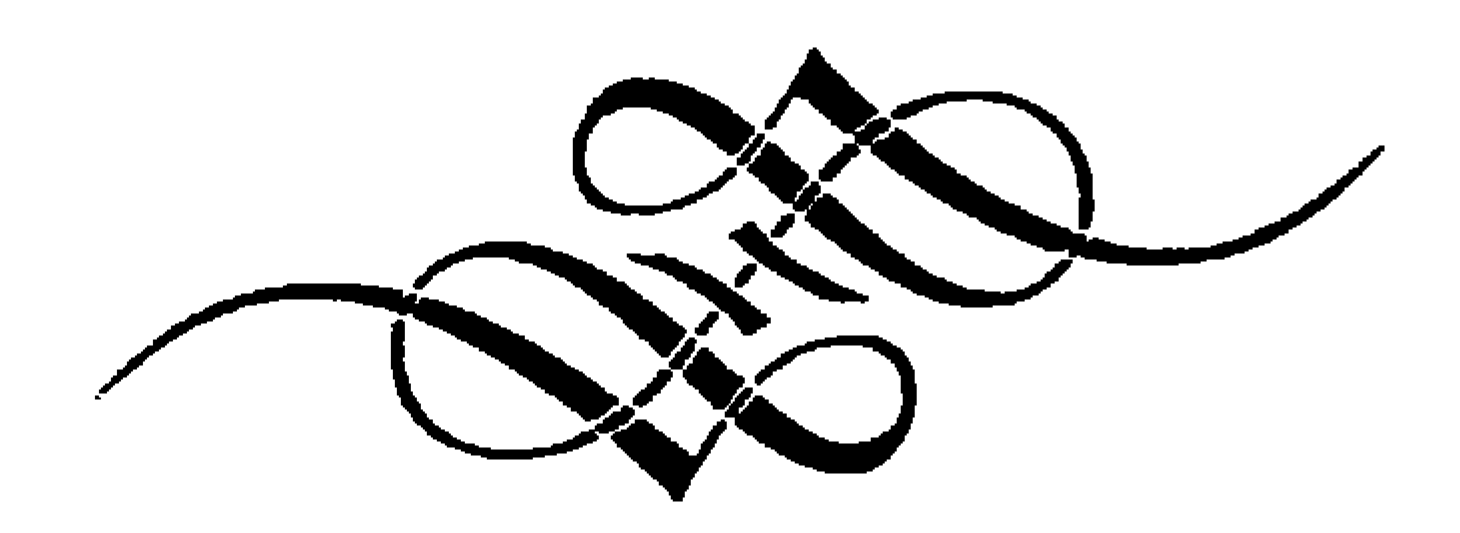
قدم ابن أبي صفرة على المأمون فقال له: يا محمد، أردت أن أوليك فمنعني إسرافك في المال.

فقال: يا أمير المؤمنين، منع الوجود سوء الظن بالمعبود.

فقال له المأمون: لو شئت أبقيت على نفسك.

فقال محمد: من له مولى غني لا يفتقر.

فاستحسن المأمون ذلك منه وولاه عملاً.



(*) «النجوم الزاهرة» (٢/ ٢٦٥).

- هو محمد بن المهلب بن أبي صفرة، وكان من أكابر الأمراء، ولي إمرة البصرة والصلاة بها وغيرها، وكان جوادًا ممدحًا.

- قيل للعقبي: مات محمد بن عباد، فقال: نحن متنا بفقده وهو حي بمجده.

٢٥ ـ أتدري لمن أعدها الله؟(*)

عن مُطهر بن الهيثم الطائي عن أبيه قال: حج سليمان بن عبد الملك، فخرج حاجبه فقال: إن أمير المؤمنين قال: ابغوا لي فقيهًا أسأله عن بعض المناسك، قال: فمر طاوس ـ بن كيسان ـ فقالوا: هذا طاوس اليماني فأخذه الحاجب، فقال: أجب أمير المؤمنين، قال: أعفني، فأبى، ثم أدخله عليه، قال طاوس: فلما وقفت بين يديه قلت: إن هذا المجلس يسألني الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جُبٍّ في جهنم هوت فيها سبعين خريفًا حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله؟، قال: لا، ويلك لمن أعدها؟، قال: لمن أشركه الله في حكمه فجار، قال: فكبا لها ـ أي تأثر وأخذ به الهم ـ.

فهذه موعظة بليغة من الإمام طاوس بن كيسان اليماني الذي قلَّما يدخل على الولاة، فلما ساقه القدر للقاء أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك اغتنم تلك الفرصة ليتقرب إلى الله تعالى بعمل هو من أعلى الأعمال وأزكاها، وهو تقديم النصيحة لولي الأمر، فذكَّره بما أعده الله جلَّ وعلا لأولياء الأمور من العذاب يوم القيامة إذا جاروا في حكمهم، فتأثر سليمان بن عبد الملك من موعظته، ولعله كان لها أثر في ميله نحو العدل، وكون طاوس ذكر الله تعالى وموقفه بين يديه يوم القيامة دليل على قوة إيمانه وعمق يقينه، فكان ذلك دافعًا إلى تقديم النصح لأمير المؤمنين وتذكيره بشيء من هول يوم القيامة الذي أُعدَّ لمن حكم ولم يعدل، ولو كانت الدنيا هي التي تعمر قلب ذلك العالم لانصرف إلى الثناء على ذلك الأمير وتعداد فضائله.

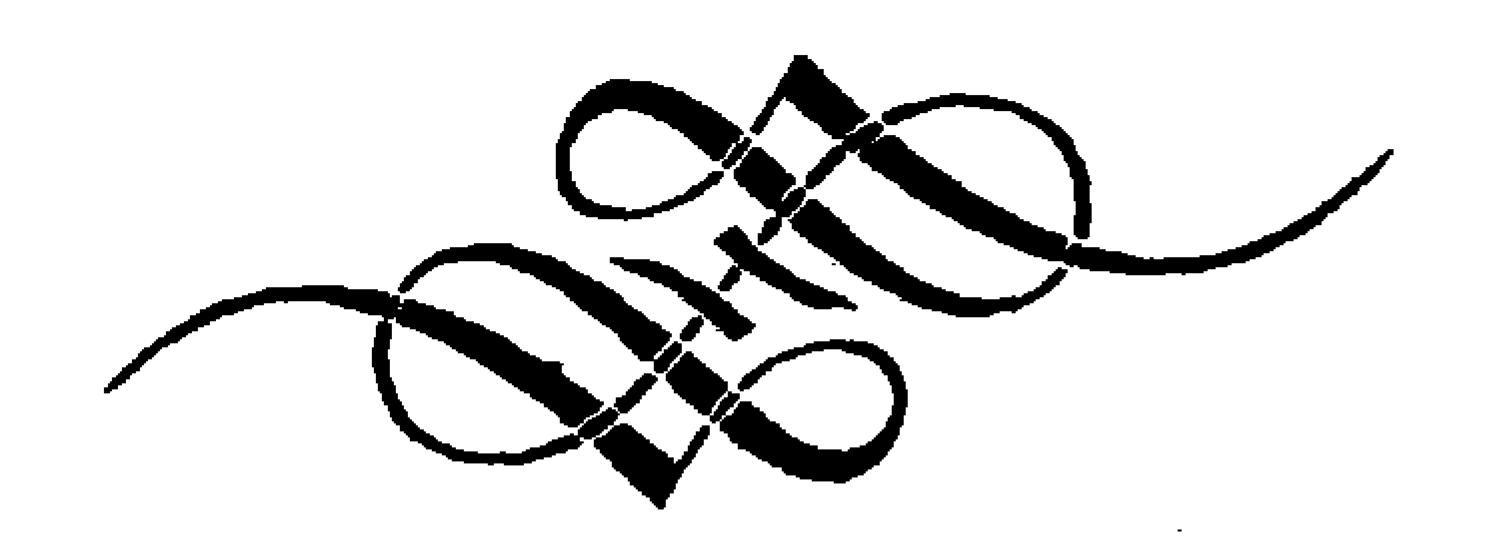
(*) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥/ ٤٢)، «التاريخ الإسلامي» الحميدي (١٠/ ٣٦٧).

٢٦ ـ قم يا مشؤوم(*)

كان يوحنا بن ماسويه الطبيب مع الواثق على دكان في دجلة ومع الواثق قصبة فيها شص[1] وقد ألقاها في دجلة ليصيد بها السمك، فحرم الصيد، فالتفت إلى يوحنا وكان على يمينه، فقال: قم يا مشؤوم عن يميني.

فقال له يوحنا: يا أمير المؤمنين، لا تتكلم بمحال، يوحنا بن ماسويه الخوزي وأمه رسالة الصقلبية المبتاعة بثمانمائة درهم أقبلت به السعادة إلى أن صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم، وحتى غمرته الدنيا فنال منها ما لم يبلغه أمله،ن فمن أعظم محال أن يكون هذا مشؤومًا، ولكن إن أحب أمير المؤمنين أن أخبره بالمشؤوم من هو، أخبرته، فقال: ومن وهو؟

فقال: من ولدته أربع خلفاء ثم ساق الله إليه الخلافة، فترك خلافته وقصورها وبساتينها وقعد في وسط دجلة، لا يأمن عصف الريح عليه فتغرقه، ثم تشبه بافقر قوم في الدنيا وهم صيادو السمك.



(*) «عيون الأنباء» (ص:٢٤٩).

(١) حديدة يصاد بها السمك.

٢٧ ـ من أنت؟[*]

استأذن حاجب بن زرارة على كسرى.

فقال له الحاجب: من أنت؟

قال: أنا رجل من العرب.

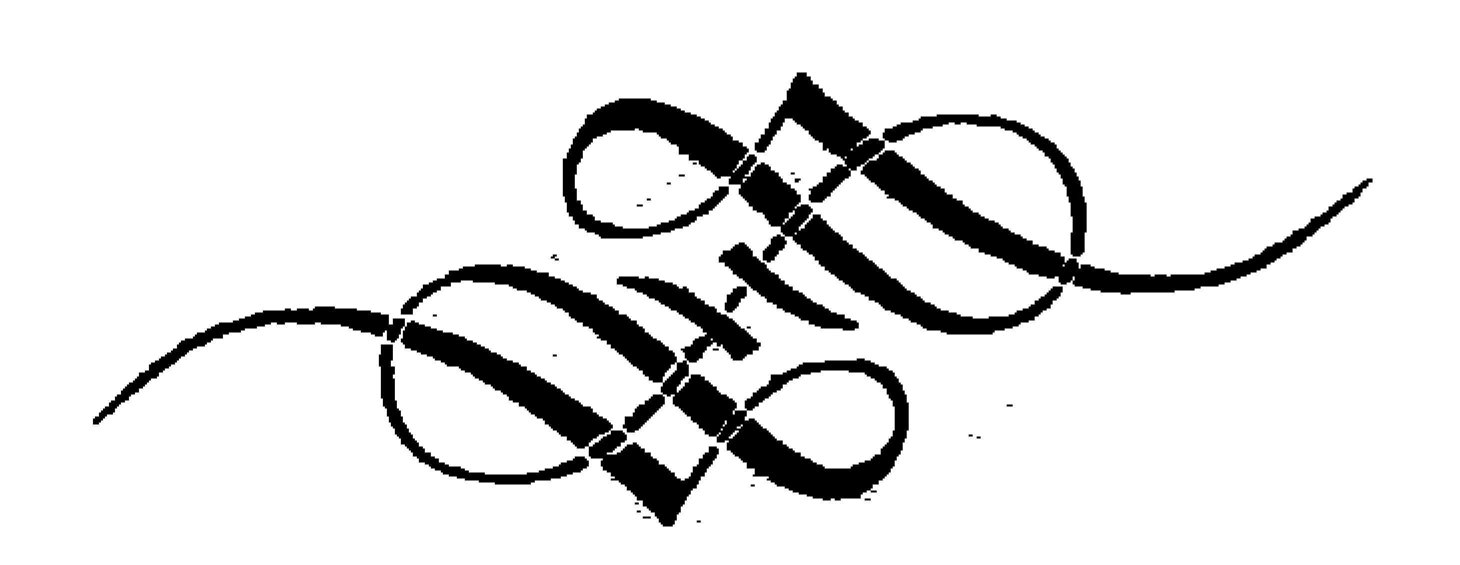
فأذن له، فلما وقف بين يديه قال له: من أنت؟

قال: سيد العرب.

قال: ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟

قال: بلى، ولكنني وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم، فلما وصلت إلى الملك سدتهم.

فقال كسرى: احشوا فاه دراً.



(*) «الأذكياء» (ص:١١٨).

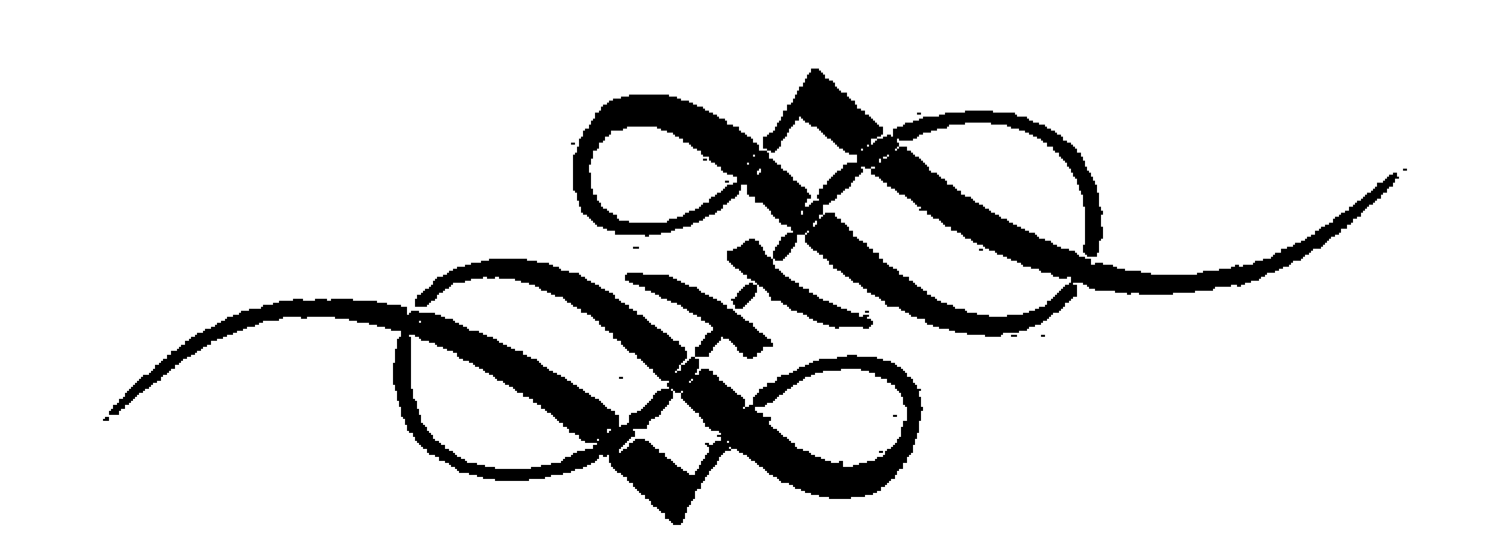
٢٨ - لا نرضاها لبنات إبليس(*)

خطب خالد بن صفوان امرأة فقال: أنا خالد بن صفوان؛ والحسب على ما قد علمتيه، وكثرة المال على ما قد بلغك، وفيَّ خصال سأبينها لك فتقدمين عليَّ أو تدعين.

قالت: وما هي؟

قال: إن الحرة إذا دنت مني أملتني، وإذا تباعدت عني أعلتني، ولا سبيل إلى درهمي وديناري، ويأتي عليَّ ساعة من الملال لو أن رأسي في يدي نبذته.

فقالت: قد فهمنا مقالتك ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصالاً لا نرضاها لبنات إبليس، فانصرف رحمك الله.



(*) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٤/ ١٤).

٢٩ - كلاهما بريئة(*)

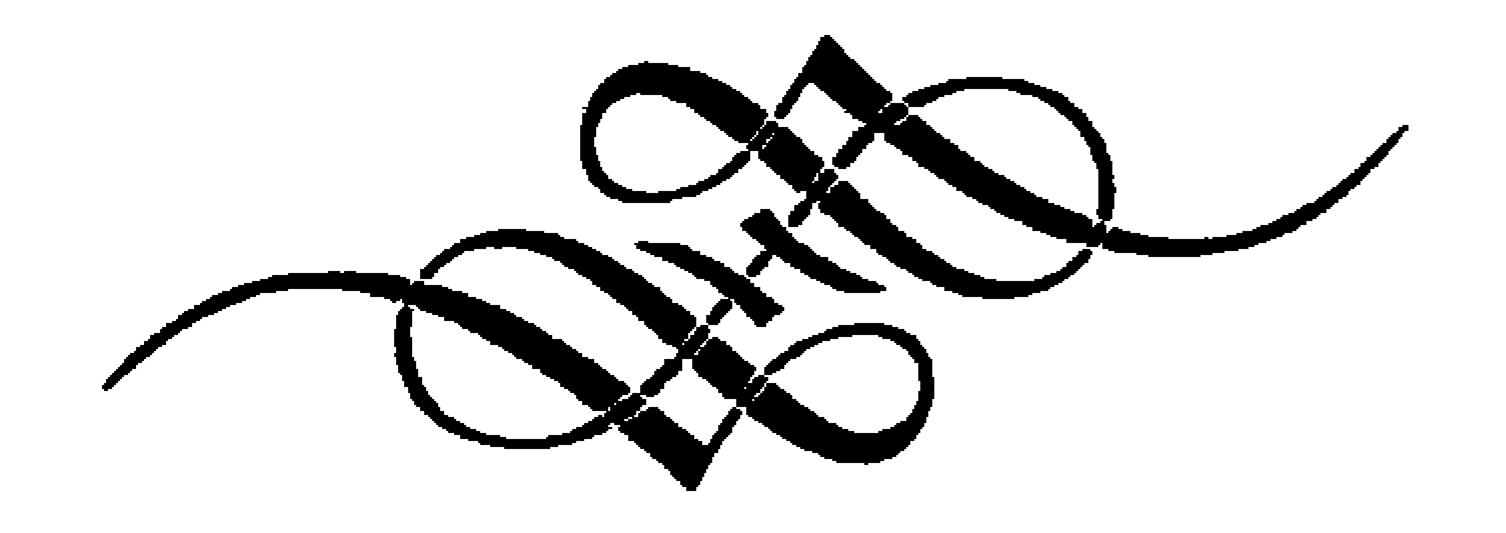
ذكر الخطيب وغيره أن عضد الدولة بعث القاضي أبو بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما انتهى إليه إذ هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع، ففهم الباقلاني أن مراده أن ينحني الداخل له كهيئة الراكع لله عزَّ وجلَّ، فأدار أسته إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشي إليه القهقري، فلما وصل إليه انفتل فسلم إليه، فعرف الملك ذكائه ومكانه من العلم والفهم، فعظمه.

ويقال أن الملك أحضر بين يديه آله الطرب المسماة بالأرغل ليستفز عقله بها، فلما سمعها الباقلاني خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك، فجعل لا يألوا جهداً أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير، فاشتغل بالألم عن الطرب، ولم يهظر عليه شيء من النقص والخفة، فعجب الملك من ذلك، ثم إن الملك استكشف الأمر فإذا هو قد جرح نفسه بما اشغله عن الطرب، فتحقق للملك وفور همته وعلو عزيمته، فإن هذه الآلة لا يسمعها أحد إلا طرب شاء أم أبى.

وقد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان من أمرها بما رميت به من الإفك؟

(*) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٧٦).

فقال الباقلاني مجيبًا له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء: مريم وعائشة فبرأهما الله عزَّ وجلَّ، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج - يعني عائشة أولى بالبراءة من مريم - وكلاهما بريئة مما قيل فيهما، فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع، وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحي الله عزَّ وجلَّ، عليهما السلام.



٣٠ ـ ما حملك على هذا؟(*)

جاء في بعض المجاميع، بخط بعض العلماء الأكابر، أن المأمون أشرف يومًا من قصره فرأى رجلاً قائمًا وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره، فقال المأمون لبعض خدمه: اذهب إلى ذلك الرجل وانظر ما يكتب، وائتني به، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعًا وقبض عليه، وتأمل ما كتبه فإذا هو:

يا قصر جمع فيك الشؤم واللوم ٭٭ متى يعشش في أركانك البوم
يوم يعشش فيك اليوم من فرحي ٭٭ يكون أول من ينعيك مرغوم

ثم إن الخادم قال له: أجب أمير المؤمنين.

فقال له الرجل: سألتك بالله لا تذهب بي إليه.

فقال الخادم: لابد من ذلك.

ثم ذهب به، فلما مثل بين يديه المأمون أعلمه الخادم بما كتب، فقال له المأمون: ويلك، ما حملك على هذا؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لن يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلي، والحلل والطعام والشراب والفراش والأواني والأمتعة، والجواري والخدم، وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي، وإني يا

(*) «حياة الحيوان» (٢/ ٢٦٥).

أمير المؤمنين قد مررت الآن عليه وأنا في غـاية من الجوع والفاقة، فوقفت مفكراً في أمري، وقلت في نفسـي: هذا القصر عامر عـال، وأنا جائع، ولا فائدة لي فيه، فلـو كان خرابًا ومررت به لم أعـدم منه رخامة أو خشـبة أو مسماراً أبـيعه وأتقوت بثمنه.

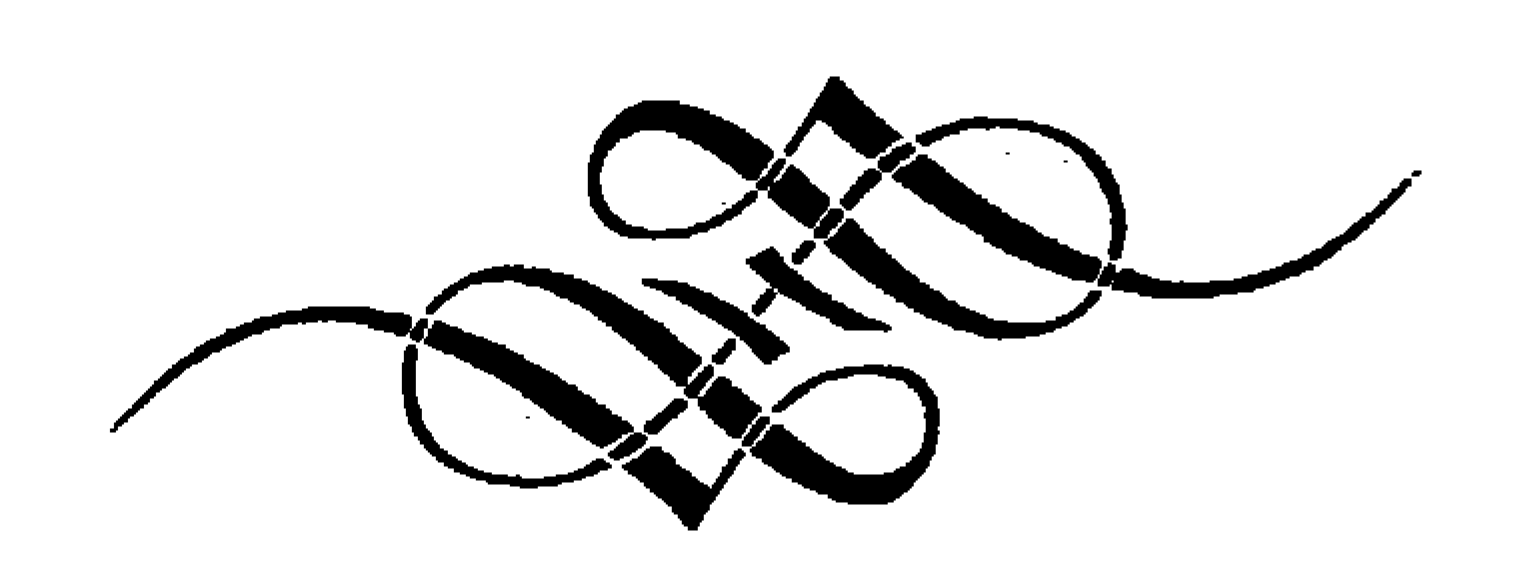
أوما علم أمير المؤمنين ما قال الشاعر؟

قال: وما قال الشاعر؟ قال:

إذا لم يكن المرء في دولة امـرىء ✲ نصـيب ولاحظ تمنى زوالهـا

ومـا ذاك من بغض لهـا غـيـر أنه ✲ يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون: اعطـه يا غلام ألف دينار، ثم قال له: هي لك في كل سنة، ما دام قصرنا عامراً بأهله..



٣١ - بكر أم مكر؟![*]

لما مثل المازني بين يدي الواثق قال: ممن الرجل؟

قال: من بني مازن.

قال الواثق: أي الموازن؟ أمازن تميم، أم مازن قيس، أم مازن ربيعة؟

قال: مازن ربيعة.

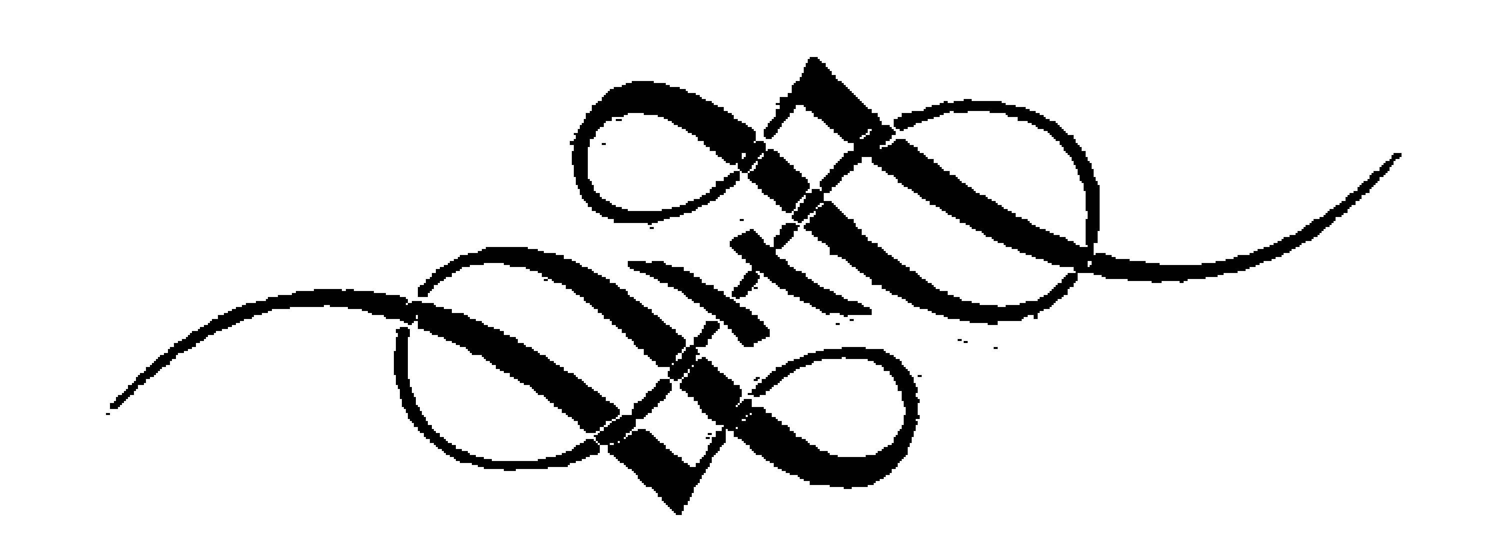
فكلمه الواثق حينئذ بلغة قومه.

فقال: با اسمك؟ - لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميمًا -.

فكره المازني أن يواجهه بمكر.

فقال: بكر يا أمير المؤمنين.

ففطن لها وأعجبته، وأعطاه ألف دينار.

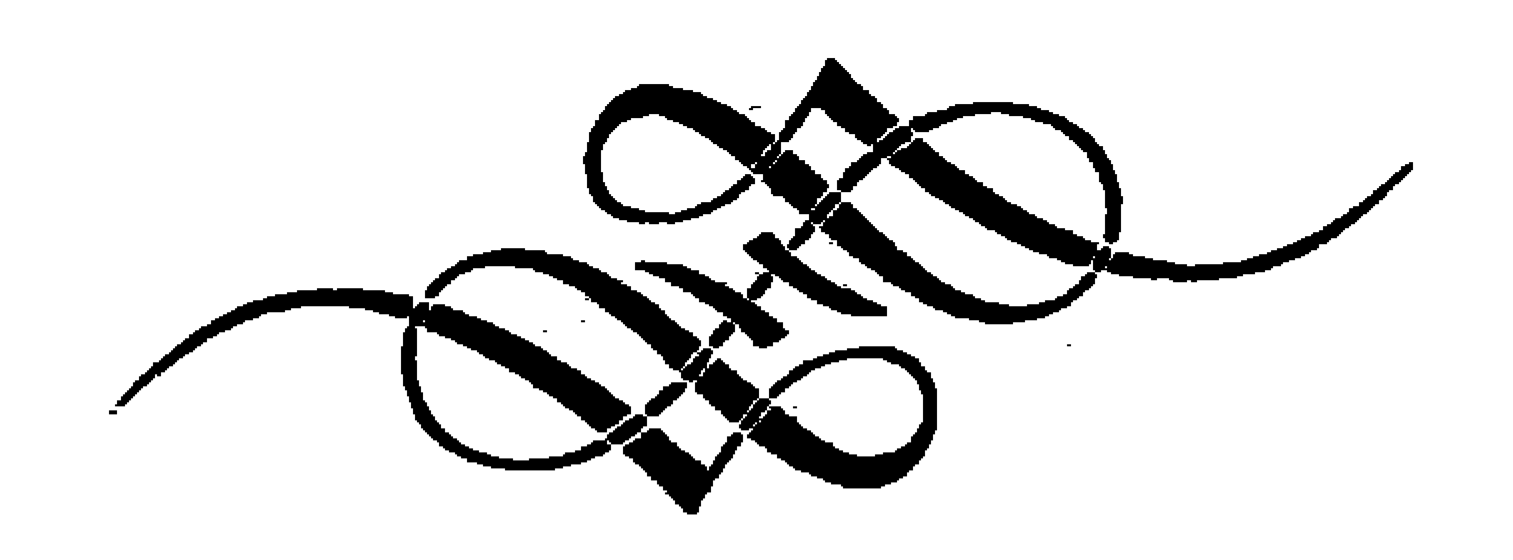


(*) «النجوم الزاهرة» (٢/ ٣١٩).

٣٢ ـ هذا من أعدل الشهود (*)

مما يحكى من محاسن القاضي محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة، ووفاته سنة ثلاثين وثلثمائة، أن العباس بن المعلي الكاتب كتب إليه: ما يقول القاضي وفقه الله تعالى في يهودي زنى بنصرانية فولدت ولداً جسمه للبشر ووجهه للبقر، وقد قبض عليهما، فما يرى القاضي فيهما؟

فكتب الجواب بديها: هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود، فإنهم أشربوا حب العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم، وأرى أن يناط برأس اليهودي رأس العجل، ويصلب على عنق النصرانية الرأس مع الرجل، ويسحبا على الأرض وينادى عليهما: ظلمات بعضها فوق بعض، والسلام.



(*) «حياة الحيوان الكبرى» (٦/ ٨٥٠).

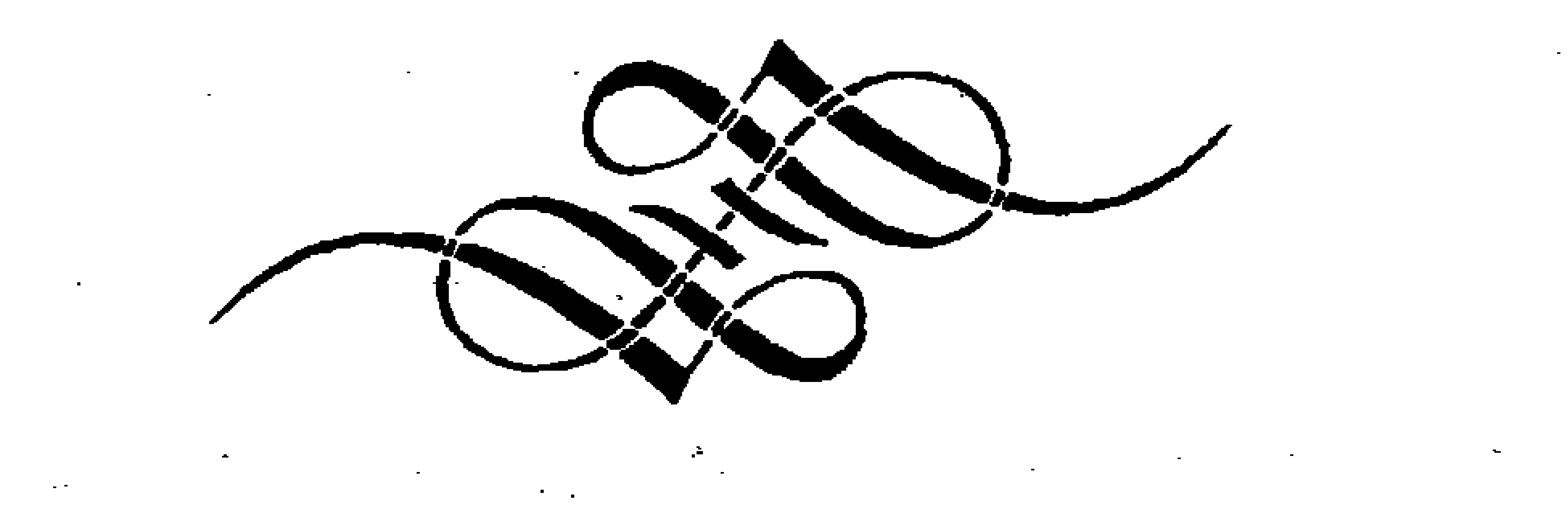
٣٢ ـ أنا جوعان(*)

كتب علي بن أفلح الكاتب وقد نقه من مرض كان به إلى الطبيب ابن التلميذ:

أنا جوعان فانقذني ** من هذي المجاعه
فرجى في الكسرة الخبز ** ولو كانت قطاعه[1]
لا تقل لي ساعة نصبر ** مالي صبر ساعه

فكتب إليه ابن التلميذ الجواب:

هكذا أضياف مثلي ** يتشكون المجاعه
غير أني ليس عندي ** لمضر من شفاعه
فتعلل بسويق ** فهو خير من قطاعه[2]
بحياتي قل: كما تر ** سمه سمعًا وطاعه



(*) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص: ٣٦٨).
(١) اللقمة التي يؤكل نصفها ويرد نصفها.
(٢) طعام يتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير المغلى.

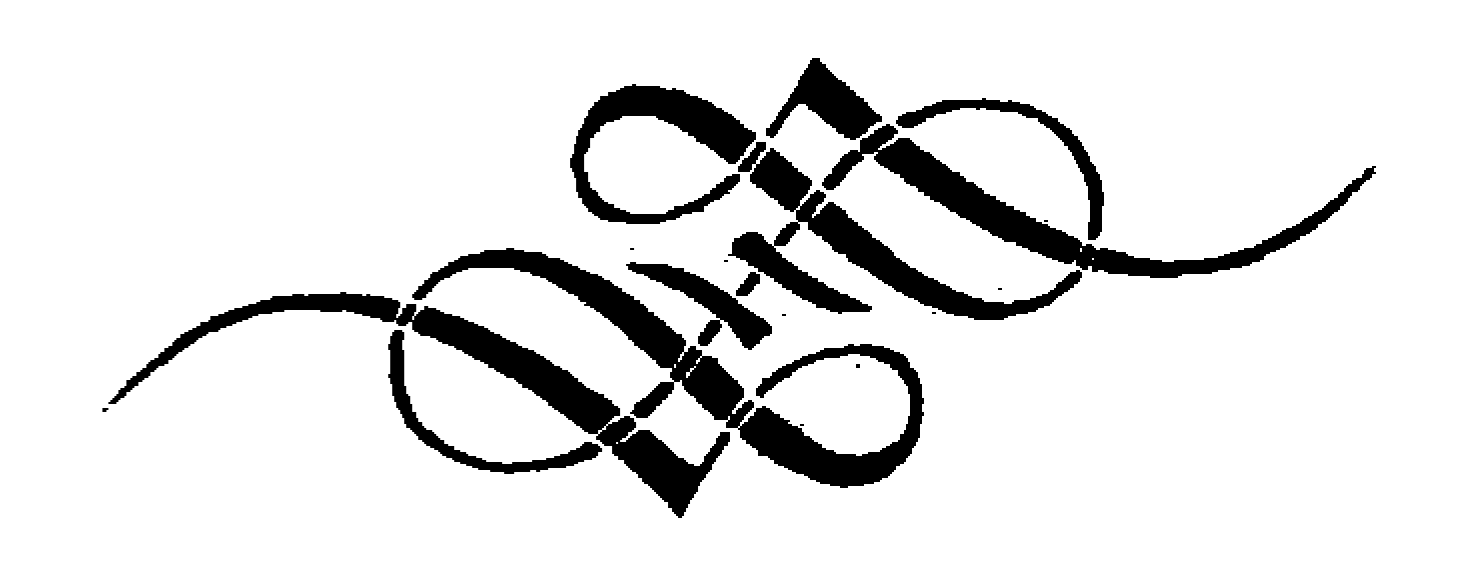
٣٤ ـ اخلع ثيابك(*)

قال أحمد بن المعدل البصري قال: كنت جالسًا عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، فجاءه بعض جلسائه، فقال: أعجوبة.

قال: ما هي؟ قال: خرجت إلى حائطي بالغابة، فلما أن أصحرت وبعدت عن البيوت (بيوت المدينة) تعرض لي رجل، فقال: اخلع ثيابك، فقلت: وما يدعوني إلى خلع ثيابي؟، قال: أنا أولى بها منك، قلت: ومن أين؟ قال: لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكس، قلت: فالمواساة؟. قال: كلا قد لبستها برهة، وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها، قلت: فتعريني وتبدي عورتي، قال: لا بأس بذلك قد روينا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يغتسل عريانًا، قلت: فيلقاني الناس فيرون عورتي؟ قال: لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها، فقلت: أراك ظريفًا، فدعني حتى أمضي إلى حائطي وأنزع هذه الثياب، فأوجه بها إليك، قال: كلا أردت أن توجه إلى أربعة من عبيدك، فيحملوني إلى السلطان، فيحبسني، ويمزق جلدي، ويطرح في رجلي القيد، قلت: كلا، أحلف لك أيمانًا أني أوفي لك بما وعدتك ولا أسوءك، قال: كلا

(*) «الأذكياء» (ص: ٢٣٦).

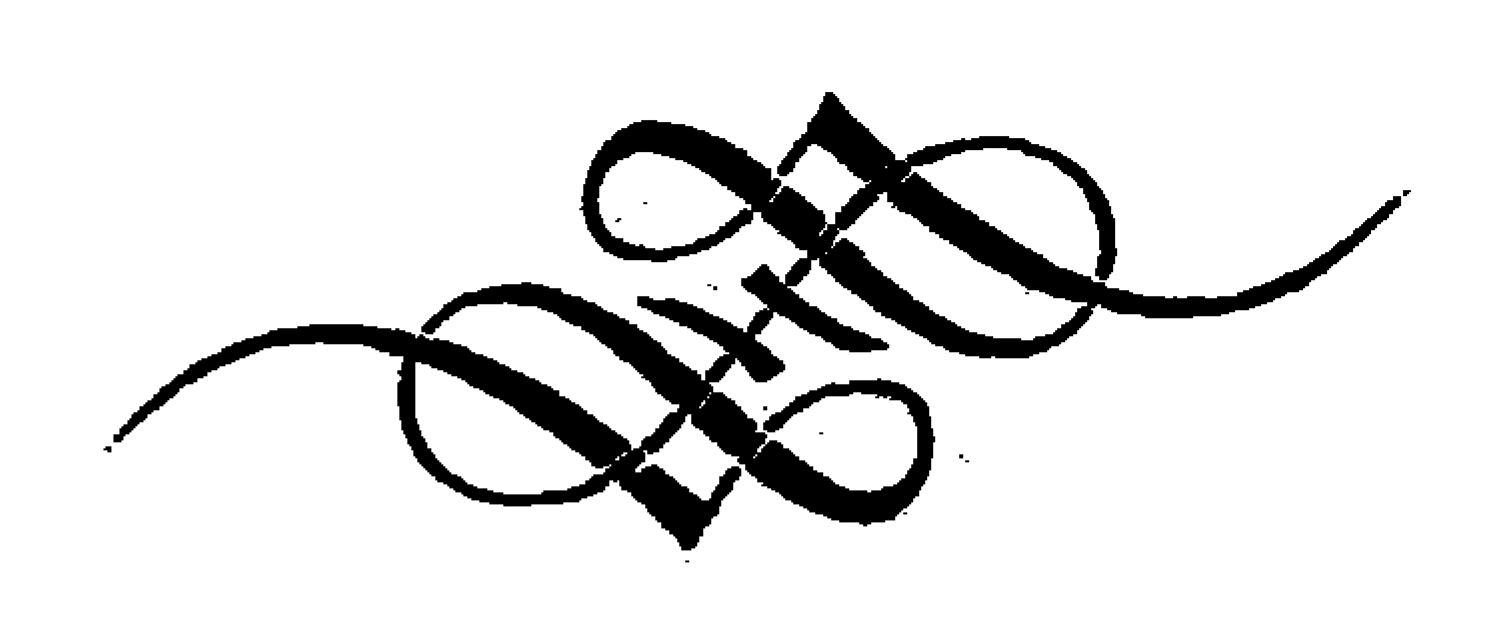
إنا روينا عن مالك أنه قـال: لا تلتزم الإيمان التي يحلف بهـا اللصوص، قلت: فأحلـف إني لا أحتال في إيمـاني هذه، قال: هذه يمين مـركبة على الـلصوص، قلت: فـدع المناظرة بيننا، فوالله لأوجـهن إليك هذه الثيـاب طيبـة بها نفـسي، فأطرف، ثم رفع رأسه وقال: تدري فيم فـكرت؟ قلت: لا، قال: تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا، فلم أجـد لصًا أخذ نسيئة، وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون علي وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة، اخلع ثيابك، قال: فخلعتها ودفعتها إليه، فأخذها وانصرف.



٣٥ ـ وما ذاك يا وانزمار؟(*)

تقدم إلى المنصور وانزمار بن أبي بكر البرزالي أحد جنود المغاربة، وقد جلس للعرض والتمييز، والميدان غاص بالناس، فقال له بكلام يُضحك الثكلى: يا مولاي، مالي ولك، أسكني فإني في الفحص، فقال: وما ذاك يا وانزمار؟

فقال: أخرجتني عنها والله نعمتك، أعطيتني من الضياع ما انصب عليَّ منها من الأطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجني عنها، وأنا بربري مجوع حديث عهد بالبؤس، أتراني أبعد القمح عني؟ ليس ذلك من رأسي، فتطلق المنصور، وقال: لله درك من فذعيى، لعيُك في شكر النعمة أبلغ عندنا، وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد وبليغ متفنن، وأقبل على من حوله من أهل الأندلس، فقال: يا أصحابناه هكذا فلنشكر الأيادي وتستدام النعم، لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم، والتشكي المبرح، وأمر له بأفضل المنازل الخالية.

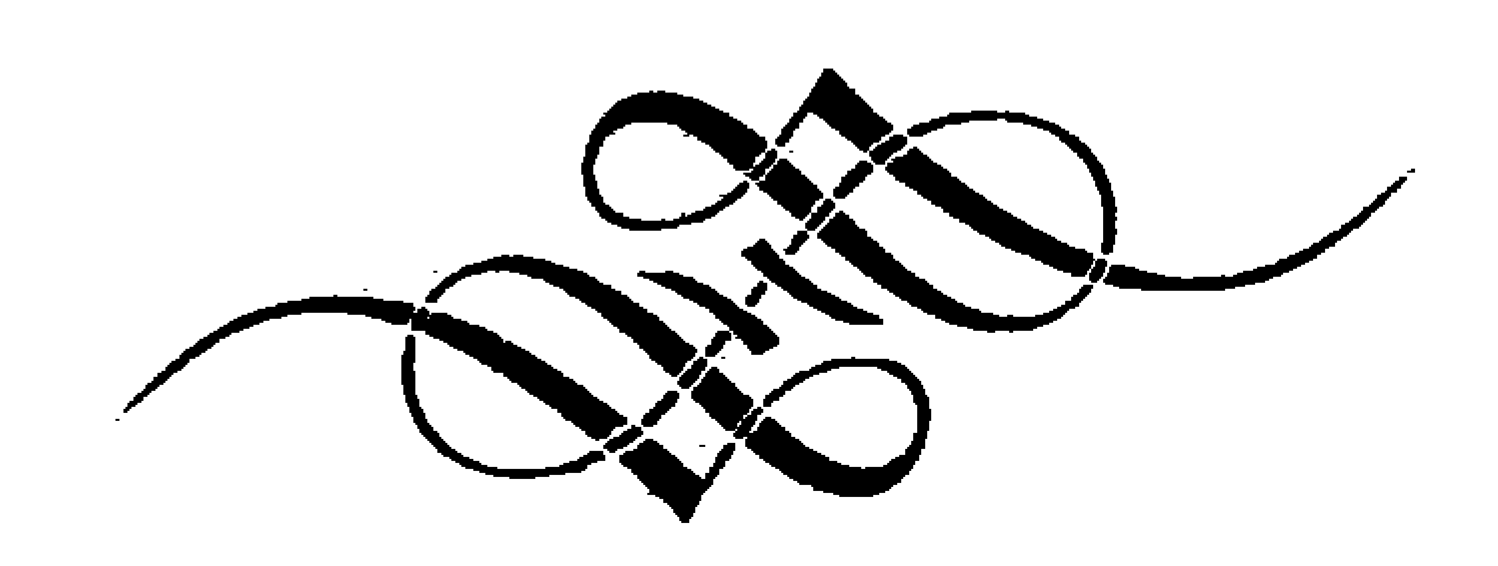


(*) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري (١/ ٤٠٠).

٣٦ ـ فهل عندك سوى ذلك؟(*)

خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى جميلاً، فأرسلت إليها المرأة: لابد أن أراكما، وأسمع كلامكما، فاحضرا إن شئتما، فأجلستهما بحيث تراهما، فعلم المغيرة أنها تؤثر عليه الفتى، فأقبل عليه، فقال: لقد أوتيت حسنًا وجمالاً وبيانًا، فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم، فعدد عله محاسنه، ثم سكت. فقال المغيرة: فكيف حسابك فقال: لا يسقط علي منه شيء، وإني لأستدرك منه أقل من الخردلة، فقال له المغيرة: لكني أضع البدرة في زاوية البيت، فينفقها أهل بيتي على ما يريدون، فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها.

فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليَّ من الذي يحصى عليَّ أدنى من الخردلة، فتزوجت المغيرة.



(*) «الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية» لابن القيم (ص: ٣٧).

٣٧ - كلانا على خير وبر(*)

قال ابن عبد البر في (التمهيد): كتب العمري العابد إلى مالك يحضه على الأنفراد والعمل، ويرغبه عن الاجتماع عليه في العلم، فكتب إليه مالك: إن الله عزّ وجلّ قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم.

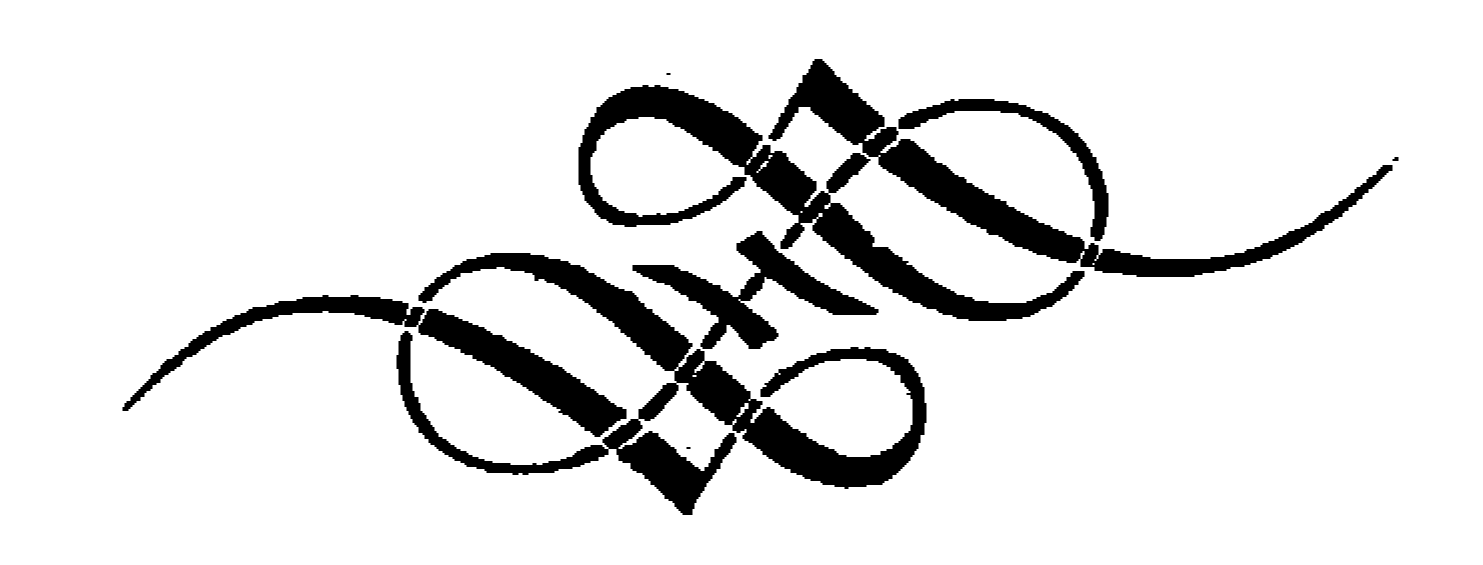
وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام.

وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة.

ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر.

وقد رضيت بما فتح الله لي فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له، والسلام.



(*) «حياة الحيوان الكبرى» (٨/ ١٢٢٠).

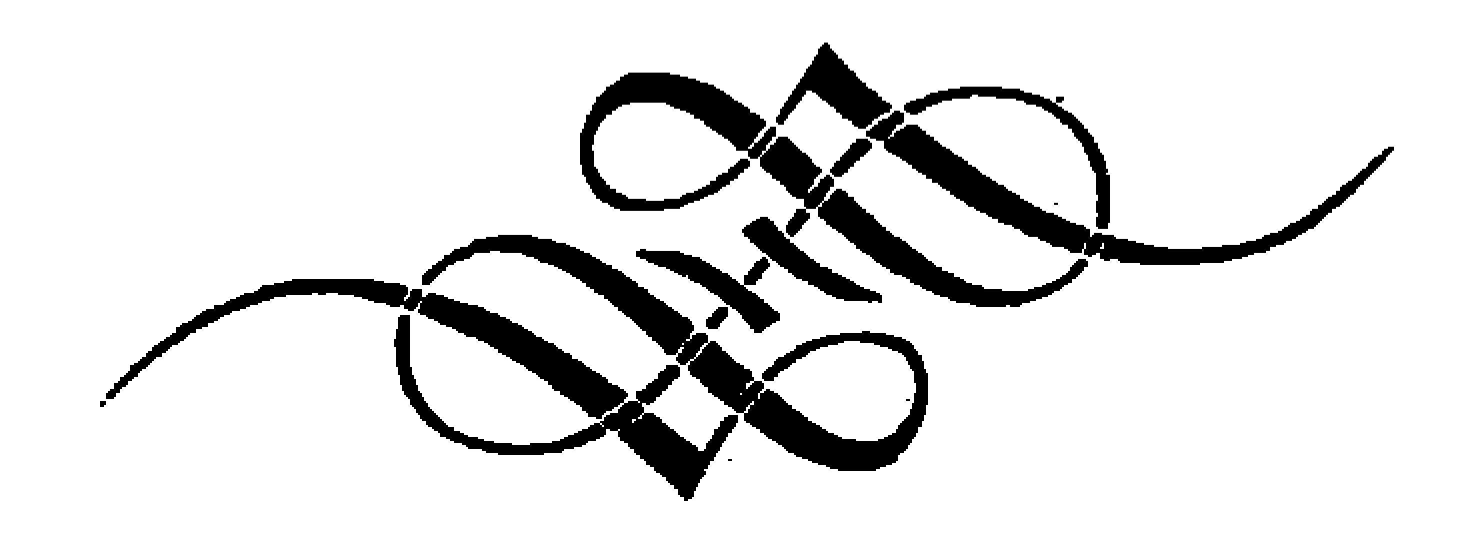
٣٨ ـ ما كنت لأهب شيئا وأرجع فيه[*]

قال جحظة: اجتمعنا عند الرشيد فقال للمفضل: أخبرني بأحسن ما قالت العرب في الذئب ولك هذا الخاتم، وشراؤه ألف وستمائة دينار، فقال: أحسن ما قيل فيه:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ۝ بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

فقال الرشيد: ما ألقى الله هذا على لسانك إلا لذهاب الخاتم، ورمى به إليه، فبلغ زبيدة[1] فبعثت إلى المفضل بألف وستمائة دينار وأخذت الخاتم منه وبعثت به إلى الرشيد، وقالت: كنت أراك تعجب به، فألقاه إلى المفضل ثانيًا وقال له: خذه وخذ الدنانير.

ما كنت لأهب شيئًا وأرجع فيه.



(*) «النجوم الزاهرة» (٢/ ٨٧).

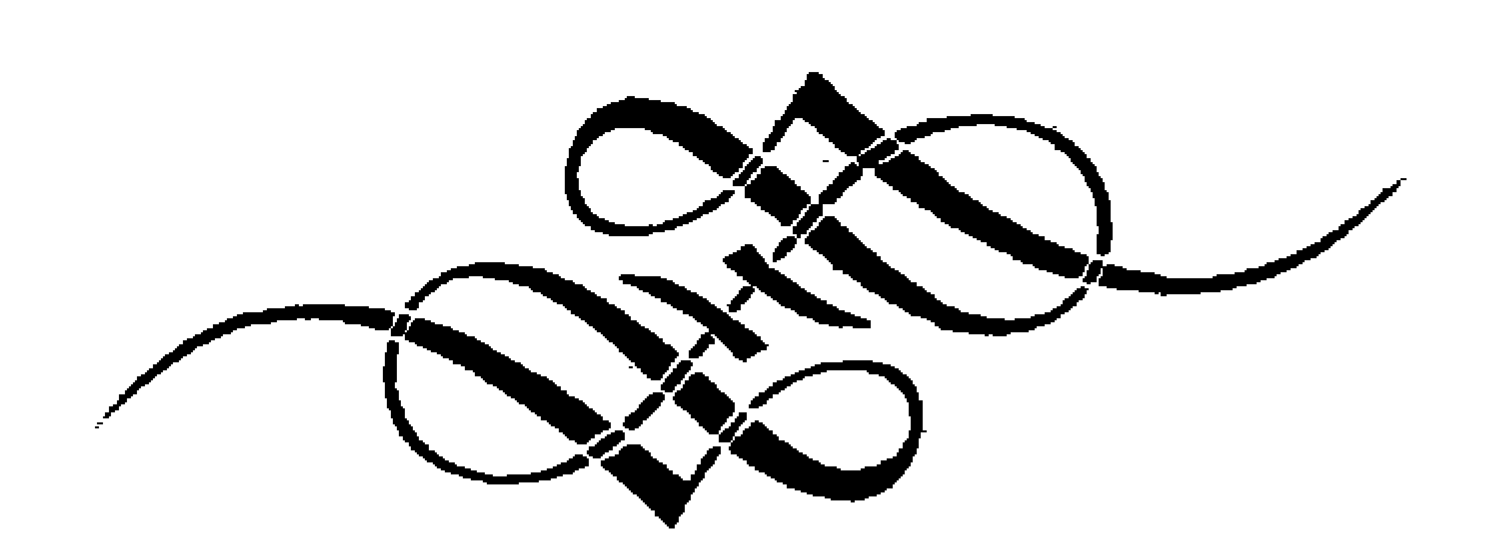
(١) هي زُبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، زوجة هارون الرشيد، واسمها: أمة العزيز، وغلب عليها لقبها زُبيدة، «الأعلام» (٣/ ٤٢).

٣٩ ـ قضيت عليَّ بالباطل(*)

لما مات غوثن قاضي مصر، ولي القضاء المفضل بن فضالة بن عبيد القتباني، وهو أول القضاة بمصر طوَّل الكتب، وكان أحد فضلاء الناس وخيارهم.

قال: أخبرني بعض مشايخ البلد أن رجلاً لقيه بعد أن عزل فقال: حَسيبُك اللهُ، قضيت عليَّ بالباطل وفعلتَ وفعلتَ.

فقال له المفضل: لكن الذي قضينا له يُطيب الثناء.



(*) «فتوح مصر» (ص: ٤٠٧).

٤٠ - إني لا أحكم في غائب(*)

قال أبو يوسف القاضي: تحاكم إليَّ الرشيد وزبيدة في: «الفالوذج» و«اللوزينج» أيهما أطيب؟

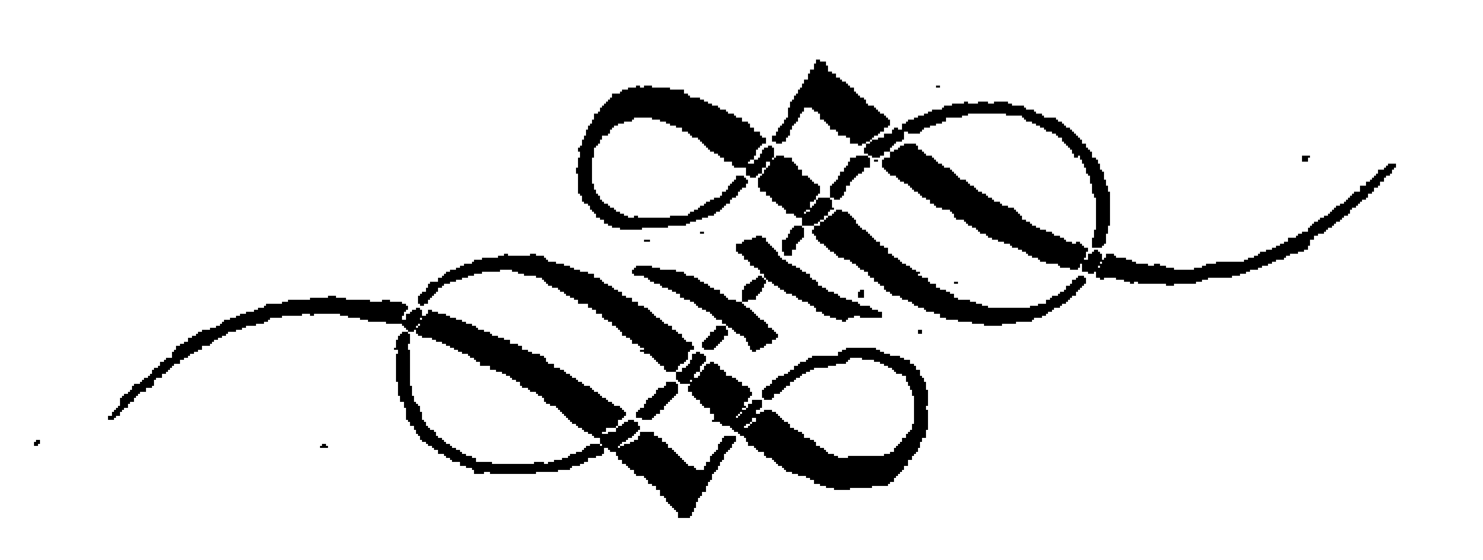
فقلت: إني لا أحكم في غائب!

فأمر الرشيد باتخاذهما، وتقديمهما بين يدي!

فلما أُحضرا، جعلت آكل من هذا مرة، ومن هذا أخرى، حتى نصفت الجامين!

فقال لي الرشيد: أيهما أطيب؟

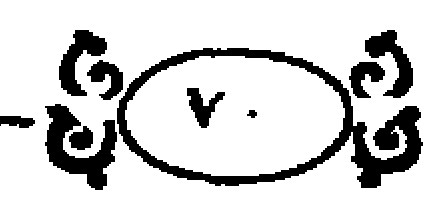
فقلت: يا أمير المؤمنين! كلما أردت أن أشهد لأحدهما منعني الآخر بحجته!



(*) «القول النبيل» (ص: ٥٠).

الفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق، والماء، والعسل، وتعرف عند أهل مصر «بالبولوظة».

اللوزينج: شبه القطائف، تؤدم بدهن اللوز.



٤١ ـ بما أوجبت ذلك عليَّ؟(*)

أنشد الفرزدق لسليمان بن عبد الملك القصيدة التي يقول فيها:

ثلاث واثنتان فهنَّ خمس ⁂ وسادسة تميل إلى شمام[1]

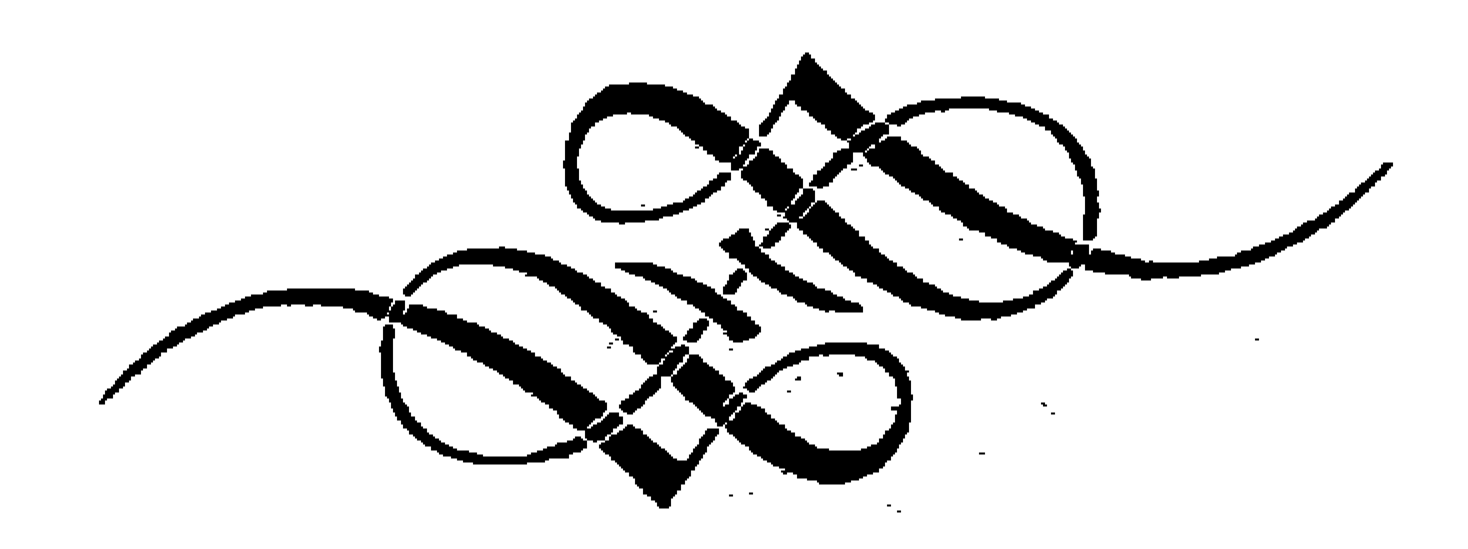
فبتن بجانبي مصرعات ⁂ وبت أفضي أغلاق الختام

كأن مفالق الزمان فيها ⁂ وجمر غضى قعدن عليه حامي

فقال سليمان: أحللت نفسك يا فرزدق: أقررت عندي بالزنا وأنا إمام، ولا بدلي من إقامة الحد عليك، فقال: بم أوجبت ذلك عليَّ يا أمير المؤمنين؟

فقال: بكتاب الله[2]، قال: فإن كتاب الله يدرأ عني، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿ والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦).

فأنا قلت ما لم أفعل.



(*) «عيون الأخبار» (٤/ ١٠٧).

(١) الشمام: القُبَلُ.

(٢) يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (سورة النور: ٢).

٤٢ ـ رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة(*)

روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى حماد بن محمد أنه قال: كتب رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن شيء ليس له لحم ولا دم تكلم.

وعن شيء ليس له لحم ولا دم سعى؟

وعن شيء ليس له لحم ولا دم تنفس؟

وعن اثنين ليس لهما لحم ولا دم خوطبًا وأجابا؟

وعن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة؟

وعن نفس ماتت ثم عاشت بها نفس غيرها؟

وعن موسى عليه السلام، وكم أرضعته أمه قبل أن تلقيه في اليم؟ وفي أي بحر وفي أي يوم ألقته؟

وكم كان طول آدم عليه السلام؟ وكم عاش؟ ومن كان وصيه؟ وعن طيرٌ لا يبيض ويحيض؟

فقال: الأول ـ النار، قالت: هل من مزيد.

والثاني ـ عصا موسى عليه السلام.

والثالث ـ الصبح.

(*) «حياة الحيوان الكبرى» (٨/ ١٣٤٨).

والرابع ـ السموات والأرض: ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ (سورة فصلت: ١١).

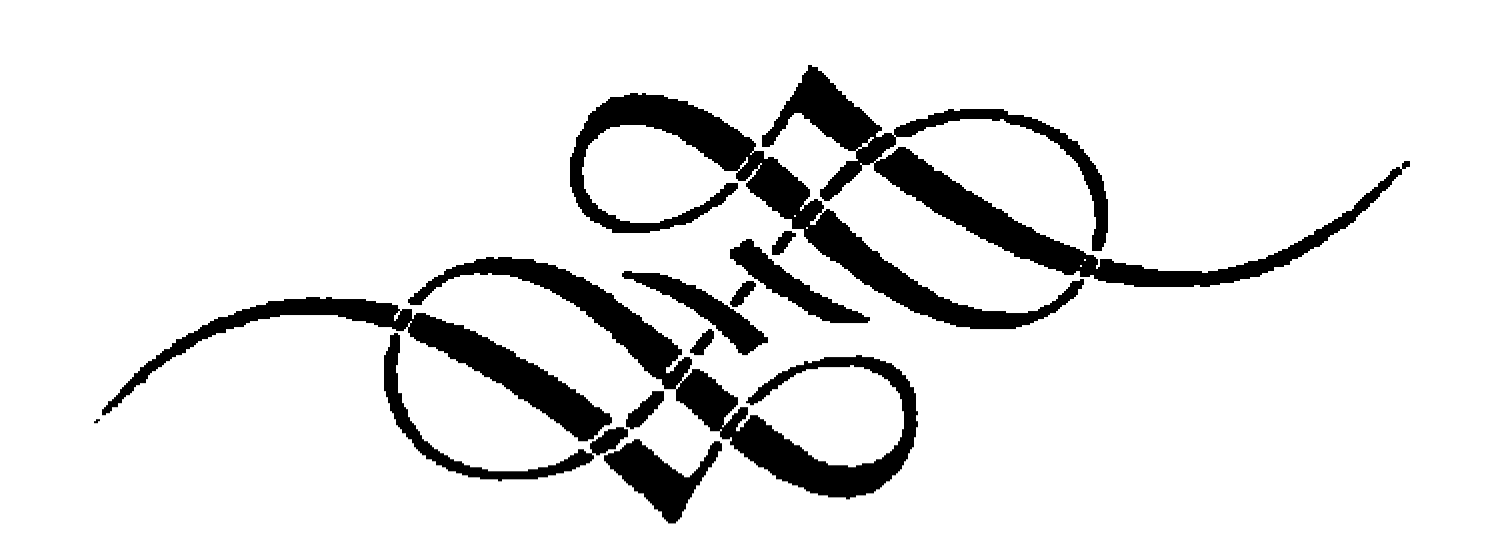
والخامس ـ الغراب الذي بعثه الله إلى ابن آدم.

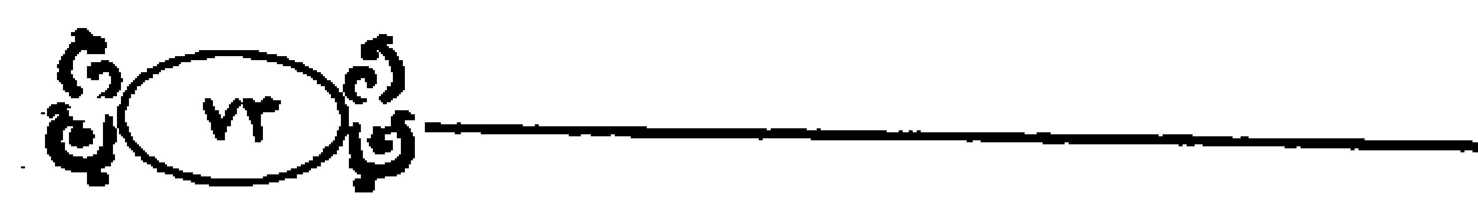
والسادس ـ البقرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن.

وأرضعت موسى أمه قبل أن تلقيه في اليم ثلاثة أشهر، وألقته في بحر القلزم، وكان ذلك يوم الجمعة.

وكان طول آدم عليه السلام ستين ذراعًا، وعاش ألف سنة إلا ستين سنة، وكان وصيه شيث.

والطير الوطواط الذي نفخ فيه عيسى عليه السلام فكان طائرًا بإذن الله عزَّ وجلَّ.





٤٣ - هبه لي واربح شكري(*)

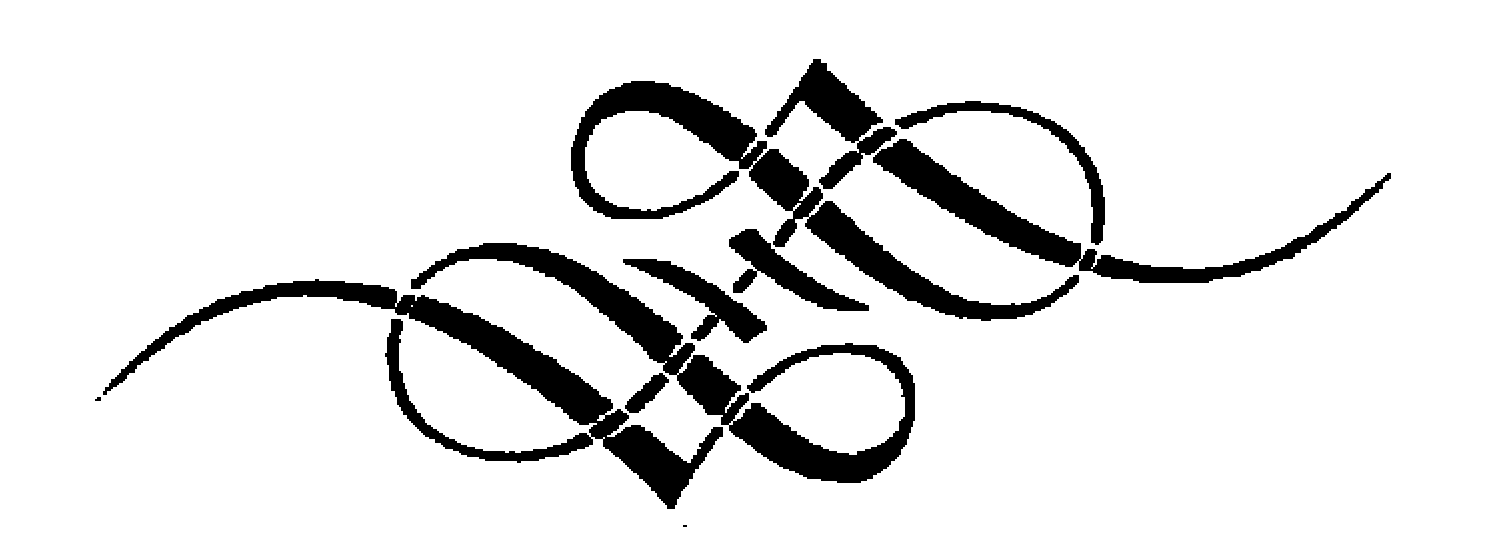
عن الجاحظ: أنه قال: قال ثمامة بن أشرس: دخلت على صديق لي أعوده، وتركت حماري على الباب، ولم يكن معي غلام يحفظه، فلما خرجت إذا فوقه صبي يحفظه.

فقلت: أركبت حماري بغير أذني؟

فقال: خفت أن يذهب فحفظته لك.

قلت: لو ذهب لكان أعجب إليّ من بقائه.

فقال: إن كان هذا رأيك في الحمار، فقدر أنه ذهب وهبه لي واربح شكري. فلم أدر ما أقول.



(*) «حياة الحيوان» (٣/ ٤٢٨).

٤٤ - نستجير بمولانا من العار(*)

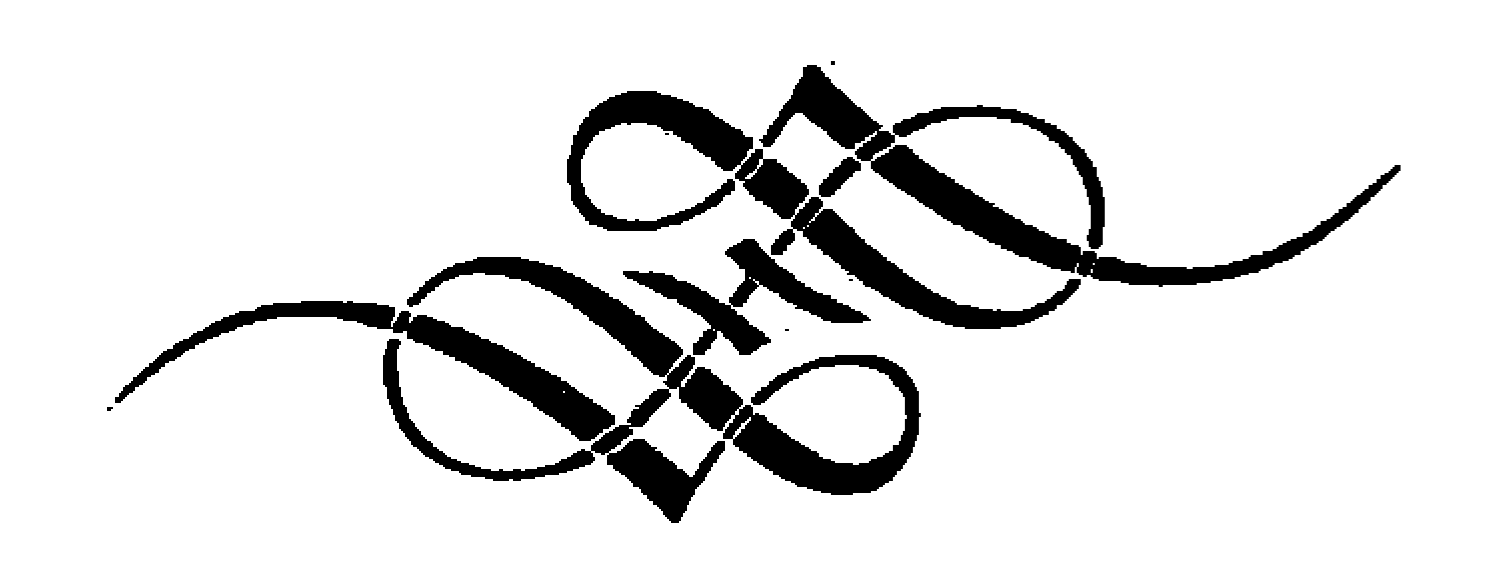
قال أبو العلاء المعري:

يد بخمس مئ عسجد وديت ٭ ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض ما لنا إلا السكوت له ٭ ونستجير بمولانا من العار

أجاب شمس الدين الكردي بقوله:

لا تقدحن زناد الشعر عن حكم ٭ شعائر الشرع لم تقدح بأشعار
فقيمة اليد نصف الألف من ذهب ٭ فإن تعدت فلا تسوى بدينار

قال الحافظ ابن كثير: وهذا من إفكه، ومن قلة عقله، وعلمه، وعمى بصيرته، وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة، لينزجر الناس عن العدوان، وأما إذا جنت هي بالسرقة، فيناسب أن تقل قيمتها، وديتها، لينزجر الناس عن أموال الناس.



(*) «البداية والنهاية» (١٢/ ٨٠)، «أعلام الموقعين» (٢/ ١/ ٨٢).

٤٥ ـ سألني عن جود أمير المؤمنين (*)

كان العباس بن الأحنف رقيق الحاشية لطيف الطباع، جميع شعره في الغزل، ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة:

يا أيها الرجل المعذب نفسه ٭ أقصر فإن شفاءك الإقصار

نزف البكاء دموع عينك فاستعر ٭ عينا بعينك دمعها المدرار

من ذا يُعيرك عينه تبكي بها ٭ أرأيت عينًا للبكاء تُعار

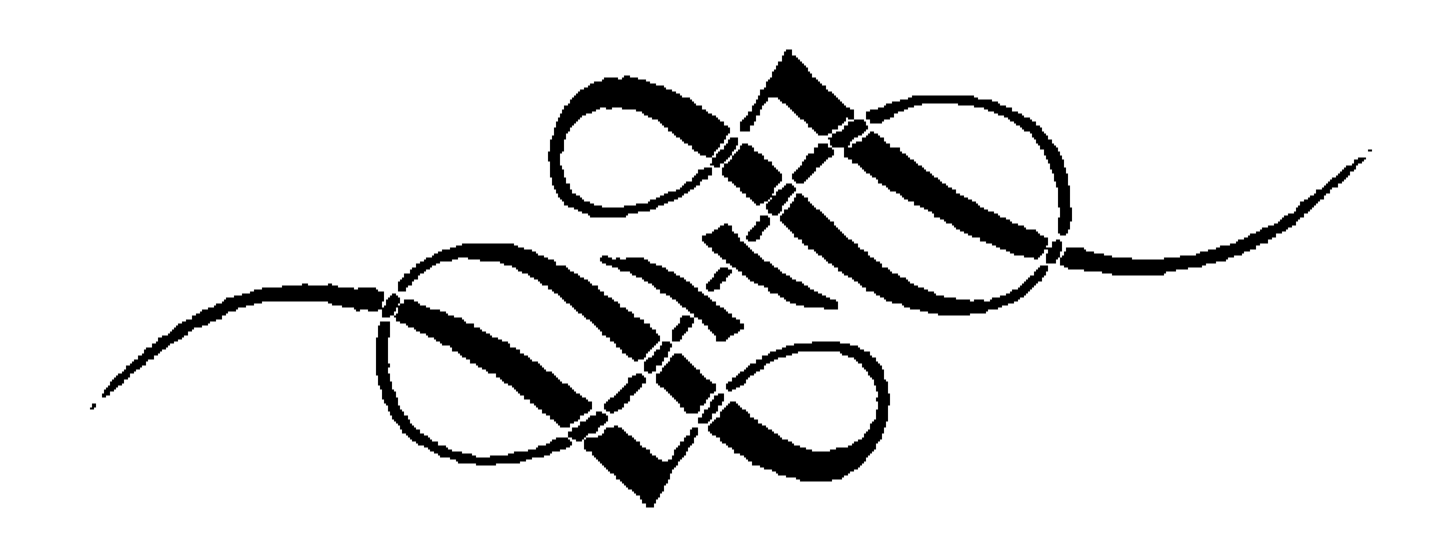
قيل أنه أنشد الرشيد يومًا قوله:

طاف الهوى في عباد الله كلهم ٭ حتى إذا مرَّ بي من بينهم وقفا

قال له الرشيد: ما الذي رأى فيك حتى وقف عليك؟

قال: سألني عن جود أمير المؤمنين فأخبرته.

فاستحسن الرشيد جوابه ووصله.



(*) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٢٢).

٤٦ ـ أتحملني أم أحملك؟ (*)

كان الرجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له «شن» فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها. فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق، فسأله شن أين تريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصد لها شن، فرافقه، فلما أخذا في مسيرهما قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل، أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟ فسكت عنه شن وسارا، حتى إذا قربا من القرية إذا هما بزرع قد استحصد، فقال له شن: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل ترى نبتًا مستحصداً فتقول أتراه أكل أم لا؟! فسكت عنه، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة، فقال شن: أترى صاحب هذا النعش حيًا أم ميتًا؟ فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك، ترى جنازة فتسأل عنها أميت صاحبها أم حي؟ فسكت عنه شن وأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه، وكانت للرجل ابنة يقال لها «طبقة».

فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه وشكا إليها جهله وحدثها بحديثه.

(*) «الفاخر» (ص: ٤٨).

فقالت: يا أبه، ما هذا بجاهل، أما قوله: أتحملني أم أحملك فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا.

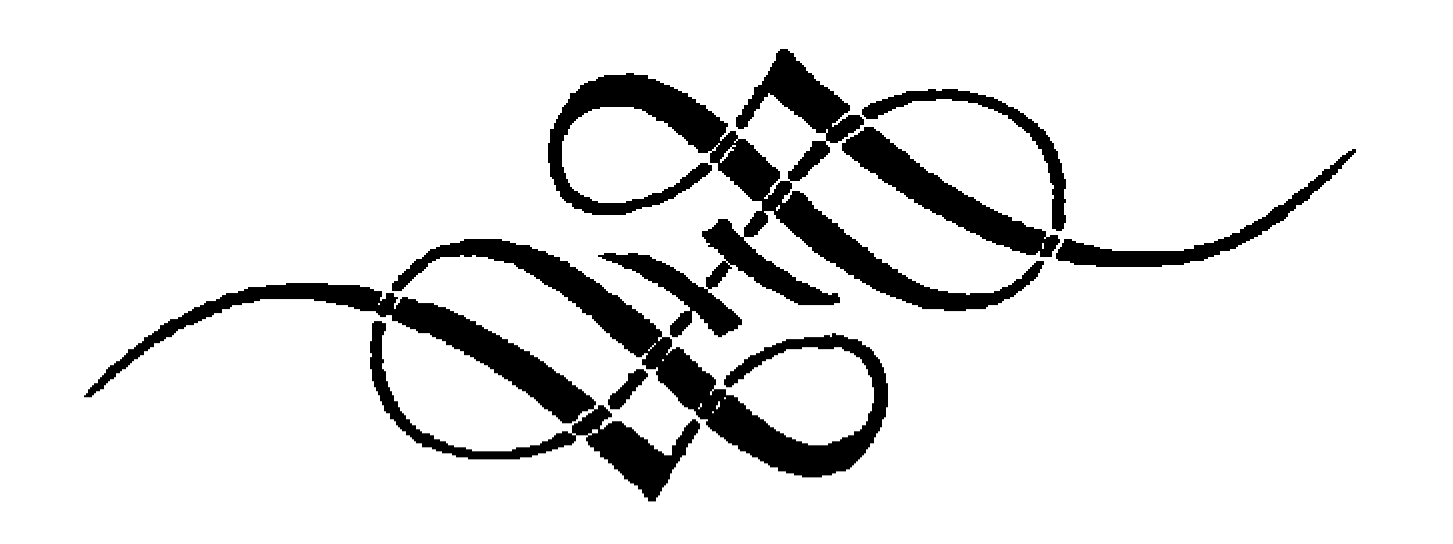
وأما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا، فإنما أراد أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا.

وأما قوله: في الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا.

فخرج الرجل فقعد مع «شن» فحادثه ساعة ثم قال له: أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم، ففسره.

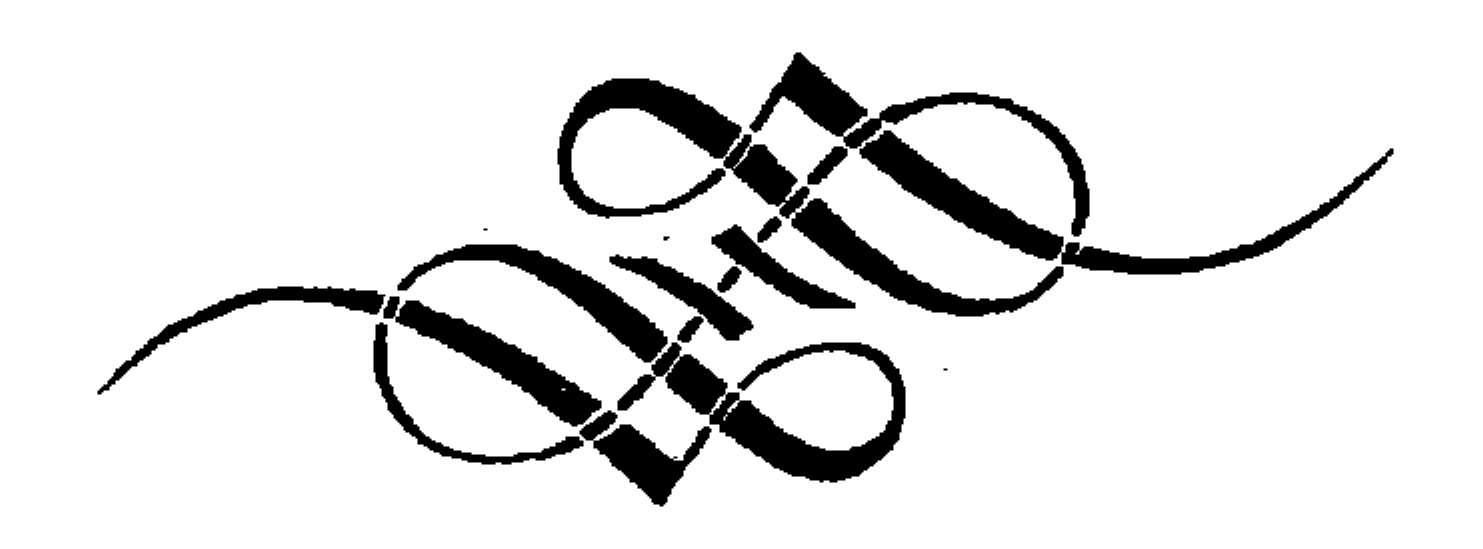
فقال شن: ما هذا من كلامك، فأخبرني من صاحبه، فقال: ابنة لي.

فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله، فلما رأوهما قالوا: وافق شن طبقة.

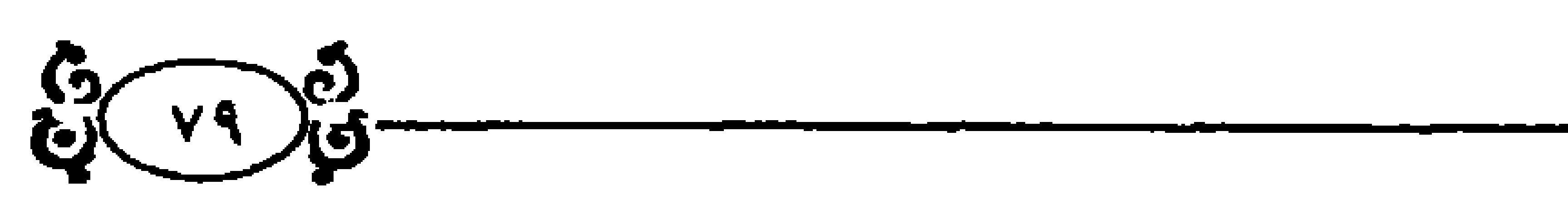


٤٧ ـ أنتم أطعتم الشيطان(*)

في حوادث سنة ٨٢٩ وموقعة قربس في عهد السلطان الأشرف برسباي، سألت بعض سبي الفرنج ـ رجل من المسلمين ـ لما كسروا الصليب الكبير الذي يعرف به جبل الصليب ببلادهم، وكان هذا الصليب معظمًا عندهم إلى الغاية وقالت: نحن إذا حلف منا رجل أو امرأة على هذا الصليب باطلاً أوذي في الوقت، وأنتم قد كسرتموه وأحرقتموه ولم يصبكم بأس، ما سبب ذلك؟ فقال لها الرجل: أنتم أطعتم الشيطان فصار يغويكم ويستخف بعقولكم، ونحن قد هدانا الله للإسلام وأنزل علينا القرآن فلا سبيل له علينا، فعندما كسرناه بعد أن ذكرنا اسم الله تعالى عليه فر منه الشيطان وذهب إلى لعنة الله، فقالت المرأة: هو ما قلته، وأسلمت هي وجماعة معها.



(*) «النجوم الزاهرة» (١٤/ ١٣٨).



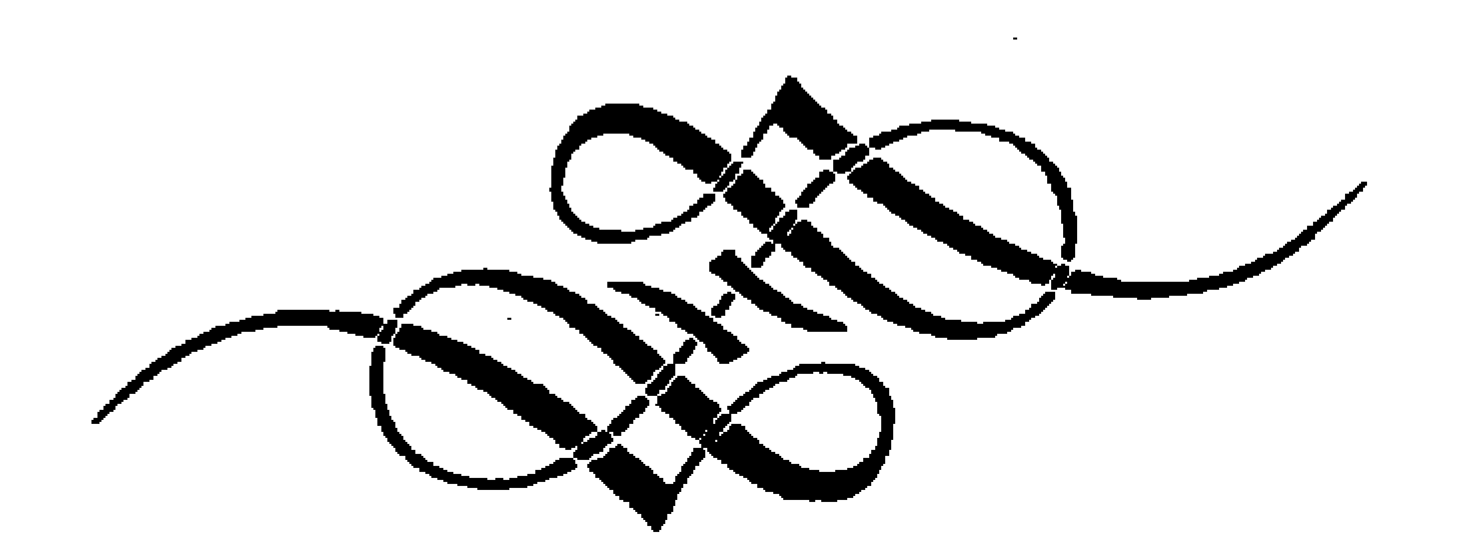
٤٨ ـ أولاد الزنا لا يرثون(*)

كان بختيشوع الطبيب يداعب يوحنا الطبيب كثيرًا، فقال له يومًا في مجلس أبي إسحاق وهم في عسكر المعتصم بالمدائن، أنت يا أبا زكريا أخي لأبي.

فقال يوحنا لأبي إسحاق: اشهد أيها الأمير على اقراره فوالله لأقاسمنه ميراثه من أبيه.

فقال له بختيشوع: إن أولاد الزنا لا يرثون ولا يورثون.

وقد حكم دين الإسلام للعاهر بالحجر، فانقطع يوحنا ولم يحر جوابًا.



(*) «عيون الأنباء» (ص: ٢٤٨).

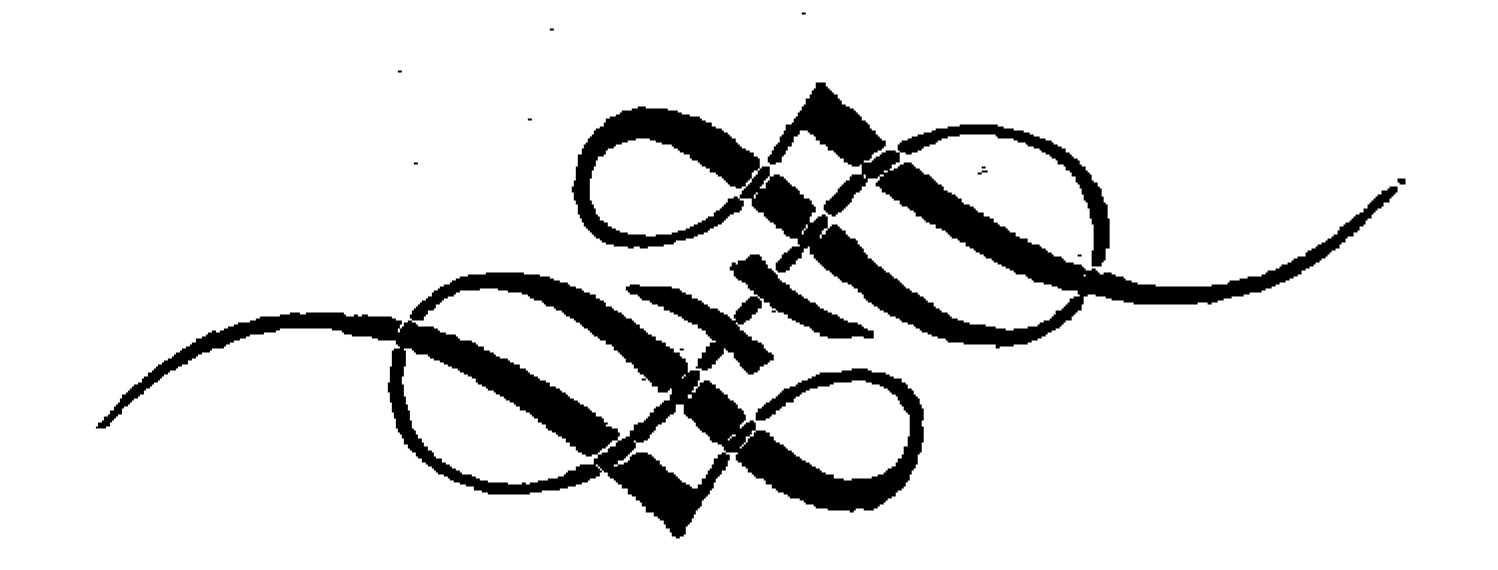
٤٩ ـ علام تحمرُّ وجوه الظبا (*)

كتب بعض الأدباء إلى القاضي منذر بن سعيد البلوطي بقوله:

مسألةٌ جئتُكَ مُستفتيًا ** عنها، وأنتَ العالم المستشارْ
عَلامَ تَحْمَرُّ وجوهُ الظِّبَا ** وأوجُهُ العُشاقِ فيها اصفرارْ

فأجاب القاضي بقوله:

احْمَرَّ وَجْهُ الظَّبي إذ لحَظُهُ ** سَيفٌ على العُشّاقِ فيه اجْوِرَارْ
واصْصَدَّ وَجْهُ الصَّبِّ لمَّا نأى ** والشمسُ تُبقى للمغيب اصفرارْ



(*) «نفح الطيب» (٢/ ٢٤١).

٥٠ ـ أنت المأمون ورب الكعبة(*)

وحكي عن المأمون: أنه خرج يومًا لمتنزهه فبينما هو يسير إذ رأى صبية على كتفها قربة وقد أثقلتها، وهي تنادي يا أبت أدرك فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها، فتعجب المأمون من فصاحتها على صغر سنها، وقال لها: هل تعرفين من العربية شيئًا؟، قالت: أوَلَسْتُ من العرب! قال: فمن أيها؟، قالت: من اليمن، قال: فمن أيها؟، قالت: من قضاعة، قال: فمن أيها؟، قالت: من كلبي، قال: فإنك من كلاب، قالت: لا ولكن فريقًا يدعى كلبا، قالت: أما أنا فقد سألتني عن حسبي، ونسبي، فأفصحت لك، ولكن ممن تكون أنت؟ قال: ممن تبغضه اليمن كلها، قالت: فإذًا أنت من مضر. فمن أيها؟، قال: ممن تبغضه مضر كلها، قالت: فإذًا أنت من قريش، فمن أيها؟، قال: فمن تبغضه قريش كلها، قالت: فإذًا أنت من بني هاشم، فمن أيها؟ قال: ممن تحسده بنو هاشم كلها، قالت: فإذًا أنت المأمون ورب الكعبة، ثم وثبت قائمة، وأنشدت تقول:

مامون يا ذا المنن الشريفة ٭ وصاحب المرتبة المنيفة
وقائد العساكر الكثيفة ٭ هل لك في أرجوزة لطيفة
أظرف من فقه أبي حنيفة ٭ لا والذي أنت له خليفة

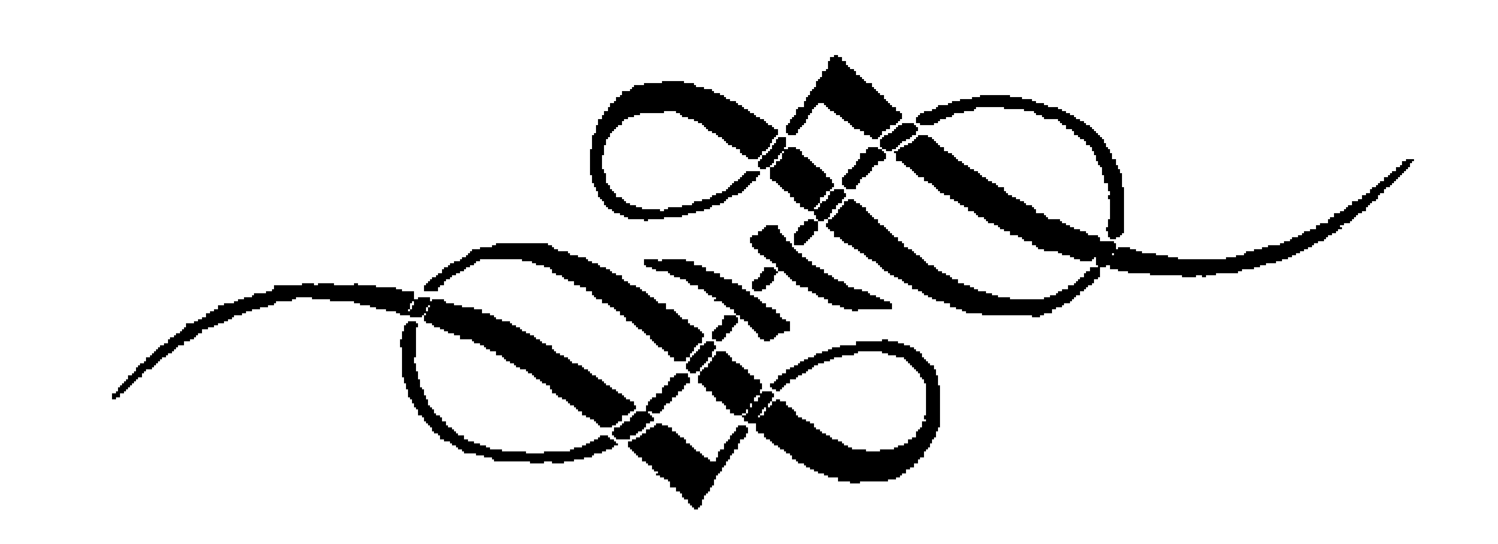
(*) «الطائف الأول» (ص: ١٧٦).

ما ظلمه في حينا ضعيفة ٭ عاملتنا بمؤن خفيفة

اللص والتاجر في قطيفة ٭ والذئب والنعجة في سقيفة

قال: فتعجب المأمون من حسن بديهتها على صغر سنها، فقال: أيما أحب إليك مائة ألف مؤجلة أم عشرة آلاف معجلة؟

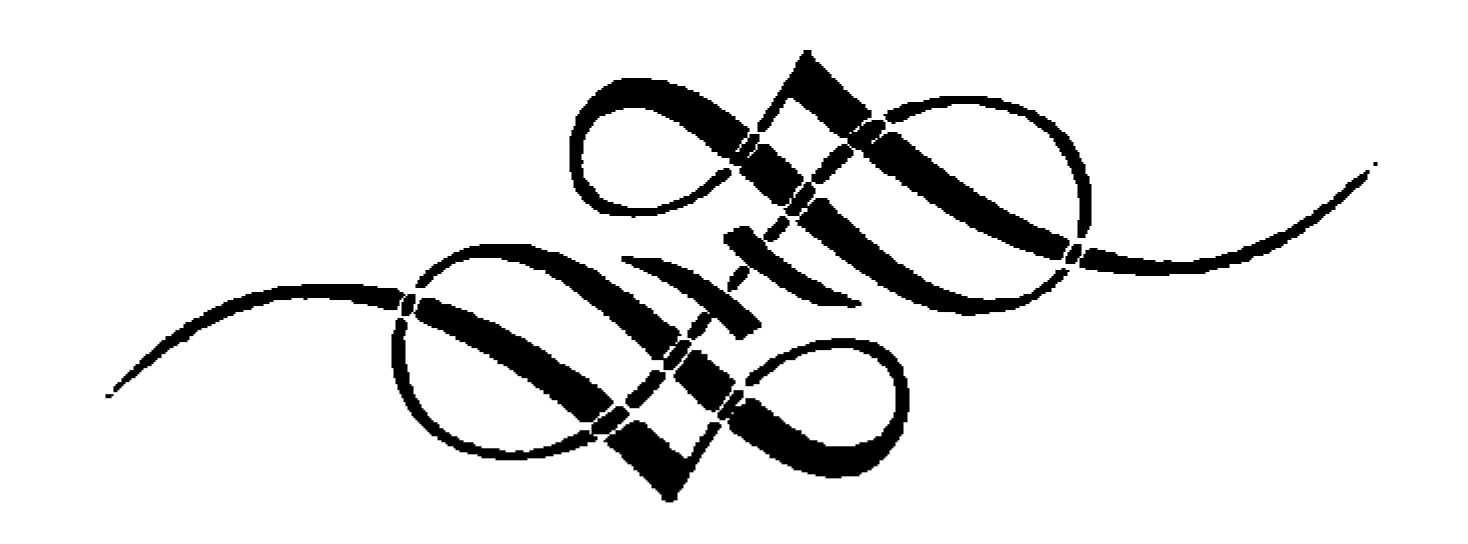
فقالت: المائة ألف المؤجلة لأنك الولي لها الوفي بها، فأعطاها المائة ألف فأخذتها وانصرفت.



٥١ ـ نسائي طوالق(*)

محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة الثقفي قاضي دمشق، كان إمامًا عالمًا عفيفًا، ولما أراد أحمد ابن طولون خلع الموفق من ولاية العهد أمره بخلعه، فوقف بإزاء منبر دمشق وقال: قد خلعتُ أبا أحمق ـ يعني أبا أحمد ـ كما خلعت خاتمي من إصبعي، ومضى سنون إلى أن ولي المعتضد بن الموفق الخلافة ودخل الشام يطلب من كان يُبغض أباه، فأحضر القاضي هذا وجماعة فحملوا في القيود معه وسافر، فلما كان في بعض الأيام رآهم المعتضد في الطريق فطلبهم وأراد الفتك بهم، فقال: من الذي قال أبا أحمق؟ فخرس القوم، فقال القاضي: يا أمير المؤمنين، نسائي طوالق وعبيدي أحرار ومالي في سبيل الله إن كان في هؤلاء القوم من قال هذه المقالة، فاستظرفه المعتضد، وأطلق الجميع، ومشى له ذلك في باب المماجنة.

وذلك لأنه هو قائل هذه العبارة، ولم يكن أحد من هؤلاء قالها، فخرج بهذه الحيلة الظريفة من هذا المأزق.



(*) «النجوم» الزاهرة» (٣/ ٢٠٤).

٥٢ـ ما البناء الذي لا إسراف فيه؟(*)

وقال وهب بن منبه: لقى عالم عالمًا فوقه فقال له: رحمك الله ما هذا البناء الذي لا إسراف فيه؟ قال: ما سترك من الشمس وأكنَّك من الغيث.

قال: فما هذا الطعام الذي لا إسراف فيه؟ قال: فوق الجوع ودون الشبع من غير تكلف، قال: فما هذا اللباس الذي لا إسراف فيه؟ قال: هو ما ستر العورة ومنع الحر والبرد من غير تنوُّع ولا تلوُّن.

قال: فما هذا الضحك الذي لا إسراف فيه؟، قال: ما أسفر وجهك ولا يُسمع صوتك.

قال: فما هذا البكاء الذي لا إسراف فيه؟، قال: لا تمل من البكاء من خشية الله عزَّ وجلَّ، ولا تبك على شيء من الدنيا.

قال: كمن أُخفى من عملي؟ قال: ما أظُنُّ بك أنك لم تعمل حسنة.

قال: ما أعلني من عملي؟، قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يأتمُّ بك الحريص، واحذر النظر إلى الناس.

فهذه الأجوبة اجتهاد موفق من عالم مسدد، وذلك في تحديد الموازين الدقيقة للمفاهيم الإسلامية حول موضوع الإسراف والاقتصاد.

فالاعتدال في بناء البيوت أن تكون بحيث تؤدي غرضها المقصود في الستر والوقاية من الشمس والمطر وعوارض الجو واللصوص، من غير تزويق ولا تجميل

(*) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٩٩)، «تاريخ الحميدي» (١٠/ ٣٨٧).

مما يقصد به التباهي والأفتخار، والاعتدال في الطعام يكون في تناول ما يؤدي الغرض المقصود منه في بناء الأجسام وحفظها من الأمراض من غير زيادة أو نقص يؤديان إلى الضرر، وأن لا يكون فيه بحيث يأخذ حيزاً كبيراً من فكر الإنسان أو يرهق ماله.

والاعتدال في اللباس أن يكون بحيث يؤدي الغرض المقصود منه في ستر الجسم ووقايته من عوارض الجو، من غير مبالغة في التجمل، بحيث لا يكون اللباس مقصوداً لذاته، وإنما يكون مقصوداً لتحقيق الغرض منه.

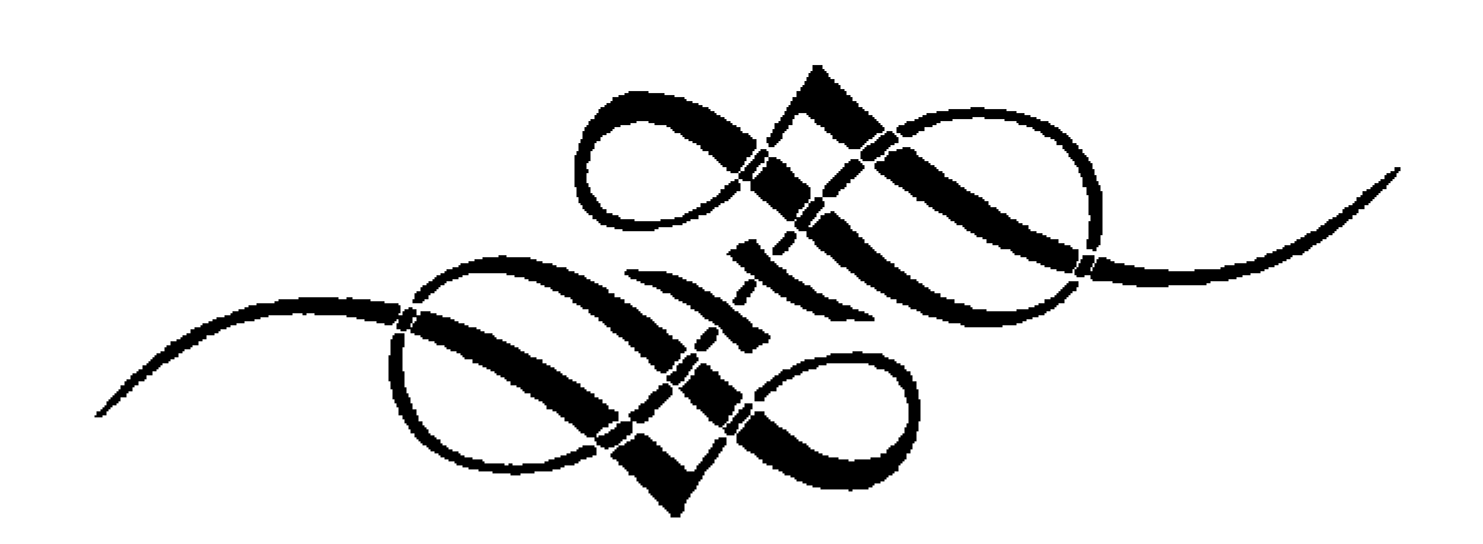
والاعتدال في الضحك أن يكون مؤديًا للغرض منه، وذلك بإظهار الفرح والتعجب من غير صوت يزعج السامعين، ولا مبالغة تخرجه إلى الهزل.

أما البكاء فإنه لا إسراف فيه إذا كان من خشية الله تعالى، أو التأثر بمواقف العظماء أو الأسى على مصاب المسلمين، كفقد عزيز أو نكبة إخوة في الإسلام، لكنه يصبح معيبًا حينما يكون بسبب الأسى على فقد أمر من أمور الدنيا، لأن المطلوب ـ والحال هذه ـ خفض أمور الدنيا، وعدم إكبارها مما يؤثر على مشاعر الإنسان، وتصبير النفس على المكروه منها، أما الاعتدال في إظهار العمل أو إخفائه فإن ذلك يرجع إلى نوع العمل، فهناك أعمال لابد أن تظهر كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعبادات الجماعية كصلاة الجمعة والجماعة، وأعمال ينبغي أن تظهر كسائر الفروض والواجبات المطلوبة من المسلم، حيث يسبب إخفاؤها ملامة لصاحبها، أو اقتداءً به من المقصرين الذين يظنون أنه مقصر، أما النوافل فإنه ينبغي إخفاؤها إلا إذا لوحظ فيها القدوة الحسنة، واستنهاض همم المقصرين نحو العمل الصالح، مع أمن الوقوع في الرياء والسمعة.

٥٣ ـ جرة الأعمى (*)

قال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة، فإذا أعمى على عاتقه جرة، وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملأ جرته وانصرف راجعًا، فقلت: يا هذا، أنت أعمى والليل والنهار عندك سواء.

فقال: يا فضولي حملتها معي لأعمي القلب مثلك يستضيء بها، فلا يعثر بي في الظلمة فيقع علي فيكسر جرتي.



(*) «الأذكياء» لابن الجوزي (ص: ١٩٥).

٥٤ ـ دم العشاق(*)

حكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد بن داود الظاهري: فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة، فأخذها وتأملها طويلاً وظن تلامذته أنها مسألة، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها إلى صاحبها، فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور، وإذا في الرقعة:

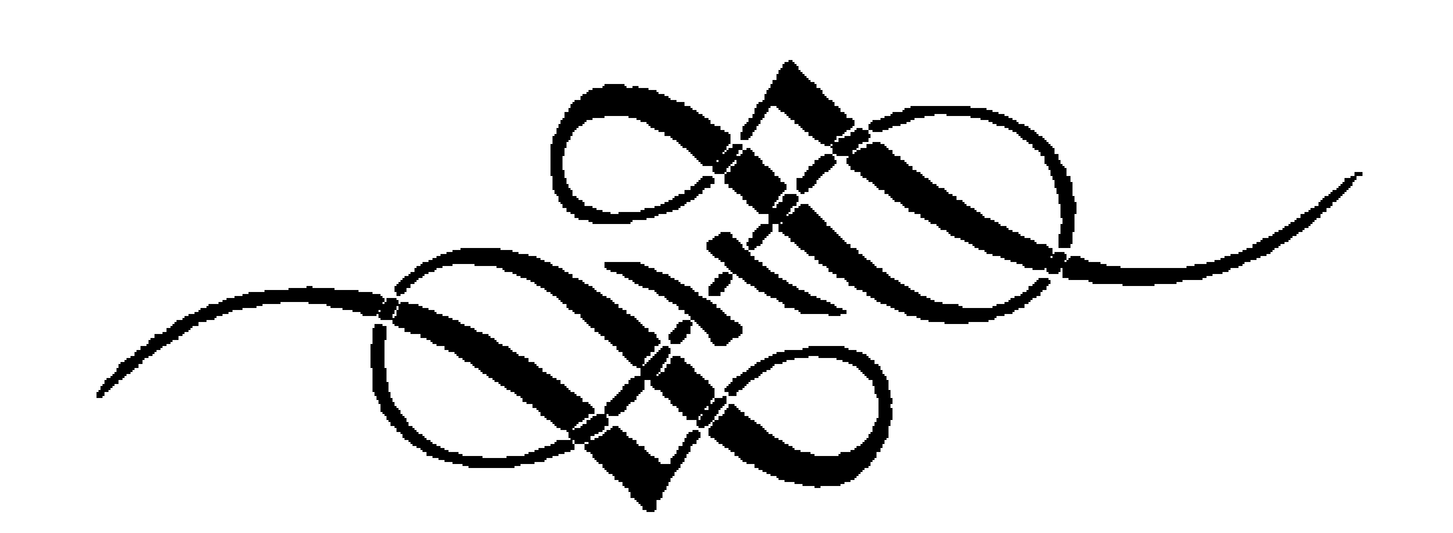
يا ابن داود يا فقيه العراق ٭ أفتنا في قواتل الأحداق

هل عليهن في الجروح قصاص ٭ أم مباح لها دمُ العشاق

وإذا الجواب:

كيف يفتيكم قتيل صريع ٭ بسهام الفراق والإشتياق

وقتيل التلاق أحسن حالا ٭ عند داود من قتيل الفراق



(*) «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦١).

٥٥ـ لا تطفئ هذا النور(*)

حكى البـويطي، عن الشافـعي رضي الله عنه، أنه كـان في مجلس مـالك بن أنس رضي الله عنه وهو غلام، فـجاء رجل إلى مالك فاسـتفتاه، فـقال: إني حلفت بالطلاق الثلاث أن هذا البلبل لا يهدأ من الصباح.

فقال له مالك: قد حنثت، فمضى الرجل.

فالتـفت الشافـعي رضي الله عنه إلى بعض أصحـاب مالك، فقـال: إن هذه الفتـيا خطأ، فأخبر مالك بذلك.

وكـان مالك رضي الله عنه مـهـيب المجلس، لا يجـسر أحـد أن يرده، وربما جـاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه.

فقـالوا لمالك: إن هذا الغـلام يزعم أن هذه الفتـيا اغـفال وخطأ، فـقال له مالك: من أين قلت هذا؟

فقـال له الشافـعي: ألست أنت الذي رويت لنا عن النبي صلى الله عليه وسلم في قـصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: «أن أبا جهم ومعاوية فصعلوك لا مال له»، فـهل كانت عـصا أبي جـهم دائمًا على عاتقـه؟ وإنما أراد من ذلك الأغلب فعرف مالك محل الشافعي ومقداره.

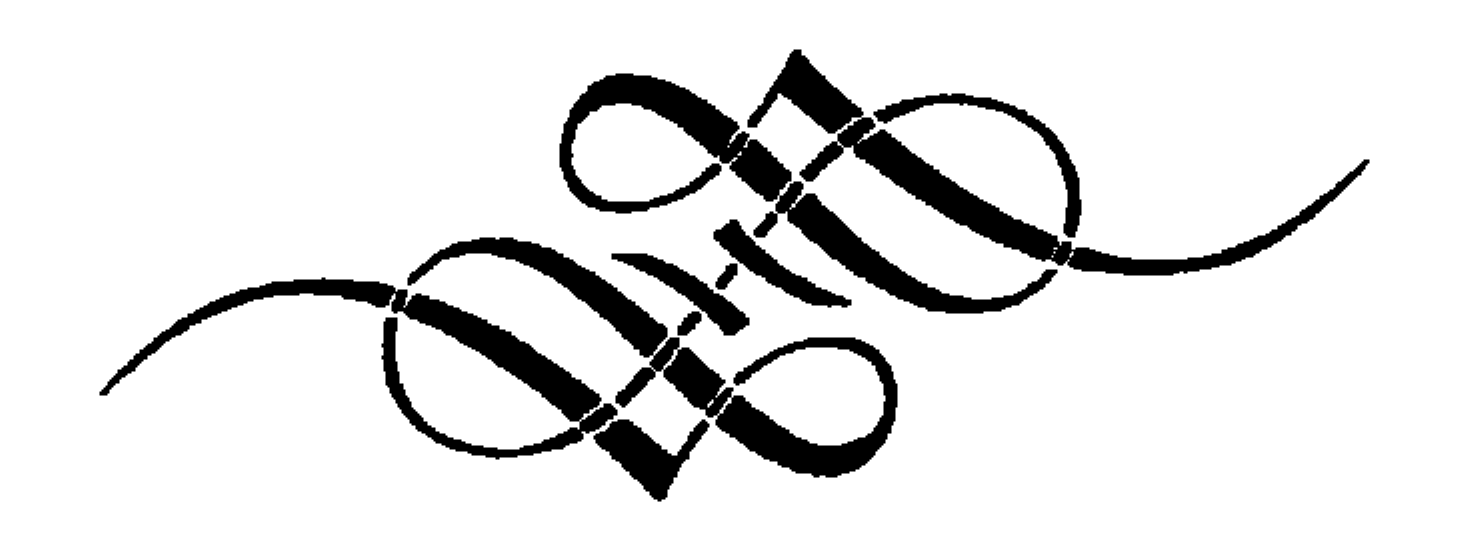
قال الشـافعي: فلمـا أردت أن أخرج من المدينة جئت إلـى مالك فودعـته، فقال لي مالك حين فارقـته: يا غلام، اتق الله تعالى ولا تطفيء هذا النور الذي أعطاكه الله بالمعاصي «يعني نـور العلم»، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (سورة النور: ٤٠).

(*) «حياة الحيوان» (٢/ ٢٥٦).

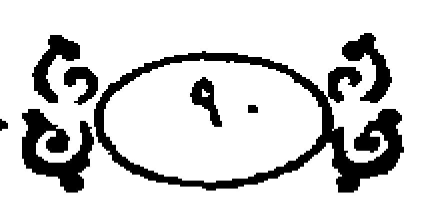
٥٦ـ أيسرك بعقلك مائة ألف؟(*)

قال غسان بن المفضل الغلابي: حدثني بعض أصحابنا، قال: جاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقًا في حاله ومعاشه واغتمامًا بذلك، فقال: أيسرك ببصرك مائة ألف؟ قال: لا، قال: فسمعك؟ قال: لا، قال: فبلسانك؟، قال: لا، قال: فبعقلك؟ قال: لا، في خلال، وذكَّره نعم الله تعالى عليه، ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفًا وأنت تشكو الحاجة.

فهذه موعظة بليغة في التذكير بنعم الله تعالى الكثيرة، وتعديل ميزان التفكير عند المسلم، حيث إن الفكر يشطح نحو التمتع بأكبر قدر ممكن من متاع الدنيا، فيرى صاحب هذا الفكر أن إمكاناته تقل عن ذلك، فيصاب بالغم والهم، وينسى نعم الله تعالى الكثيرة عليه، فإذا ذكرها رزقه الله جلَّ وعلا القناعة، وصرف فكره عن التطلع نحو التوسع في متاع الدنيا إلى التزود بأعمال الآخرة.



(*) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٩٢)، «التاريخ الإسلامي» (١٠/ ٣٩٦).



٥٧ـ املؤوا فاه جوهرًا (*)

أرسل ملك الروم إلى عبد الله يطلب منه عالمًا من علمائهم يسأله عن مسائل فأرسل له الشعبي، فلما وصل إلى ملك الروم سأله عن أشياء منها: أنه قال له: بلغنا أن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، أيمكن مخلوق لا يغفل؟ فقال الشعبي: مثلهم كمثل النفس يصعد وينزل وأنت تتكلم وتأكل وتشرب، قال: صدقت، فقال له: وبلغنا أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون كيف ذلك؟

قال: نعم كالجنين في بطن أمه يأكل ويشرب، ولو تغوط داخل المشيمة لاحترق.

قال: صدقت، قال: وبلغنا أن نعيم الجنة لا ينقص بالإنفاق كيف ذلك؟ قال: نعم كالسراج تقتبس منه جميع المصابيح ولا ينقص نوره.

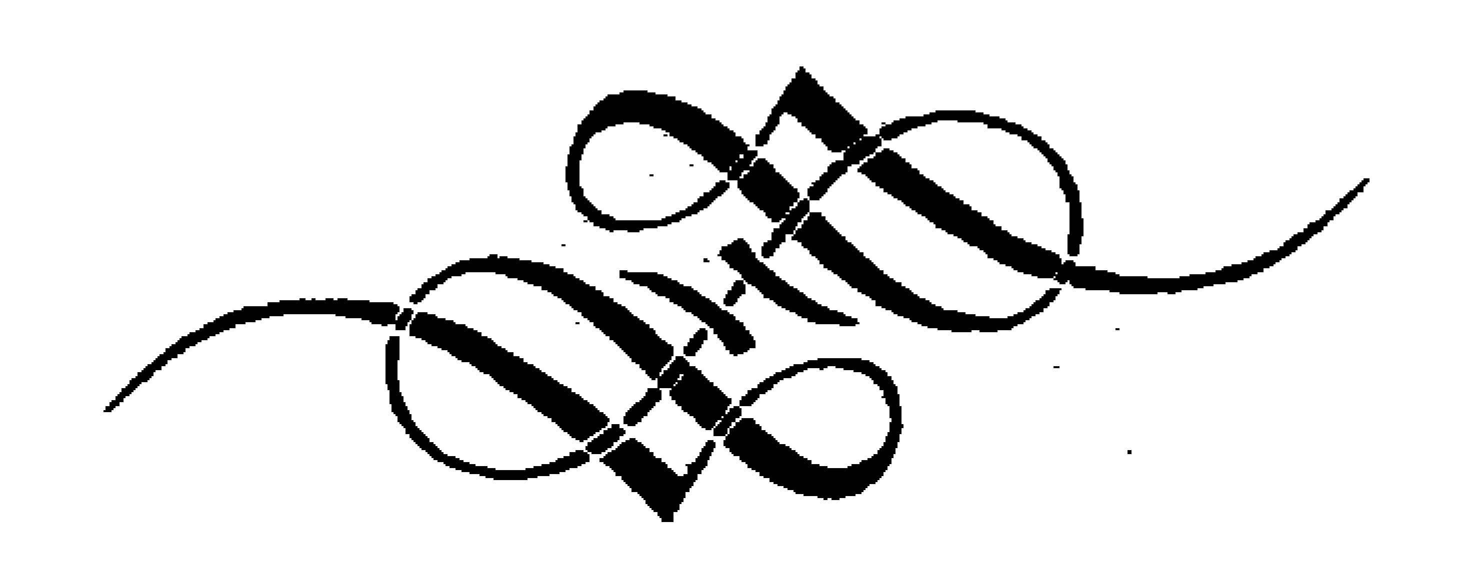
قال: صدقت، فأنعم عليه وكتب إلى الخليفة معه عجبت منكم كيف لا تجعلون رسولكم خليفة؟ فلما قرأ عبد الملك بن مروان ما كتب ملك الروم، قال: يا شعبي انظر ما قال عنك.

قال: يا أمير المؤمنين ما رآك ولو رآك لاستصغر مني ما استكبر، ولا ستحقر مني ما استعظم.

(*) «الطائف الأول» (ص: ١١٩).

فقال: لله درك كم عطاءك؟ قـال: ألفين، ثم سكت الملك لحظة، وقال: كم عطاؤك؟ قال: ألفان، قال له: لم قلت أولاً ألفين؟

قـالت: لما لحن أميـر المؤمنين تابعـتـه في اللحن: ثم لما أعـرب تابعتـه في الإعراب ولا يحـسن أن أعرب وقد لحن أمـير المؤمنين، فـأعجبـه ذلك، وقال: املأوا فاه جوهراً فملأوه، فقـال الشعبي: هذا يدخر، ولا ينفق، فأمر له بثلاثين ألف درهم وثياب فاخرة، فأخذها، وانصرف.

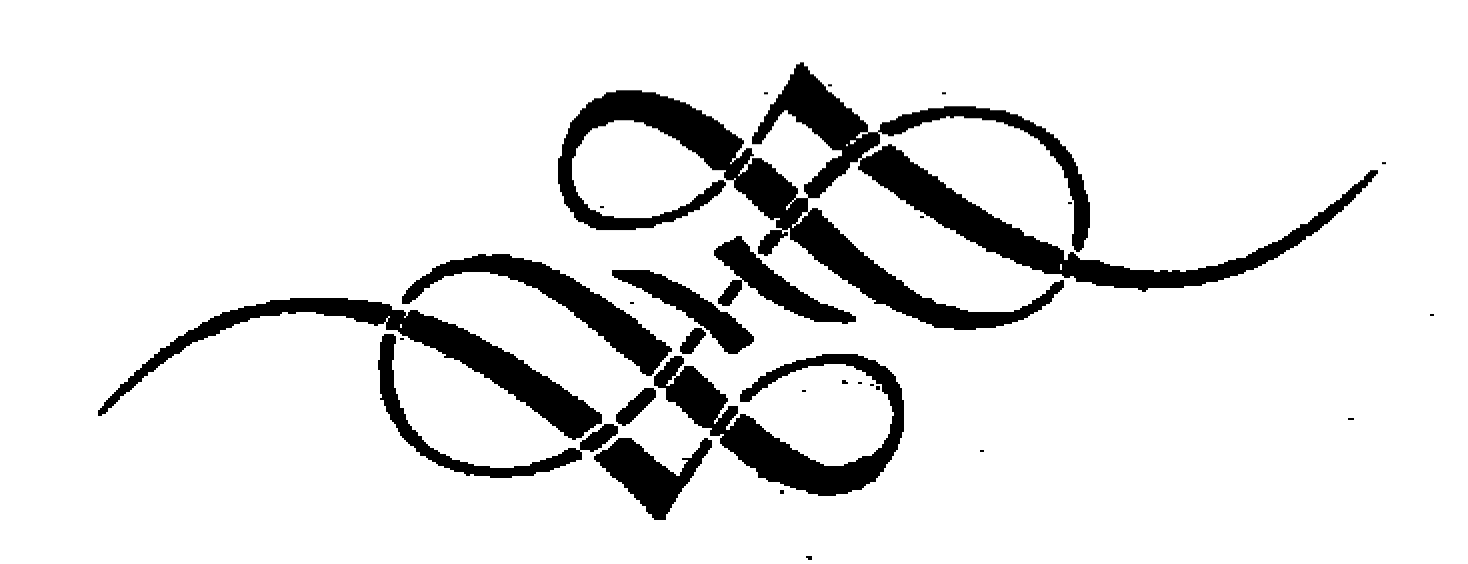


٥٨ - لا أجلس مع النيام(*)

قطر الندى، لما دخل بها الخليفة المعتضد أحبها حبًا شديدًا لجمال صورتها وكثرة آدابها، قيل: إنه خلا بها في بعض الأيام فوضع رأسه على ركبتيها ونام، وكان المعتضد كثير التحرز على نفسه، فلما نام تلطفت به وأزالت رأسه عن ركبتها ووضعتها على وسادة، ثم تنحت عن مكانها وجلست بالقرب منه في مكان آخر، فانتبه المعتضد فزعًا ولم يجدها، فصاح بها فكلمته في الحال، فعتبها على ما فعلت من إزالة رأسه عن ركبتها، وقال لها: أسلمت نفسي لك فتركتني وحيدًا وأنا في النوم لا أدري ما يفعل بي!

فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جهلت قدر ما أنعمت به عليَّ، ولكن فيما أدبني به والدي خمارويه: أني لا أجلس مع النيام ولا أنام مع الجلوس، فأعجبه ذلك منها إلى الغاية.

قال ابن تغري بردي: لله درها من جواب أجابته به!



(*) «النجوم الزاهرة» (٣/ ٧٤).



٥٩ ـ لحن ... الأديب(*)

دعا أبو الفضل ابن عياش لكافور الإخشيدي وقال في دعائه: أدام الله أيامِ مولانا، بكسر الميم من (أيامِ).

فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه عليه: فقام أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الله النجيرمي اللغوي، وأنشد مرتجلاً:

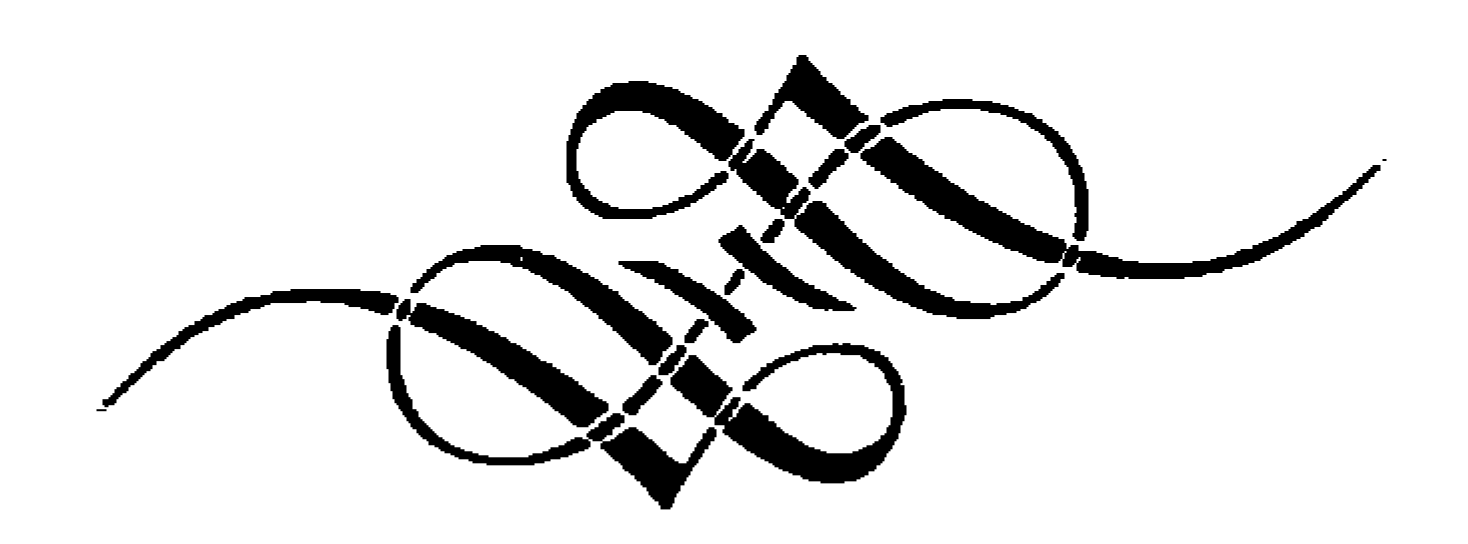
لا غروَ أن لحَنَ الداعي لسيدنا ٭ أو غصَّ من دَهَشٍ بالريق أو بَهَر

فتلك هيبتهُ حالتي جلالتُها ٭ بين الأديب وبين القول بالحَصَر

فإن يكن خَفَضَ الأيام من غلط ٭ في موضع النَّصب لا عن قلة النظر

فقد تفاءلت في هذا لسيدنا ٭ والفأل مأثور عن سيد البشر

بأن أيامه من خفض بلا نصب ٭ وأن أوقاته صفو بلا كَدَر



(*) «وفيات الأعيان» (٤/ ١٠٢).

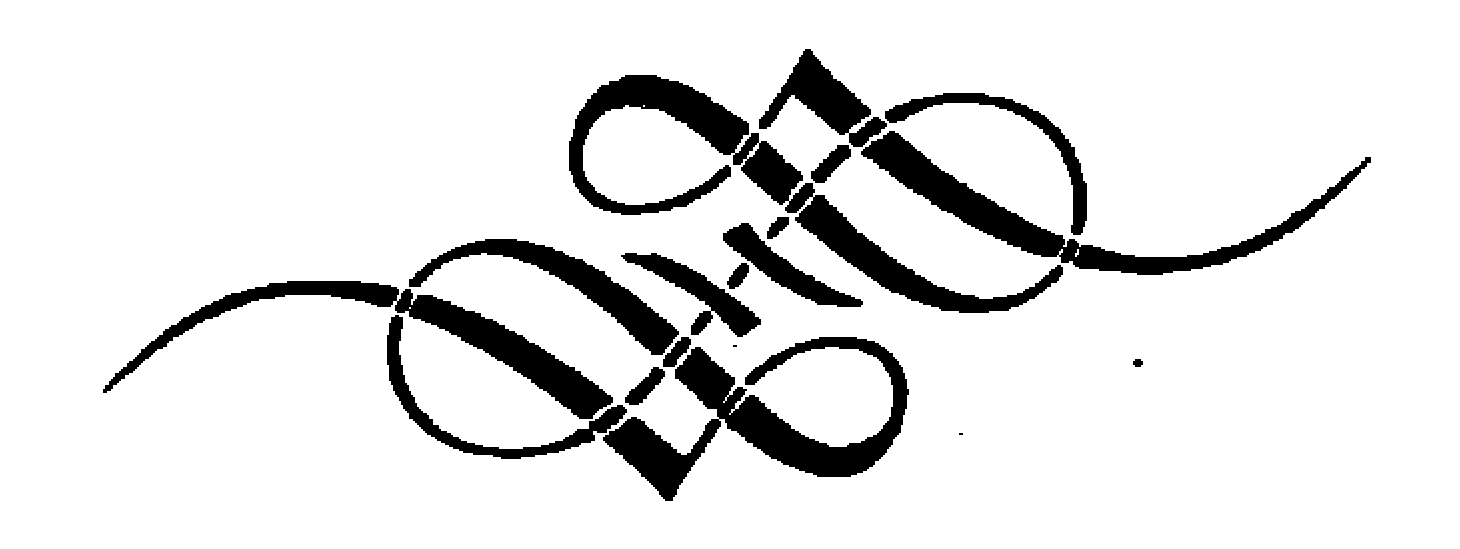
٦٠ - والله لئن تبعني لأفضحنه(*)

قال منصور بن علي الجهضمي: كان لي جار طفيلي، وكان من أحسن الناس منظرًا وأعذبهم منطقًا وأطيبهم رائحة وأجملهم ملبوسًا، وكان من شأنه أني إذا دعيت إلى دعوة تبعني، فيكرمه الناس من أجلي، ويظنون أنه صاحب لي، فاتفق يومًا أن جعفر ابن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختن بعض أولاده، فقلت في نفسي: كأني برسوله وقد جاء، وكأني بهذا الرجل قد تبعني، والله لئن تبعني لأفضحنه، فأنا على ذلك إذ جاء الرسول يدعوني، فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت، فإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره قد سبقني بالتأهب، فتقدمني وتبعني، فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة، ودعى بالطعام، وحضرت الموائد، وكان كل جماعة على مائدة والطفيلي معي، فلما مد يده ليتناول الطعام قلت: حدثنا درست بن زياد عن أبان بن طارق، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من دخل دار قوم بغير إذنهم فأكل طعامهم دخل سارقًا وخرج مغيرًا»** فلما سمع ذلك قال: اثبت لك عذرًا والله من هذا الكلام فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعض به دون صاحبه أولا تستحي أن تحدث بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام، وتبخل بطعام غيرك على من سواك، ثم لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو

(*) «الأذكياء» (ص: ٣٣٠).

ضعـيف[1]، عن أبان بن طارق وهو متـروك الحديث[2] يحكم برفعـه إلى النبي ﷺ والمسلمون على خـلافه، لأن حكم السارق القطع وحكم المغـير أن يعزر على مـا يراه الإمام وأين أنت عن حـديث، حدثـنا أبو عاصم النبـيل، عن ابن جريج، عن أبي الزبيـر، عن جابر قال: قـال رسول الله ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين...» الحديث.

قال منصور بن علي فأفحمني، فلم يحضرني له جواب.



(١) درست بن زياد العنبـري، ويقال القشـيري، أبو الحسن القـزار، قال ابن مـعين: لا شيء، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، وقال أبو حاتم: حديثه ليس بالقائم، «التهذيب» (رقم:٢١٤٩).

(٢) أبان بن طارق: مجهول كما في «تقريب التهذيب» (رقم:١٣٩)، قال ابن عدي: هذا حديث منكر لا يعـرف إلا به، «مـيـزان الأعتـدال» (٣/٩)، وقـال ابن حـجـر: وليـس له أنكر منه، «التـهـذيب» (رقم: ١٧٠).

٦١ - عززهما بثالث(*)

دخل الحيص بيص الشاعر مرة؛ فقال له ابن هبيرة[1]:

قد نظمت بيتين، تقدر أن تعززهما بثالث؟

قال: وما هما؟ قال:

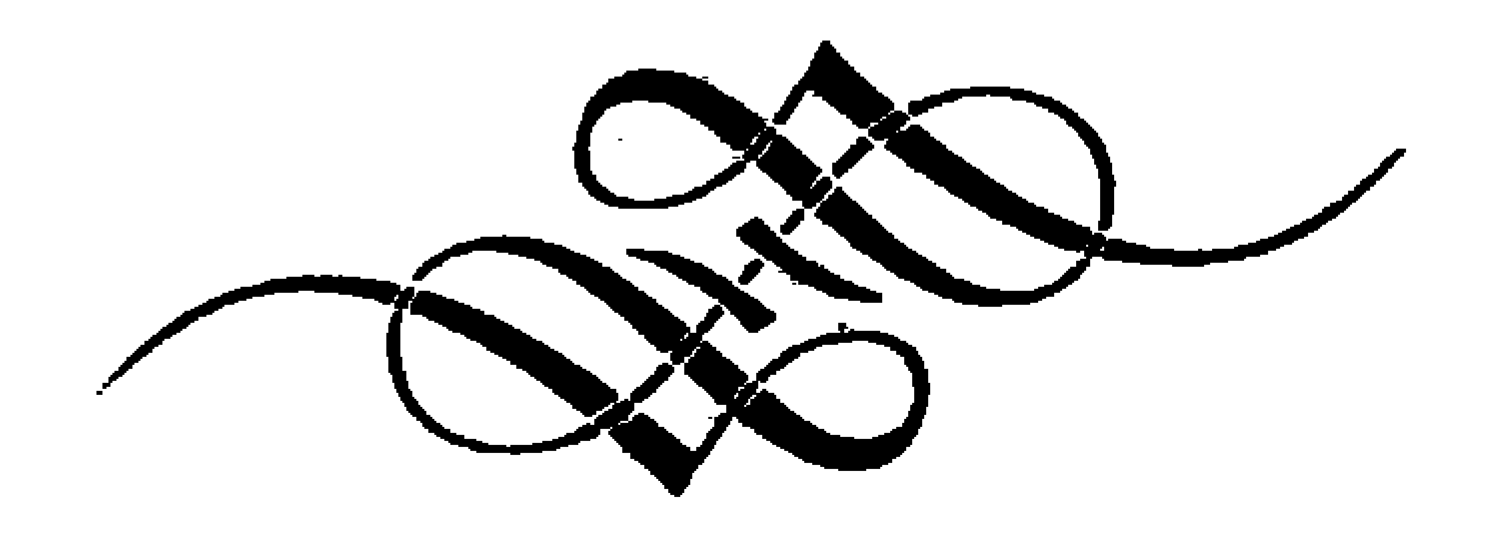
زار الخيال بخيلاً مثل مرسله ٥*٥ ما شاقني منه إلا الضم والقبل

ما زارني قط إلى كي يوافقني ٥*٥ على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الحيص بيص من غير روية:

وما درى أن نومي من حيلة نُصبت ٥*٥ لو صله حين أعيا اليقظة الحيلُ

فأعجبه وأجازه.



(*) «النجوم الزاهرة» (٥/ ٣٥١).

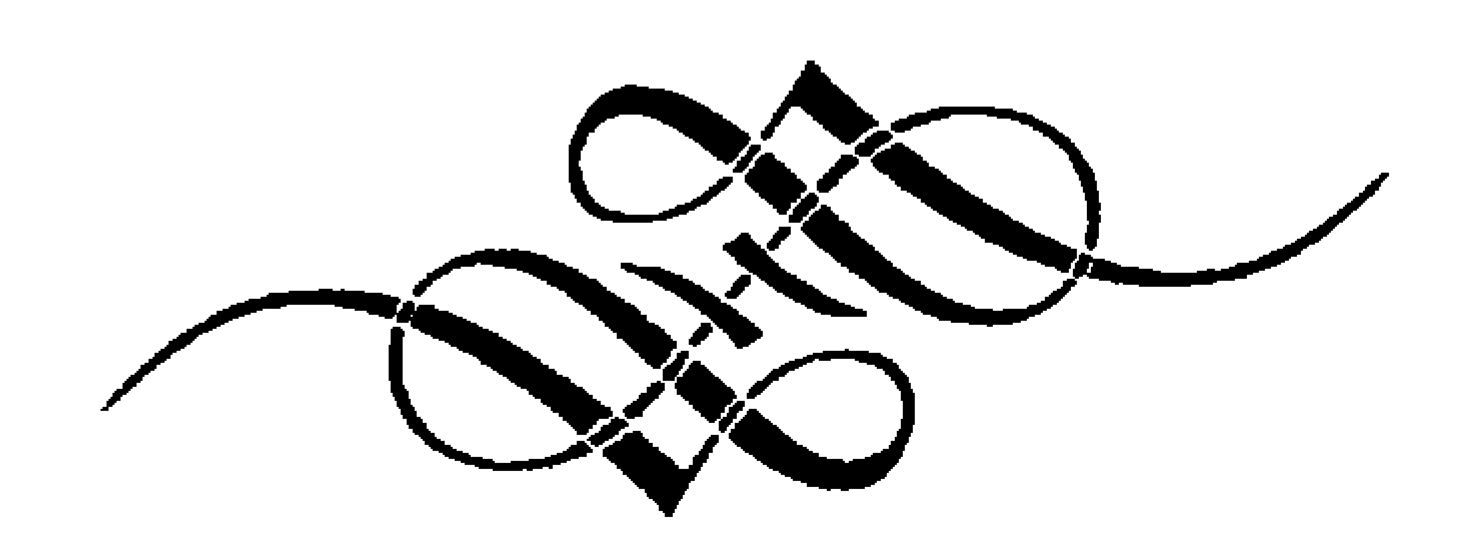
(١) ابن هبيرة: هو الوزير عون الدين أبو المظفر بن هبيرة ولد سنة ٤٩٩هـ بقرية الدور من أعمال العراق، وقرأ بالروايات وسمع الحديث، وقرأ النحو واللغة والعروض، تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وصفن الكتب الحسان، جعله الخليفة المقتفي مشرفًا في المخزن، ثم صار صاحب الديوان ثم استوزره، وكان وفاة ابن هبيرة في جمادى الأول سنة ٥٦٠هـ وله إحدى وستون سنة.



٦٢ - كم سنك يا فتى؟ (*)

حكى المسعودي أن المهدي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية، وهو صبي، وخلفه أربعمائة من العلماء وأرباب الطيالسة وإياس يقدمهم.

فقال المهدي: أف لهذه العثانين، أما كان فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث؟ ثم إن المهدي التفت إلى إياس، وقال له: كم سنك يا فتى؟ قال: سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله ﷺ جيشًا، وكان في الجيش من الصحابة من هو أقدم سنًا من أسامة، فقال له تقدم بارك الله فيك.



(*) «الطائف أخبار الأول» (ص: ٦٥).

٦٣ ـ نعم الزوج زوجك(*)

ذكر الزبير بن بكار حدثني إبراهيم الحزامي عن محمد بن معن الغفاري قال: اتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله عزَّ وجلَّ، فقال لها: نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب، فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين، هذه امرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال عمر: كما فهمت كلامها فاقضي بينهما، فقال كعب: علي بزوجها، فأتى به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، قال: أفي طعام أم شراب؟ قال: لا، فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده ٭ ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبده ٭ فاقضي القضا كعب ولا تردده
نهاره وليله ما يرقده ٭ فلست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدني في فرشها وفي الحجل[1] ٭ إني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول[2] ٭ وفي كتاب الله تخويف جلل

(*) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٢٤).

(١) الحجل: بفتحتين جمع حجلة، وهي بيت العروس المزين بالثياب والأسرة والستور.

(٢) السبع الطوال في القرآن الكريم هي: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة على أساس أنهما سورة واحدة، ومنهم من قال السابعة هي سورة يونس.

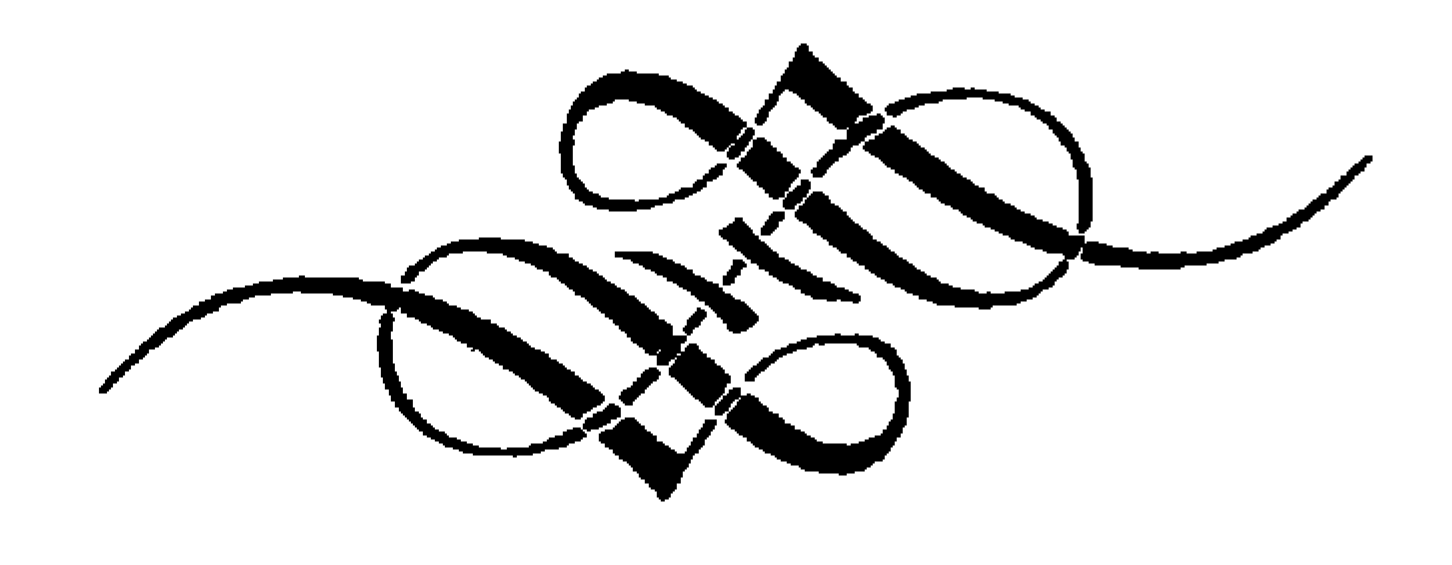
فقال كعب:

إن لهــا عليك حــقًــا يا رجل ٭ نصـيـبـهـا في أربع لمن عــقل

فــــأعـط ذاك ودع عنـك العـلل

ثم قال: إن الله عزَّ وجلَّ قـد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك.

فقال عـمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب؟ أمن فـهمك أمرها أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.



٦٤ ـ هل لك في هذه الأنواع؟!(*)

قال صديق لأبي إسحاق:

هل لك في سكباجة تقرأ وتكتب!

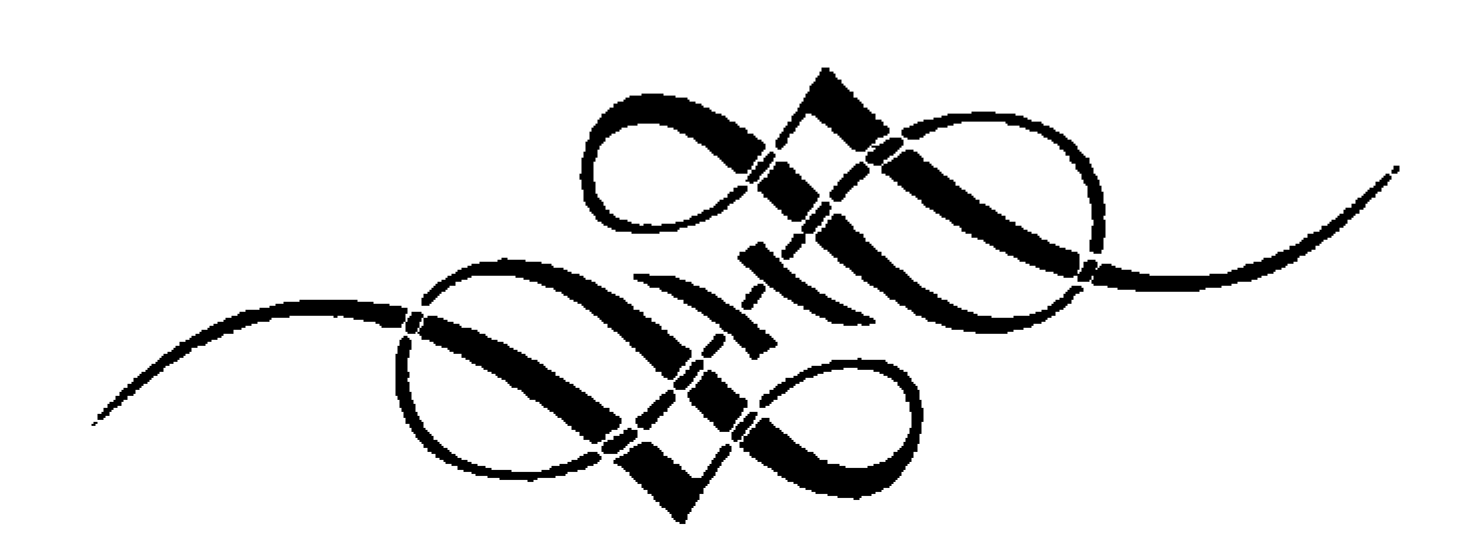
وقليَّة تنطق بالشعر، وتخرج القريض

وطباهجة كالعود المطرب

وعجة تأكل أطراف أصابعك معها

وخبيص أحلى من النوم قبل أن تصلي العتمة؟

فقال له: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ٧٠).



(*) «القول النبيل بذكر التطفيل» للأقفهسي (ص: ٤٦).

السكباج: مرق يعمل من لحم وخل.

والقلية: مرقة تتخذ من أكباد الجزر ولحومها.

والطباهجة: كلمة معربة أصلها «تباهه» وهو اللحم المشرح المطبوخ، ويسمى أيضًا «الكباب»، وقيل هي طعام من بيض وبصل ولحم.

العجة: طعام يتخذ من بيض يضرب ويقلى بالسمن أو الزيت.

والخبيص: طعام من سمن وتمر ودقيق.

٦٥ ـ رزق مقدور، وواهب مشكور(*)

جاء في كتاب (نزهة الأبصار في أخبار ملوم الأمصار)، أن بعض الملوك مر بغلام وهو يسوق حماراً غير منبعث، وقد عنف عليه في السوق.

فقال: يا غلام، ارفق به.

فقال الغلام: أيها الملك، في الرفق به مضرة عليه!

قال: وكيف ذلك؟

قال: يطول طريقه، ويشتد جوعه، وفي العنف به إحسان إليه!

قال: وكيف ذلك؟

قال: يخف حمله، ويطول أكله.

فأعجب الملك بكلامه، وقال: قد أمرت لك بألف درهم.

قال: رزق مقدور، وواهب مشكور.

قال الملك: وقد أمرت بإثبات اسمك في حشمي.

قال: كفيت مؤنة، ورزقت معونة.

فقال له الملك: عظني، فإني أراك حكيماً.

(*) «حياة الحيوان» للدميري (٣/ ٤٢٧).



فقال: أيها الملك، إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب، وإذا هنأتك العافية فحدث نفسك بالبلاء، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية العمل فاذكر الموت، وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها في الإساءة نصيبًا.

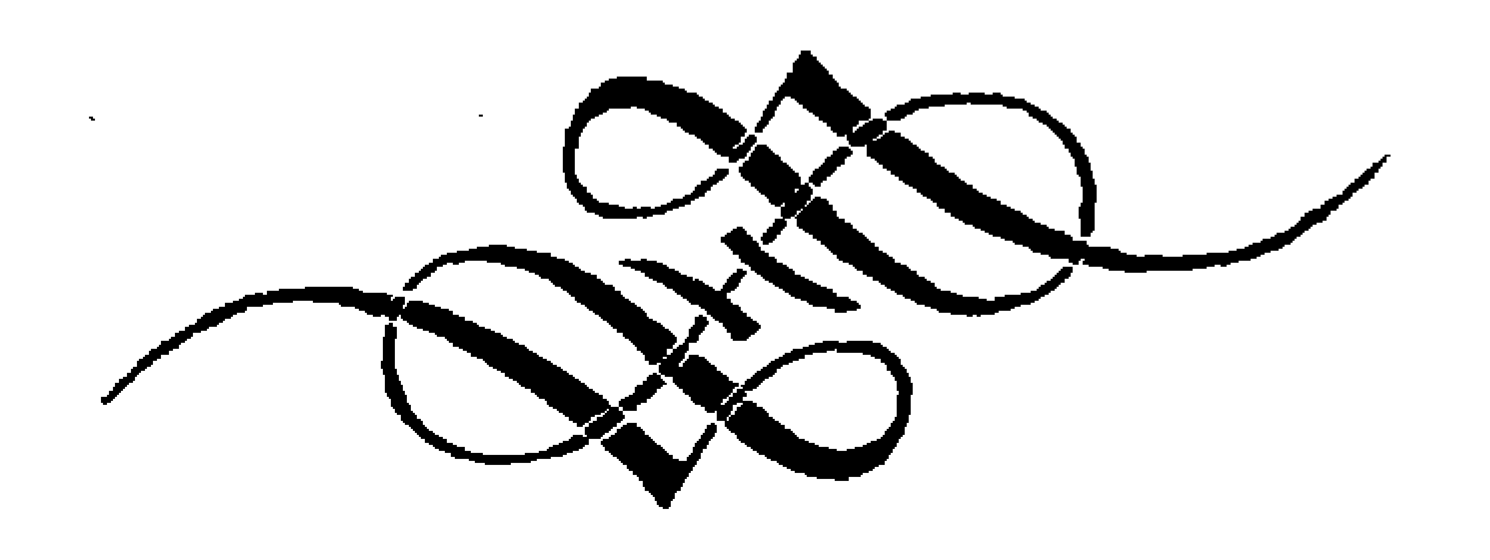
فأعجب الملك بكلامه، وقال: لولا أنك حديث السن لاستوزرتك.

فقال: لن يعدم الفضل، من رزق العقل.

فقال: فهل تصلح لذلك؟

قال: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها.

فاستوزره فوجده ذا رأي صائب، وفهم ثاقب، ومشورة تقع موقع التوفيق.



٦٦ ـ دعه وإلا أخذ ما عليَّ(*)

إن أحد الحاضرين سأل جعفر بن المفضل الملقب بالمهذب أن ينظم شعرًا يصف فيه خاتم الأمير وقد ضاق عن خنصره فقال مرتجلاً:

قصر في أوصافك العالم ٭ فاعترف الناثر والناظم

من يكن البحر له راحة ٭ يضيق عن خنصره الخاتم

فأمر له الأمير بعطاء فأخذه، فسئل أن يصف غزالاً قد استأنس في حجر الأمير، فأنشده على الفور:

عجبت لجراة هذا الغزال ٭ وأمر تخطى له واعتمد

وأعجب به إذ بدا جاثيا ٭ فكيف اطمأن وأنت الأسد

فأمر له الأمير بعطاء آخر، فسأله الرجل ممتحنًا أن ينظم في هذه الشبكة المسدولة على هذه الدار فقال:

رأيت ببابك هذا المنيف ٭ شباكًا فأدركني بعض شك

وفكرت فيما جرى لي فقلت ٭ مكان البحار يكون الشبك

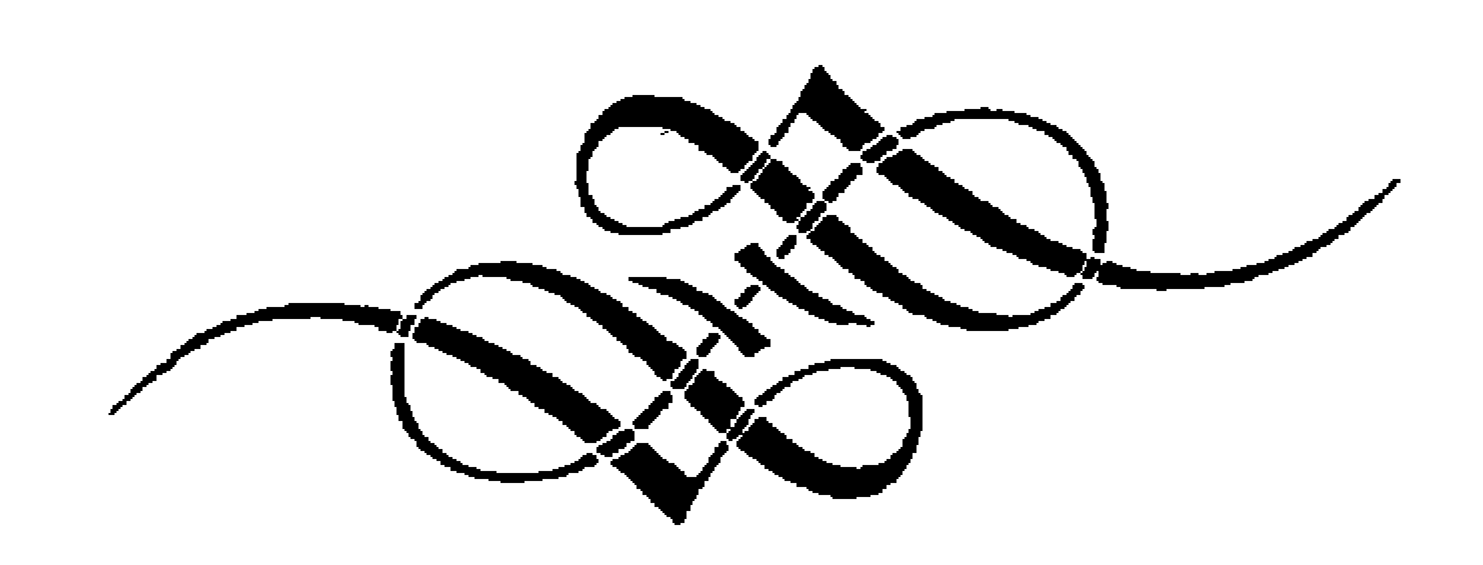
فقال الأمير لممتحنه: دعه وإلا أخذ ما عليَّ.

(*) «تاريخ الدولة الفاطمية» (ص: ٤٥٤).

٦٧ ـ أهـو الشـمس؟[*]

لما ورد المعز الفاطمي مـصر، استقبله الناس على طبقاتـهم مشاة، فلما رأوه قبلوه الأرض بين يديه كلهم، سـوى القاضي أبي الطاهر، فإنه كـان راكبًا، ولما قرب ترجل وسلم عليه، ولم يقبل الأرض.

فالتفت المعز إلى خواص حـجابه وقال: من هذا الذي خالف الناس كلهم؟ فقـيل: قاضي مصر، وهو من أهل الـعلم والدين، ثم لامه أحد الحجـاب سراً هكذا فيمـا فعل، فرفع صوته وقـال جهراً بحيث يسمع المـعز: وما هكذا؟ أهو الشمـس التي قال رسول الله ﷺ، مـن علامات السـاعة طلوع الشـمس من مغربها، وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (سورة فصلت:٣٧)، فأرضاه بذلك، واستحسن قوله، فرجع وهو قاضي وعلت منزلته.



(*) «المقفي الكبير» للمقريزي (١/ ٨٢).



٦٨ - إبليس لا يرتشي(*)

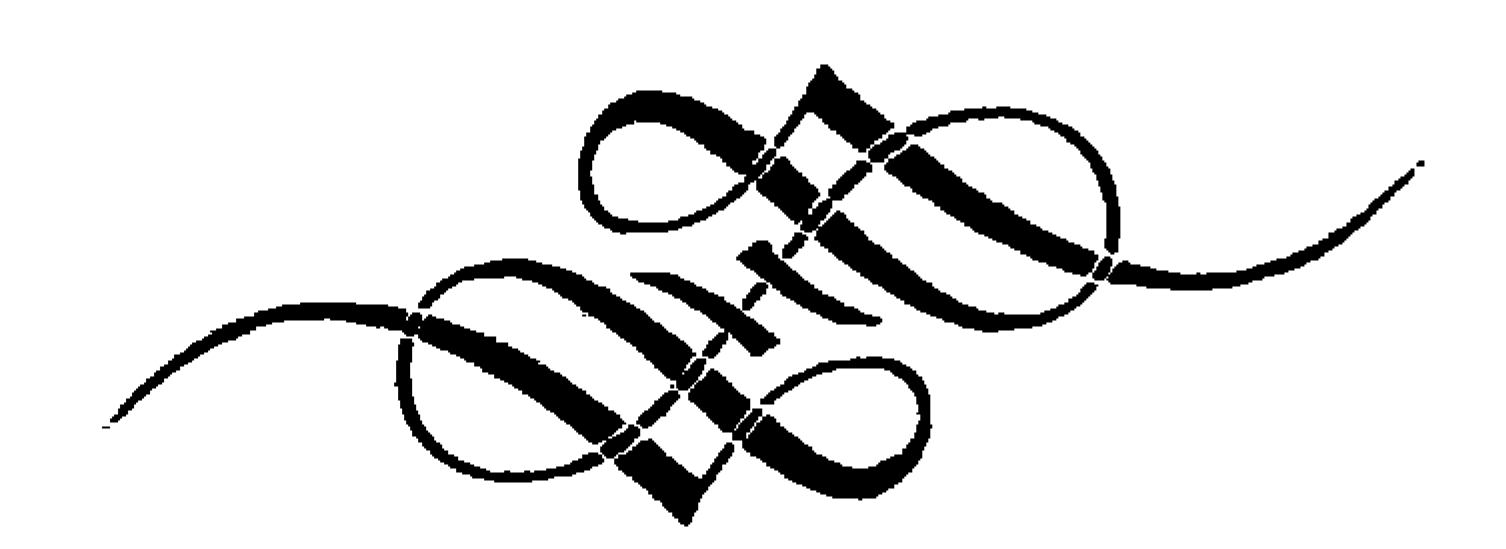
قال الكندي: كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى أسامة والي مصر: احلب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم.

قال: فذلك أول شدة دخلت على أهل مصر.

وقال يومًا سليمان بن عبد الملك وقد أعجبه فعل أسامة بن زيد المذكور: هذا أسامة لا يرتشي ديناراً ولا درهمًا، فقال له ابن عمه عمر بن عبد العزيز: أنا أدلك على من هو شر من أسامة ولا يرتشي ديناراً ولا درهمًا، قال سليمان: ومن هو؟

قال عمر: عدو الله إبليس.

فغضب سليمان وقام من مجلسه.



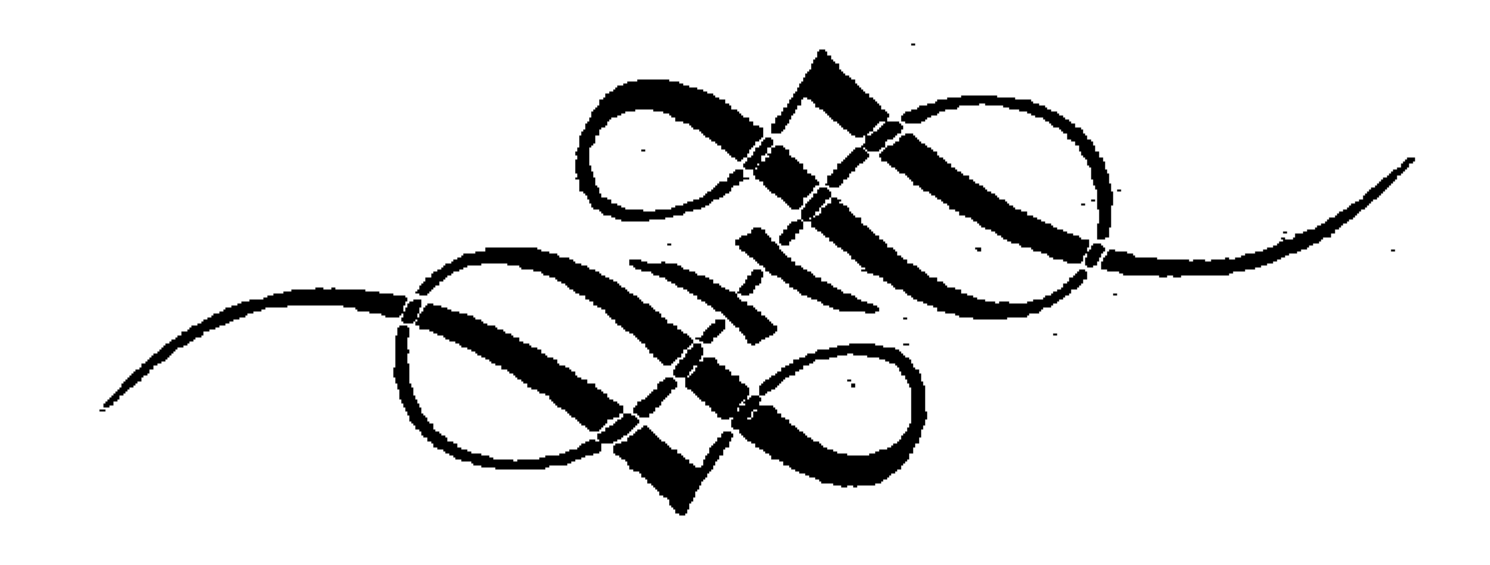
(*) «النجوم الزاهرة» (١/ ٢٩٦).

٦٩ - رجوم أعداء الأمير(*)

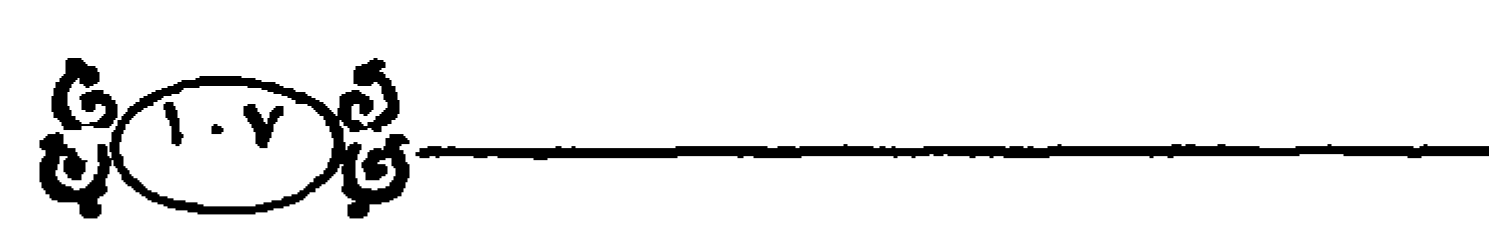
ومما اتفق: أنه لما تساقطت النجوم في أيام محمد بن طولون راعه ذلك، فأحضر من عنده من المنجمين، والعلماء وسألهم، فما أجابوا بشيء، فدخل الجمل المصري الشاعر، وهم في الحديث فانشد:

قالوا: تساقطت النجوم ⭘⭑⭘ لحادث فظ عسير
فأجبت عن مقالهم ⭘⭑⭘ بجواب محتنك خبير
هذي النجوم الساقطات ⭘⭑⭘ رجوم أعداء الأمير

فتفاءل ابن طولون، واستبشر، وأمر له بخلعة سنية وصلة، وقال للجماعة أف لكم أما كان فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا.



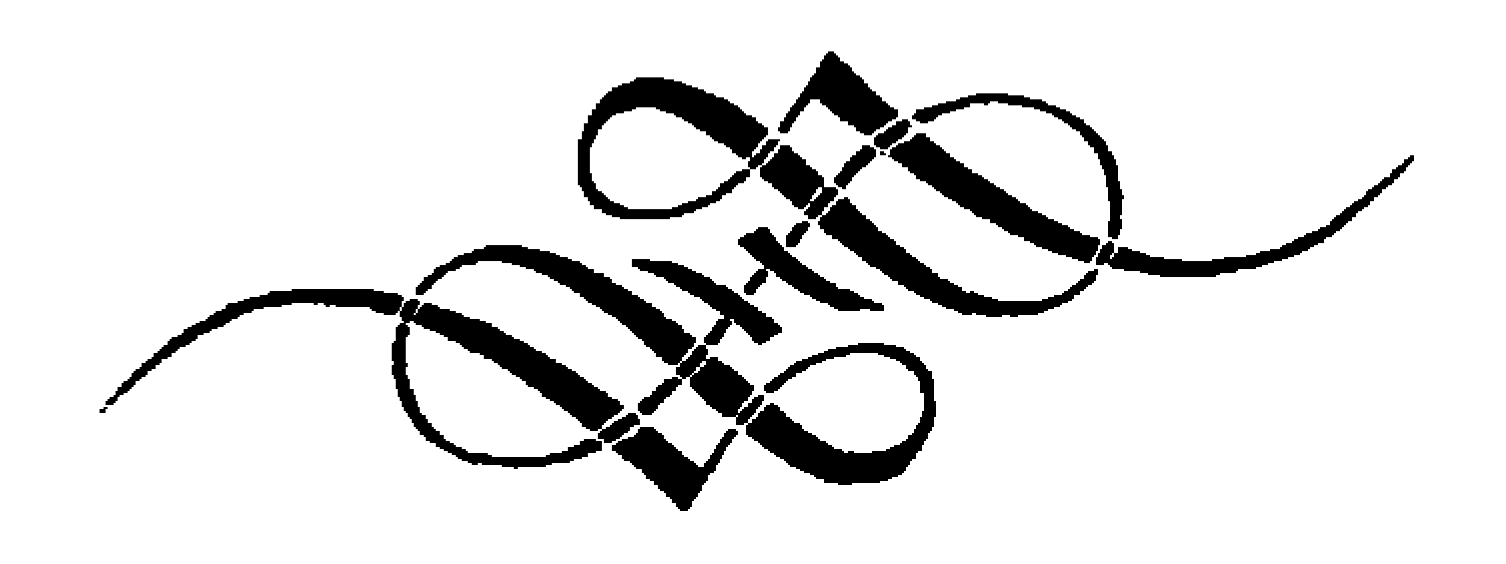
(*) «الطائف الأول» (ص: ٢٤٣).



٧٠ - من أفضل الناس؟(*)

سئل ابن الجوزي أمام الخليفة الناصر من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ وكان الخليفة يفضل علي رضي الله عنه ويقدمه على الصديق رضي الله عنه فقال: أفضلهم من كانت ابنته تحته.

ولم يقدر أن يصرح بتفضيل أبي بكر رضي الله عنه، وإن كان في هذا الجواب معنيان: إذ يمكن أن يفهم تفضيل أبي بكر إذ كانت ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، كما يفهم منه تفضيل علي رضي الله عنه إذ كانت تحته فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ.



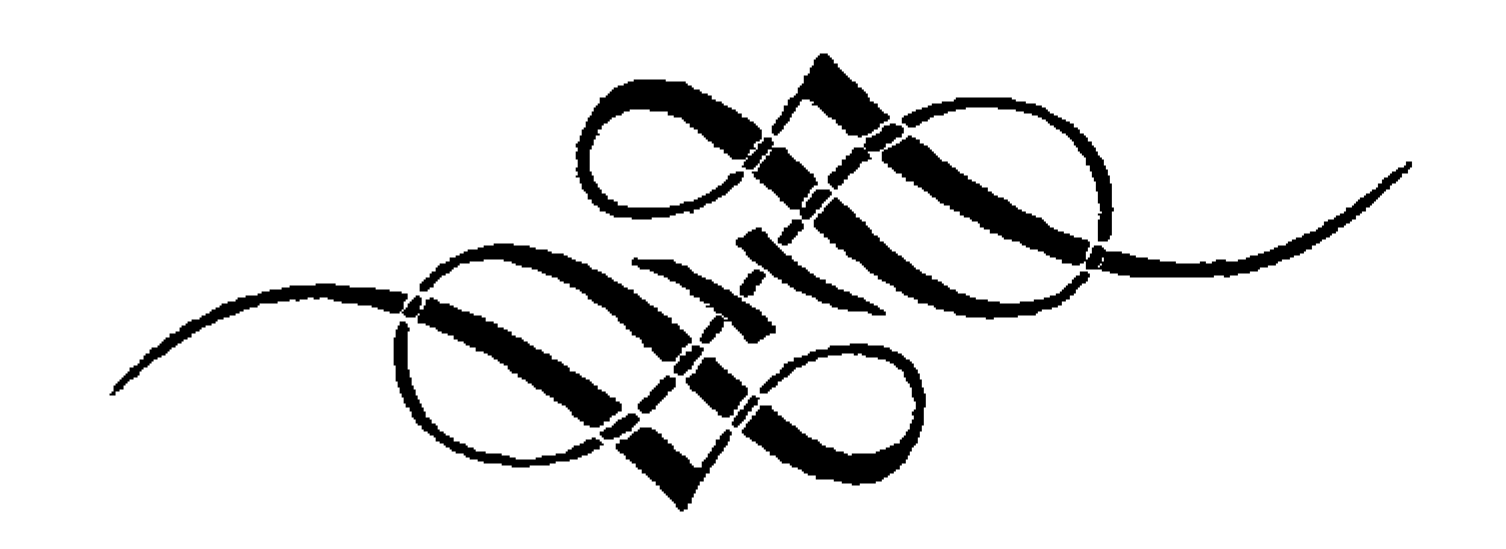
(*) «تاريخ الإسلام» شاكر (٦/ ٢١٧).

٧١ - تفقد الجارية(*)

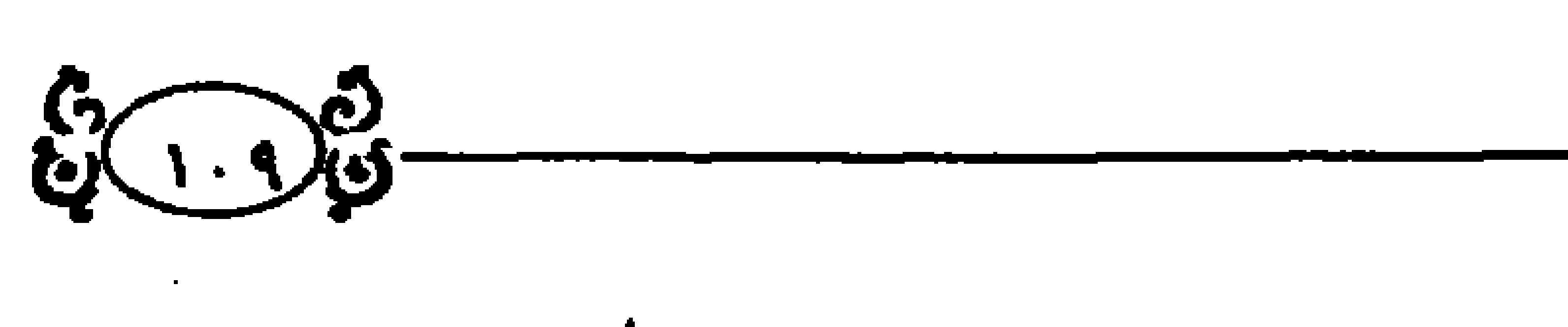
قيل: كتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بقتل أسلم به عبد البكري بشيء بلغه عنه، فأحضره الحجاج فقال: أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (سورة الحجرات:٦)، والذي بلغه عني باطل فاكتب إلى أمير المؤمنين أني أعول أربعًا وعشرين امرأة وهن بالباب فاحضرهن فهذه أمه، وهذه عمته، وزوجته، وابنته، وكان في آخرهن جارية قاربت عشر سنين فقال لها: من أنت منه؟ قالت: ابنته أصلح الله الأمير ثم أنشأت تقول:

أحجاج لم تشهد مقام بناته ⁂ وعماته يندبنه الليل أجمعا
أحجاج لم تقتل به إن قتلته ⁂ ثمانًا وعشراً واثنتين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه ⁂ علينا فمهلاً أن تزدنا تضعضعا
أحجاج إما أن تجود بنعمة ⁂ علينا وإما أن تقتلنا معا

فبكى الحجاج وقال: والله لا أعنت الدهر عليكن ولا زدتكن تضعضعًا، وكتب إلى عبد الملك بخبر الرجل والجارية، فكتب إليه عبد الملك إن كان الأمر كما ذكرت فأحسن صلته وتفقد الجارية ففعل.



(*) «الكامل في التاريخ» (٤/ ٢٨٤).



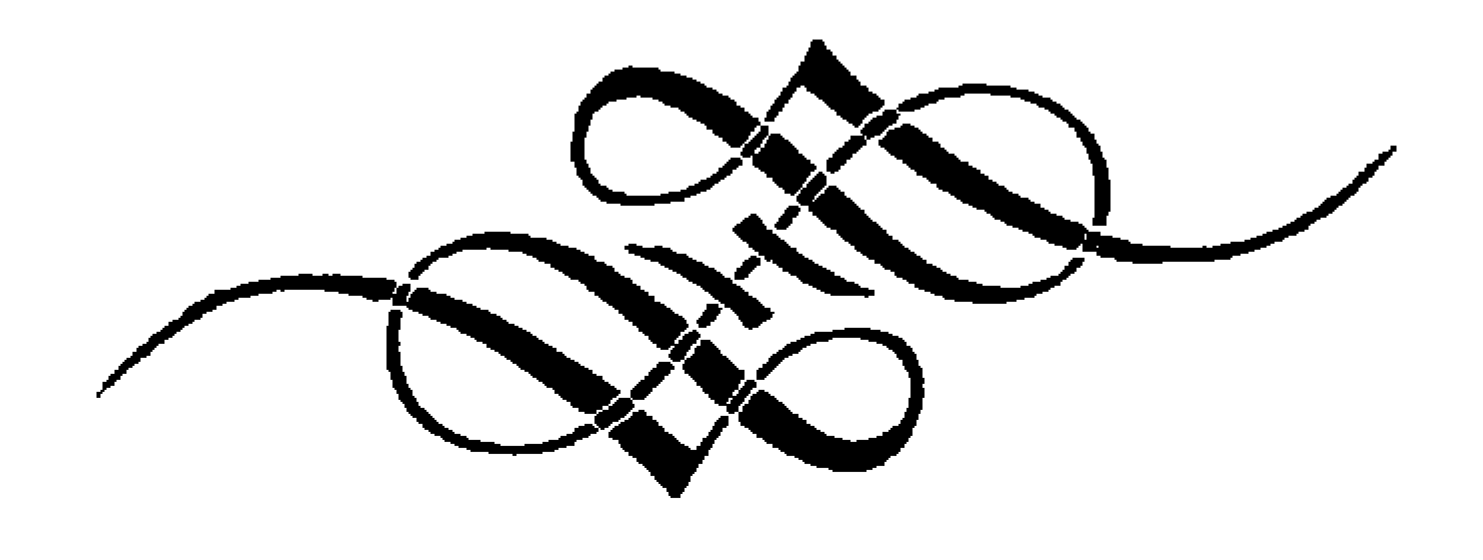
٧٢ ـ يعذبني الله على الصلاة؟![*]

روى البيهقي وغيره بسند صحيح عن سعيد بن المسيب أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر، أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟!

قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة.

وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ وهو سلاح قوي على المبتدعة، الذين يستحسنون كثيراً من البدع، باسم أنها ذكر وصلاة، ثم ينكرون على أهل السنة، إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!!!

وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك.



(*) رواه الدارمي (١/ ١١٦)، وعبد الرزاق (٤٧٥٥)، والبيهقي (٢/ ٤٦٦)، وانظر «إرواء الغليل» للألباني (٢/ ٢٣٦).

٧٣ - الميت الأول ذكر أم أنثى؟[*]

حُكي أن المأمون لما حضر إليه يحيى بن أكثم[١] أطال النظر إليه، وكان يحيى بن أكثم ذميم الخِلْقَة[٢]، فقال له: يا أمير المؤمنين انظر إلى خُلُقِي[٣] ولا تنظر إلى خَلْقِي، فقال له المأمون: هلك هالك، عن أبوين، وعن أختين، ولم تقسم التركة حتى ماتت إحدى الأختين عمن ذكر في المسألة، فقال: يا أمير المؤمنين الميت الأول ذكر أم أنثى؟ فعرف المأمون فضله، وقال: بفرقك بين الذكر والأنثى قد سهل عليك الجواب.



(*) «لطائف أخبار اليوم» (ص: ٦٥).

(١) يحيى بن أكثم: فقيه وأديب ولي قضاء البصرة وعمره (٢٠ سنة) قاضي قضاة بغداد على أيام المأمون، عزله المتوكل، توفى في الربذة بعد رجوعه من الحج.

(٢) الخلقة: الفطرة والهيئة.

(٣) الخُلُق: المروءة والسجية.

٧٤ ـ السيل لا يسبق المطر(*)

اجتمع الكسائي ومحمد بن الحسن الحنفي يومًا في مجلس الرشيد، فقال الكسائي: من تبحر في علم اهتدى لجميع العلوم.

فقال له محمد: ما تقول فيمن سها في سجود السهو، هل يسجد مرة أخرى؟

قال: لا.

قال: لماذا؟

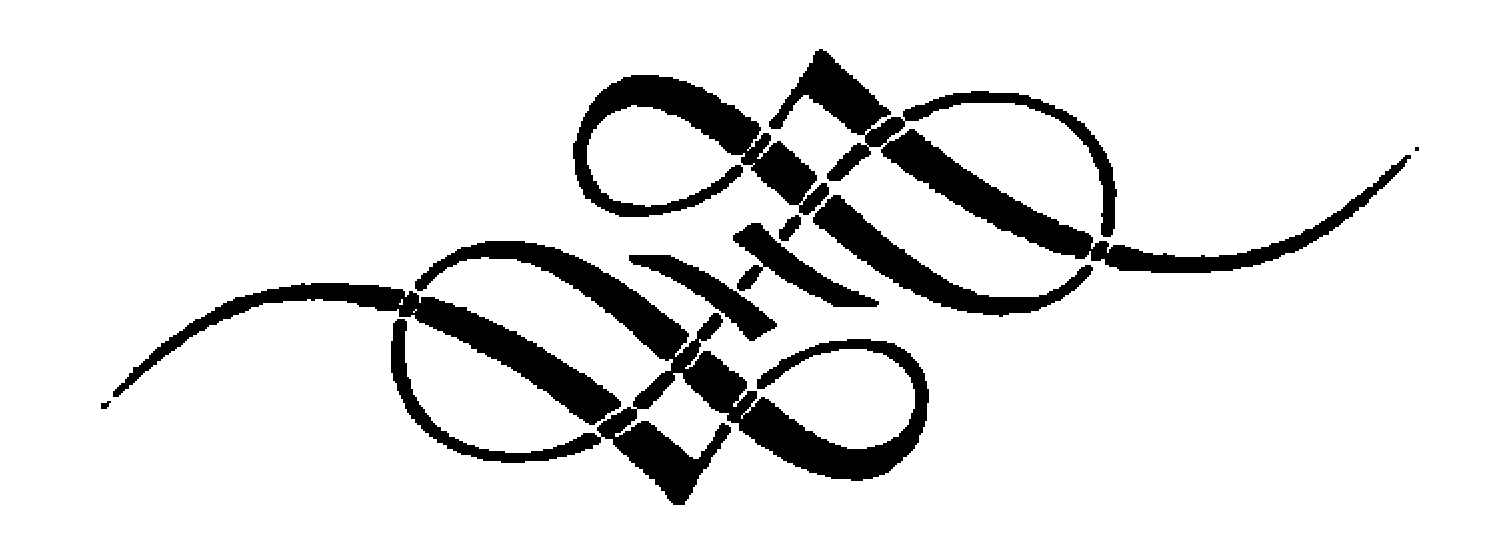
قال: لأن النحاة تقول المصغر لا يصغر.

قال: فما تقول في تعليق العتق بالملك؟

قال: لا يصح.

قال: لم؟

قال: لأن السيل لا يسبق المطر.



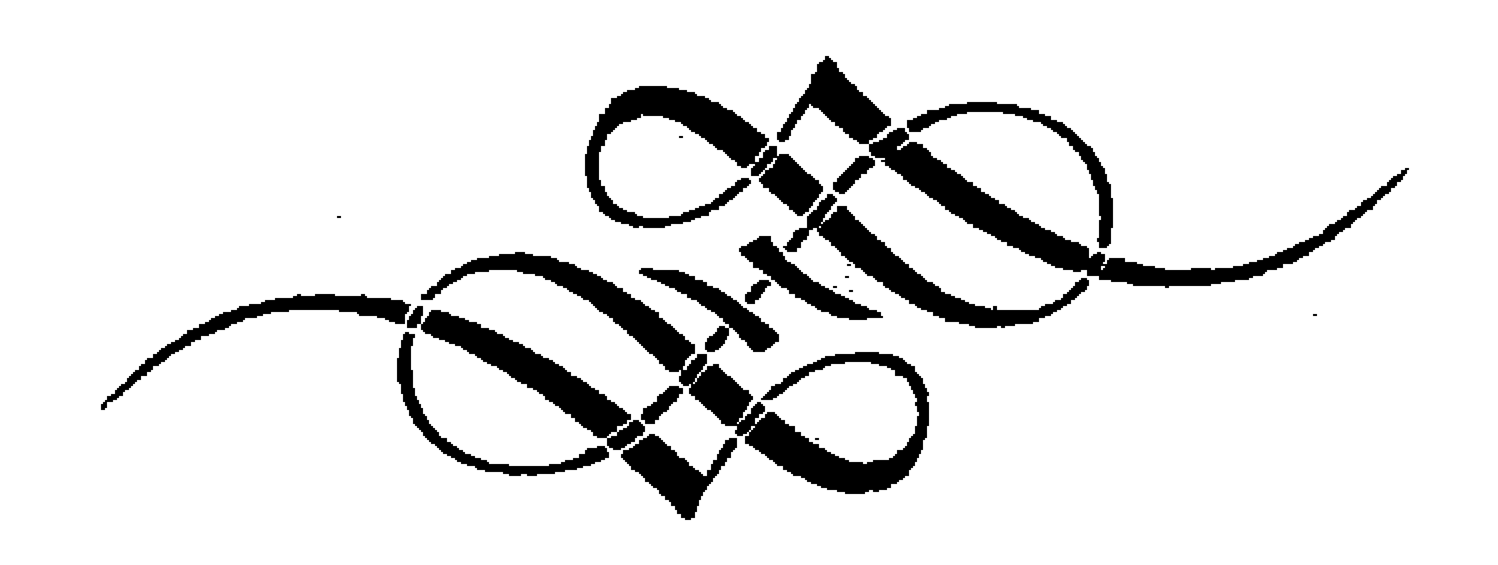
(*) «حياة الحيوان» (٣/ ٤٠٥).

٧٥ ـ حبر القاضي(*)

كان السلطان لاجين المنصوري فهمًا كريم الأخلاق متواضعًا، يُحكى أن القاضي شهاب الدين محمود كان يكتب بين يديه فوقع من الحبر على ثيابه، فأعلمه السلطان، فنظم في الحال بيتين وهما:

ثياب مملوكك يا سيدي ٭ قد بيضت حالي بتسويدها
ما وقع الحبر عليها بلى ٭ وُقِّع لي منك بتجديدها

فأمر له المنصور بتفصيلتين وخمسمائة درهم، فقال الشهاب محمود يا خوند، مماليكك الجماعة رفاقي يبقى ذلك في قلوبهم، فأمر لكل منهم بمثل ذلك، وصارت راتبًا لهم في كل سنة.



(*) «النجوم الزاهرة» (٨/ ٨٨).

٣٦ ـ بنت مصر (*)

قال جميل صدقي الزهاوي:

أخر المسلمين عن أمم الأرض ** حجاب تشقى به المسلماتُ

فأجابه الشيخ ابن الخطيب:

بئس ما يدعى فلاسفة العصر ** من أن السفور فيه الحياة

وهو حق إذ أن أسلافنا الأعراب ** من فرط من يحبون ماتوا[١]

يا خليلي حدث عن الشرق قدما ** حين كانت تعظم المعجزات

حين كان القرآن يُرجى ويُخشى ** والقوانين آية البينات

حين كان الحديث يتلى ولا يرويه ** إلا ذوو العقول الثقات

إننا في الزمان نلقى أناسًا ** في التوضي علومهم قاصرات[٢]

(*) «معركة الحجاب والسفور» محمد إسماعيل (١/ ١٨٩).

(١) تهكم بهذا الرأي الفاسد والقول المذموم، فهو يصدقهم في ما زعموه من أن السفور سبب للحياة، إشارة إلى أن من مات من أعفاء العرب حزنًا وجوى لعجزهم عن رؤية من يحبون نظرًا لأن الحجاب كان يحول دون ذلك، فيموت العاشق أو يجن، وفي هذا يقول قائلهم:

ما كان أغناني عن حب من ** من دونه الأستار والحجب

في حين أن السفور الممقوت قد خلط الحابل بالنابل، وجعل العاشق متمكنًا ومالكًا لمن يعشقها، فانقشع (بفضل) السفور الأسى والجوى، وحل محلها القرب والنجوى، فعم بذلك الشر والبلوى واستوجبوا به غضب الجبار، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) أي أنهم لا يتقنون الوضوء، أو: لا يتوضؤون أصلاً لتركهم الصلاة.

وهمـو بعـد يدعـون علومًـا ٥*٥ أنكرتها عصورنا الخاليات[١]

ليت شعـري مـاذا يريدون منا ٥*٥ وصفوف الأذى بنا محدقات

بنت مصر هاتي سفورك واغشى ٥*٥ كل ناد ولتمل منك الجهات[٢]

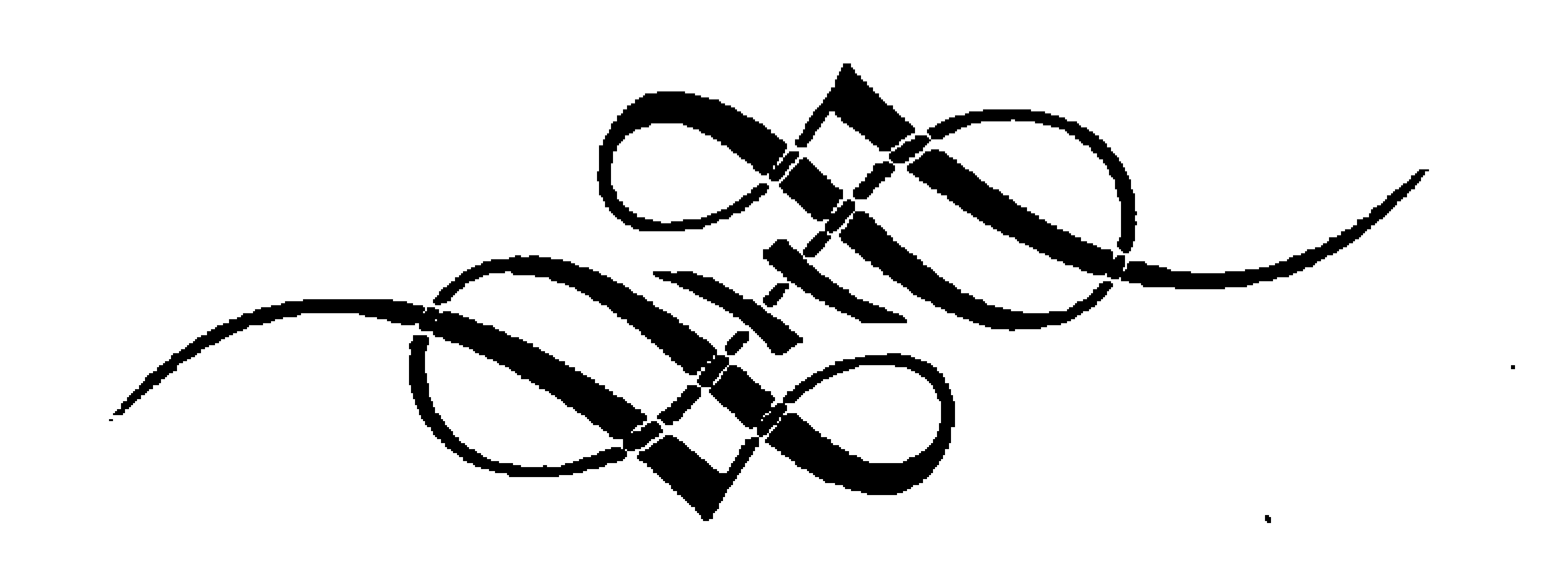
عـرفي نفسك الغداة وطوفي ٥*٥ لا تفتك الأسواق والحانات

ثم أمي مجالس القوم وادعيهم ٥*٥ إلى حيث لا تمل الدعاة

علنًا بالسفور نبني حصونًا ٥*٥ شامخات بها ترد العداة

وعسانا نرى البرايا سجودًا ٥*٥ لابن مصر وقد علاه السبات[٣]

ولعمري لقد بكى الدين حزنًا ٥*٥ حين قال الخطيب: يا سيدات[٤]



---

(١) وذلك لأنهم مع جهلهم حتى بفقه الوضوء، يتقمصون صور العلماء والأحبار، ويتشدقون بالنصوص الشرعية بعد تحريفها وتأويلها مدعين أن السفور لا ينافي الدين، ويأتون بفهم للنصوص سقيم لم يسبقهم إليه سلف ولا خلف.

(٢) أمر قصد به التهكم والاستهزاء.

(٣) أي تركه للنوم والخمول.

(٤) أي عندما غشيت النساء المحافل والمنتديات مختلطات بالرجال، وصار الخطباء يفتتحون كلامهم بقولهم (سيداتي سادتي)، هذه العبارة كان (سعد) يحلم باليوم الذي تقال فيه، إذ قال في حفل تكريم له أقامه تجار العاصمة على أثر عودته من منفاه: (سادتي. . كنت أود أن أقول: سيداتي وسادتي»، وأتعشم أن يأتي يوم أرى فيه خطباءنا يبدأون بتلك البداية. اهـ. من كتاب «المرأة المصرية» لدرية شفيق (ص: ١٣٣).

٧٧ ـ أتشهد أنك في الجنة؟(*)

أخرج الطبراني عن الخولاني أنه قدم العراق فجلس إلى رفقة فيها ابن مسعود رضي الله عنه، فتذاكروا الإيمان، فقلت: أنا مؤمن.

فقال ابن مسعود: أتشهد أنك في الجنة؟

فقلت: لا أدري مما يحدث الليل والنهار.

فقال ابن مسعود: لو شهدت أني مؤمن لشهدت أني في الجنة.

قال أبو مسلم: فقلت: يا ابن مسعود! ألم تعلم أن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ على ثلاثة أصناف: مؤمن السريرة مؤمن العلانية، كافر السريرة كافر العلانية، مؤمن العلانية كافر السريرة؟ قال: نعم، قلت: فمن أيهم أنت؟

قال: أنا مؤمن السريرة مؤمن العلانية.

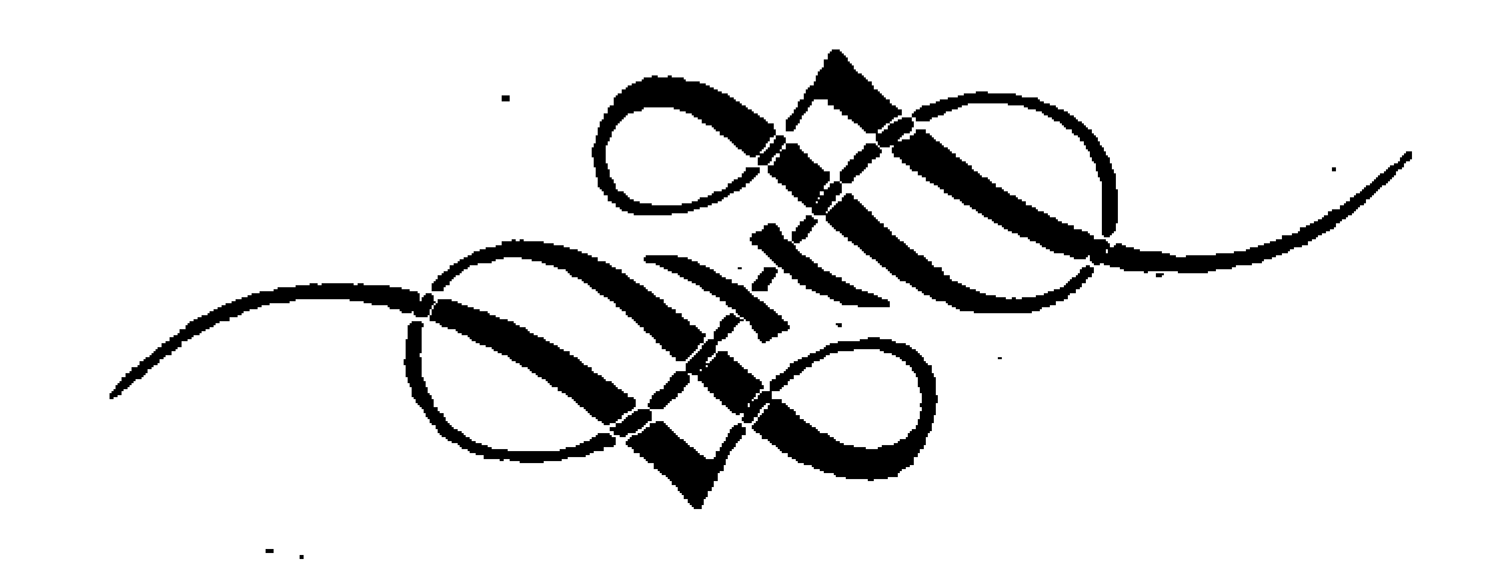
قال أبو مسلم: قلت: وقد أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ (سورة التغابن: ٢).

فمن أي الصنفين أنت؟ قال: أنا مؤمن.

(*) «مسند الشاميين» (ص: ٢٨٩)، بسند جيد، وانظر «الضعيفة» للألباني (٤/ ١٩٤).

قلت: صلى الله على معاذ، قال: وما له؟ قلت: كان يقول: «اتقوا زلة الحكيم»، وهذه منك زلة يا ابن مسعود! فقال: أستغفر الله.

وأقول: رضي الله عن ابن مسعود ما أجمل إنصافه، وأشد تواضعه، لكن يبدوا لي أنه لا خلاف بينهما في الحقيقة، فابن مسعود نظر إلى المآل، ولذلك وافقه عليه أبو مسلم، وهذا نظر إلى الحال، ولهذا وافقه ابن مسعود، وأما استغفاره فالظاهر أنه نظر إلى أن استنكاره على أبي مسلم كان عامًا فيما يبدو من ظاهر كلامه، والله أعلم.



٧٨ - كم فرض الله عليك؟(*)

روي أن عتبة بن أبي سفيان ولى رجلاً من أهله على الطائف فظلم رجلاً من الأزد، فأتى الأزدي عتبة، فمثل بين يديه فقال: أصلح الله الأمير، إنك قد أمرت من كان مظلومًا أن يأتيك، فقد أتاك مظلوم غريب الديار.

ثم ذكر ظلامته بضجة وجفاء، فقال له عتبة: إني أراك أعرابيًا جافيًا، والله ما أحسبك تدري كم فرض الله عليك من ركعة بين يوم وليلة؟!

فقال الأزدي: أرأيتك أن أنبأتك بها أتجعل، عليك مسألة؟

قال عتبة: نعم.

فقال:

إن الصلاة أربع وأربع ٭ ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تضيع

فقال عتبة: صدقت، ما مسألتك؟

قال: كم فقار ظهرك؟

قال عتبة: لا أدري.

فقال: أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك!

فقال عتبة: أخرجوه عني وردوا عليه غنيمته.

(*) «حياة الحيوان» (٤/ ٦١٤).

٧٩ ـ يوم الهاشمية(*)

قيل إن معنًا دخل مرة على الخليفة أبي جعفر المنصور: فقال له المنصور: هيه يا معن! تعطي مروان ابن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله:

معن بن زائدة الذي زيدت به ۞ شرفًا على شرف بنو شيبان

فقال: كلا يا أمير المؤمنين، إنما أعطيته على قوله في هذه القصيدة:

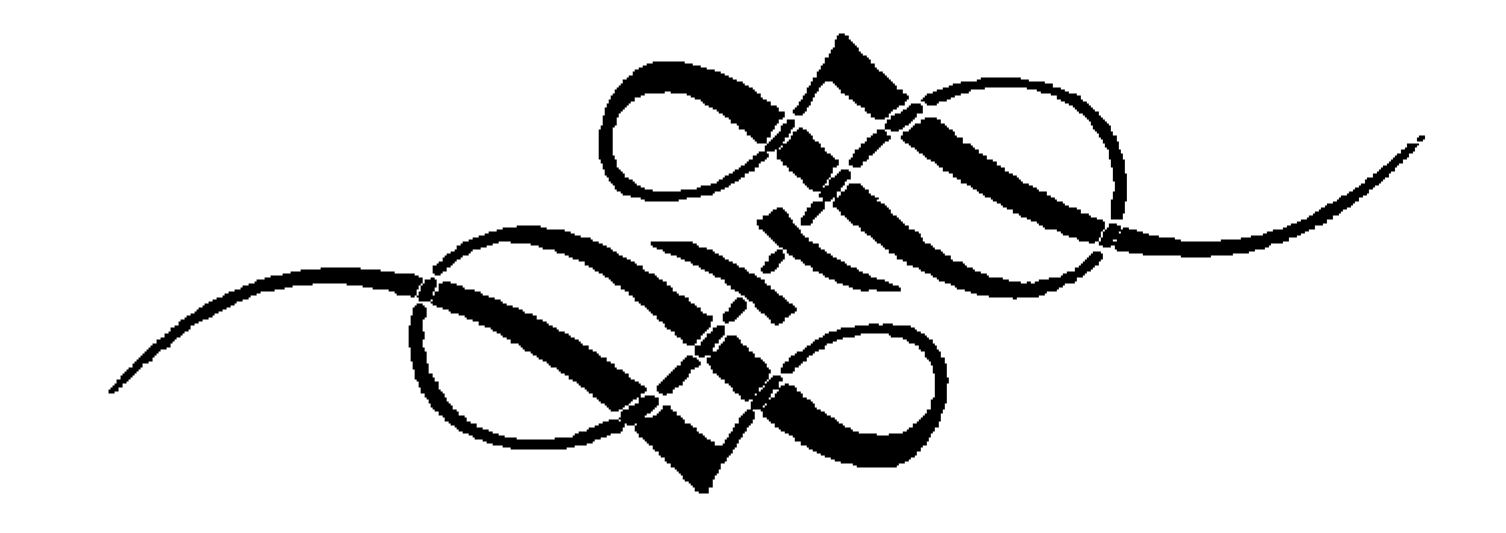
ما زلت يوم الهاشمية معلنًا ۞ بالسيف دون خليفة الرحمن[1]

فمنعت حوزته وكنت وقاءه ۞ من وقع كل مهند وسنان

فقال: أحسنت يا معن، ما أكثر وقوع الناس في قومك!

فقال: يا أمير المؤمنين.

إن العرانين تلقاها محسدة ۞ ولا ترى للئام الناس حسادا



(*) «النجوم الزاهرة» (٢/ ٥٢).

(١) الهاشمية: مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة، وفيها كانت المعركة بين المنصور والراوندية من أهل خراسان.

٨٠ـ لو صح منك العشق ما جئتني (*)

سُئِلَ الإمام أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ بأبيات:

يا أيها العالم ماذا ترى ٭ في عاشق ذاب من الوجد

من حب ظبي أغيد أهيف ٭ سهل المحيا حسن القد

فهل ترى تقبيلي جائزا ٭ في الفم والعينين والخد

من غير ما فحش ولا ريبة ٭ بل بعناق جائز الحد

إن كنت ما تغني فإني إذاً ٭ أصيح من وجدي وأستعدي

فكتب ـ رحمه الله تعالى ـ الجواب:

يا ذا الذي ذاب في الوجد ٭ وظل في ضر وفي جهد

اسمع فدتك النفس من ناصح ٭ بنصحه يهدي إلى الرشد

لو صح منك العشق ما جئتني ٭ تسألني عنه وتستعدي

فالعاشق الصادق في حبه ٭ ما باله يسأل ما عندي

غيبه العشق فما إن يُرى ٭ يعيد في العشق ولا يبدي

وكل ما تذكر مستفتيا ٭ حرمه الله على العبد

إلا لما حلله ربُنا ٭ في الشرع بالإبرام والعقد

فعدٌ من طرق الهوى معرضا ٭ وقف بباب الواحد الفرد

وسله يشفيك ولا يبتلي ٭ قلبك بالتعذيب والصدٌ

وعفٌ في العشق ولا تُبده ٭ واصبر وكاتم غاية الجُهد

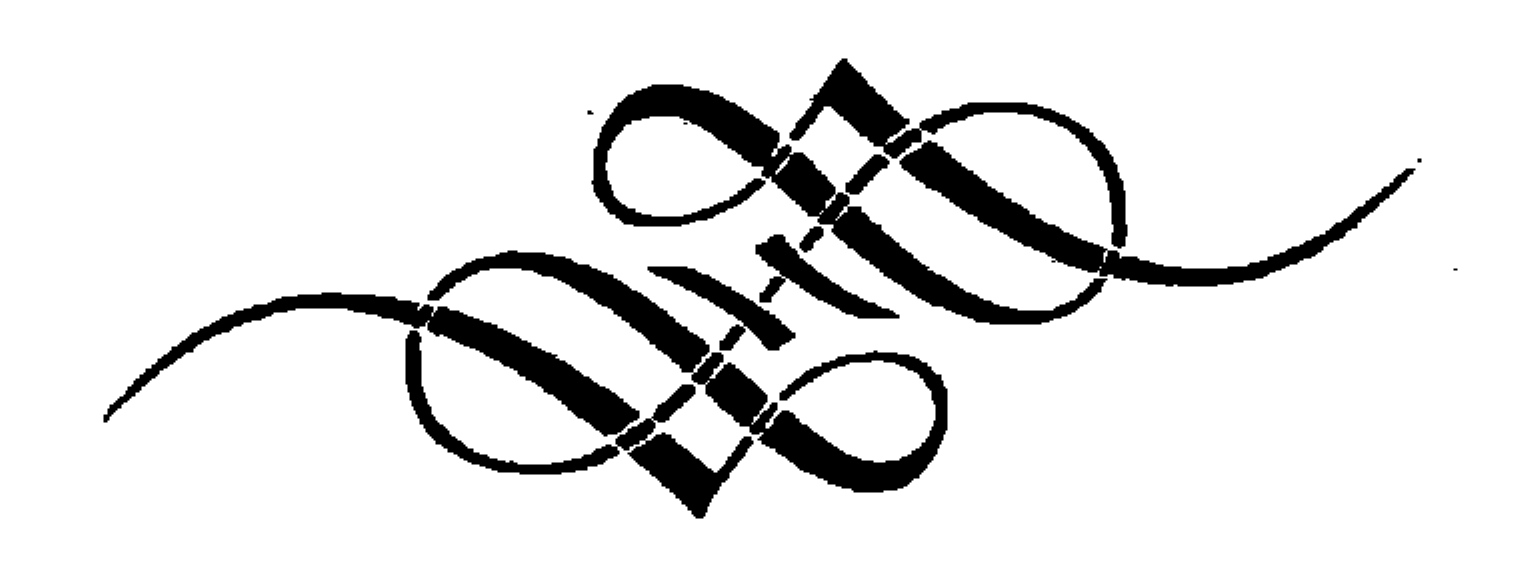
فإن تمت محتسبًا صابرا ٭ تفز غداً في جنة الخلد

(*) «روضة المحبين» لابن القيم (ص: ١٠٩).

٨١- ما حال كفك؟(*)

قيل: إن الفضيل كانت له ابنة صغيرة فوجع كفها، فسألها يومًا وقال: يا بنية، ما حال كفك؟ فقالت: يا أبت، بخير، والله لئن كان الله تعالى ابتلى مني قليلاً فلقد عافى مني كثيراً، ابتلى كفي وعافى سائر بدني، فله الحمد على ذلك، فقال: يا بنية، أريني كفك، فأرته، فقبله، فقالت: يا أبت، أنا شدك الله، هل تحبني؟ قال: اللهم نعم، فقالت: سوأة لك من الله، والله ما ظننت أنك تحب مع الله سواه!

فصاح الفضيل وقال: يا سيدي، صبية صغيرة تعاتبني في حبي لغيرك؟ وعزتك وجلالك لا أحببت معك سواك.



(*) «حياة الحيوان» للدميري (٢/ ٢٢٣).

٨٢- أيشاء ربنا أن يُعصى؟(*)

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: يقال إن بعض أئمة السنة أحضر للمناظرة مع بعض أئمة المعتزلة فلما جلس المعتزلي قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء.

قال السني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء.

فقال المعتزلي: أيشاء ربنا أن يُعصى؟ فقال السني: أفيعصى ربنا قهرًا؟، فقال المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليَّ بالردى أحسن إليَّ أو أساء؟، فقال السني: إن كان منعك ما هو لك فقد أساء، وإن كان منعك ما هو له فإنه يختص برحمته من يشاء فانقطع.

ماذا يستفاد من هذه المناظرة؟:

١ ـ أن المعتزلي أراد أن ينزه الله تعالى عن نسبة السوء والفحشاء إليه، وهذا شيء حسن لو وقف عليه وانتهى إليه، ولكنه أراد أن ينفي قدرة الله تعالى على خلق ذلك الشر، وجعله بقدرة المخلوقين، فجعل في الكون خالقين مع الله تعالى، وهذا هو مذهب المعتزلة، وهم بذلك أحقر من المجوس الذين يجعلون للكون خالقين اثنين فقط، وعند أبي داود في كتاب (السنة ـ ٤٦٩١): عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» (حديث حسن، انظر «صحيح الجامع» للعلامة الألباني ـ برقم: ٤٤٤٢).

(*) «القضاء والقدر» (ص: ٨٧).

وقد كان رد أبي إسحاق مبنيًا على أن الله تعالى خالق كل شيء إذ قال: «سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء»، لأنه لو وقع في ملك الله تعالى ما لا يشاء لكان ذلك ناقصًا لربوبيته، وعلى ذلك فإنكار قدرة الله تعالى على خلق الشر نقض في ربوبية الله تعالى بالالتزام.

حكى الخلال عن الإمام أحمد وكان يقول: لو لم يجز أن يفعله الله تعالى الشر لما حسنت الرغبة إليه في كشفه. («العقيدة» للإمام أحمد ـ٢/ ١٢٣).

. قال ابن حجر في (الفتح ـ١١/ ١٩٠) في شرح قوله ﷺ: «فاصرفه عني واصرفني عنه» ـ أي الشر ـ: فيه دليل لأهل السنة أن الشر من تقدير الله على العبد، لأنه لو كان يقدر على اختراعه لقدر على صرفه، ولم يحتج إلى طلب صرفه عنه.

وفي هذا دليل على أن الله تعالى خلق الشر وخلق القوة التي قامت به، فقد خلق إبليس وخلق فعله ووساوسه، وخلق الخمر وخلق ما تحدثه من السكر، وخلق الأصنام وخلق الضلال الذي يتأتى منها.

٢ ـ أن المعتزلي كان جاهلاً بالفرق بين المشيئة الكونية، المستلزمة لوقوع المراد، وفيها الخلق العام الشامل لكل الموجودات، خيرها وشرها، وبين المشيئة الشرعية التي لا يكون فيها إلا ما يحبه الله تعالى ويرضاه، وهي لا تستلزم وقوع المراد إلا إذا كان متعلقًا بالمشيئة الكونية، والقرآن الكريم يذكر كلا النوعين ويفرق بينهما، وفي المشيئة الكونية يشاء الله تعالى أن يعصى لحكم كثيرة، ولكنه في المشيئة الشرعية لا يحب ذلك أبدًا ولا يأمر به، ولذلك فهو سبحانه وتعالى لا يسوي بين الطائعين والعاصين ولا بين المسلمين والمجرمين. قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (سورة ص:٢٨).

٣ ـ أن المعتزلي سأل السؤال الذي يعلمه إبليس أعوانه في كل زمان ومكان ليشككهم في حكمة الله تعالى في الخلق والأمر، وكذلك ليشككهم في عدله تبارك وتعالى ورحمته، فقال: أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليَّ بالردى أحسن إليَّ أو أساء؟

فأجاب الإسفراييني بأحسن جواب فقال له: «إن كان منعك ما هو لك، فقد أساء، وإن كان منعك ما هو له، فإنه يختص برحمته من يشاء»، وذلك أن الله تعالى لا يجب عليه حق لأحد، إلا أنه يتفضل على من يشاء ويمنع عمن يشاء، فالمنع والعطاء لا يلحقه الظلم على أي حال، وذلك لأن الظلم عند العرب كما بين العلماء إنما يأتي من تصرف المتصرف في غير ملكه، والله تعالى يتصرف في ملكه فإن أعطى فذلك منه فضل، وإن منع فذلك منه عدل.

قال إياس بن معاوية: ما كلمت أحدًا من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية، فإني قلت لهم: ما الظلم فيكم؟ فقالوا: أن يأخذ الإنسان ما ليس له، فقلت لهم: فإن لله كل شيء. (انظر «اعتقاد أهل السنة» للالكائي ـ ٤/ ٦٩١، و«السنة» للخلال ـ ٢/ ٥٥٩).

ولقد سبق في علم الصحابة وأوائل التابعين الثقات الرد على تلك المقولة حيث أرجعوا تنوع المقادير إلى المشيئة الله تعالى وكمال تصرفه في ملكه.

روى مسلم في (القدر)، وأحمد (١٩٤٣٤) عن أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قُضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجة عليهم؟ فقلت: بلى شيء قضى عليهم ومضى عليهم،

فقال: أفلا يكون ظلمًا، قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله، إني لم أُرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم، فقال: لا، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (سورة الشمس: ٧-٨)، الحديث.

فالله تعالى يتصرف في ملكه كما يشاء، فله أن يمن على من يشاء، وله أن يخذل من يشاء، فقد خلق الله تعالى الجنة لها أهلاً، وخلق النار وخلق لها أهلاً، فهو تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (سورة ص: ٢٨).

غير أن رد الخلق إلى محض المشيئة مخالف لمنهج أهل السنة إذا كان مجردًا من الحكمة كما يظن الأشاعرة وغيرهم.

وعلى ذلك فيضاف إلى ما قاله الإسفراييني ـ رحمه الله تعالى ـ وهو من أئمة الأشاعرة ـ أن ما شاءه الله تعالى من أمر الخلق لم يكن مجردًا من الحكمة ـ كما يعتقدون ـ أو الرحمة أو العدل، بل إن العدل والرحمة والحكمة كل ذلك مقترن بتلك المشيئة دائمًا وأبدًا، لا ينفصم عنها ولا ينفك مهما كان نوع هذه المشيئة.

هذا بالإضافة إلى غير ذلك من الأجوبة المسكتة لهذا السؤال الخبيث ومنها:

١ ـ أن الله تعالى قد يجعل الذنب عقوبة لذنب، والمعصية عقوبة للمعصية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (سورة الصف:٥)، وهذا من تمام عدله، كما أنه تعالى يجعل الطاعة ثوابًا للطاعة والنعمة ثوابًا للشكر، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ (سورة الليل:٥-٧)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الأنعام:٥٣)، وهذا من تمام فضله.

٢ ـ أن تقدير الله تعالى للعقوبة مترتب على ما كان من خروج الناس على ما فطرهم الله تعالى عليه من التوحيد، وخروجهم أيضًا على دعوة الرسل، وإعراضهم عن الحجج والبينات التي جاءوهم بها، وتبديدهم للزمن والمهلة التي أعطاهم الله إياها، ليراجعوا أنفسهم ويتوبوا إليه.

فثبوت العقوبة على هؤلاء من تمام العدل، وذلك لأنه تعالى أقام الحجج والبراهين ولو هدى من هدى، وتاب على من تاب، فليس ذلك أمرًا واجبًا عليه من أحد، إنما ذلك منته وفضله ورحمته، وليس للعباد شيء يمتنون به على الله تعالى.

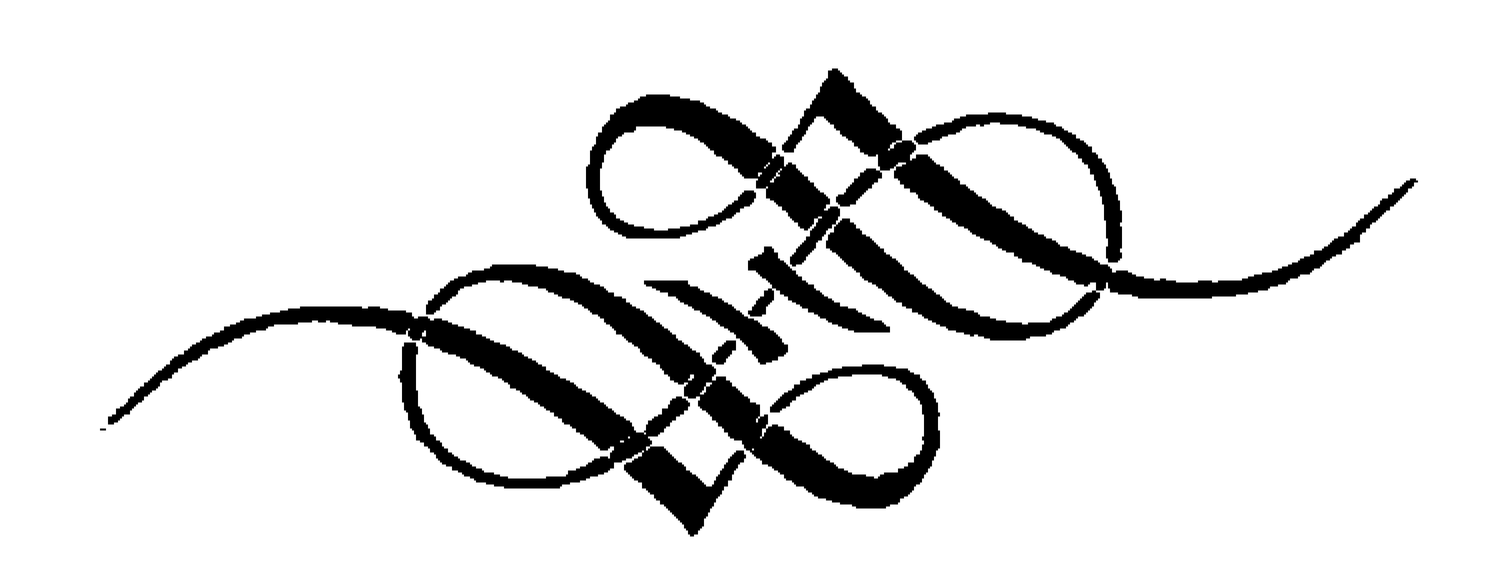
٣ ـ أن صاحب المعصية لا يعلم سابق علم الله تعالى فيه، ومع ذلك فعلها باختياره لا بعلمه بما كتبه الله تعالى عليه.

فلو أن إنسانًا سرق فقيل له لِمَ سرقت؟ فقال: سرقت بما علمت من قدر الله!! لكان كاذبًا، لأنه لم يكن له علم بالقدر أن يسرق، حتى يكون دافعًا له

إلى أن يسرق، إنما سرق باختيـاره وميله إلى السرقة، وإن كان ذلك كله في علم الله السابق وتقديره الأزلي مكتوب ومقدر، ولا مناص من وقوعه.

كان ينبغي على من طرح هذا الـسؤال الفاسد أن يشهد مع مـقام ربوبية الله تعالى عليه وعلى الخلق أجمعين مقام الحمد والشكر.

فيحمد الله تعالى على جـليل ذاته، ويشكره على نعمائه، ويعتذر عن ذنوبه وتقصيره وذلك لأن الله تعالى أقامـه على فطرة التوحيد: وهي من أول الأصول المستوجبة لمحبته تعالى ذكره، ولكنه شد عن ذلك وأعرض واتبع شيطانه، وأضله هواه، فالخلل منه ومن نفسه.



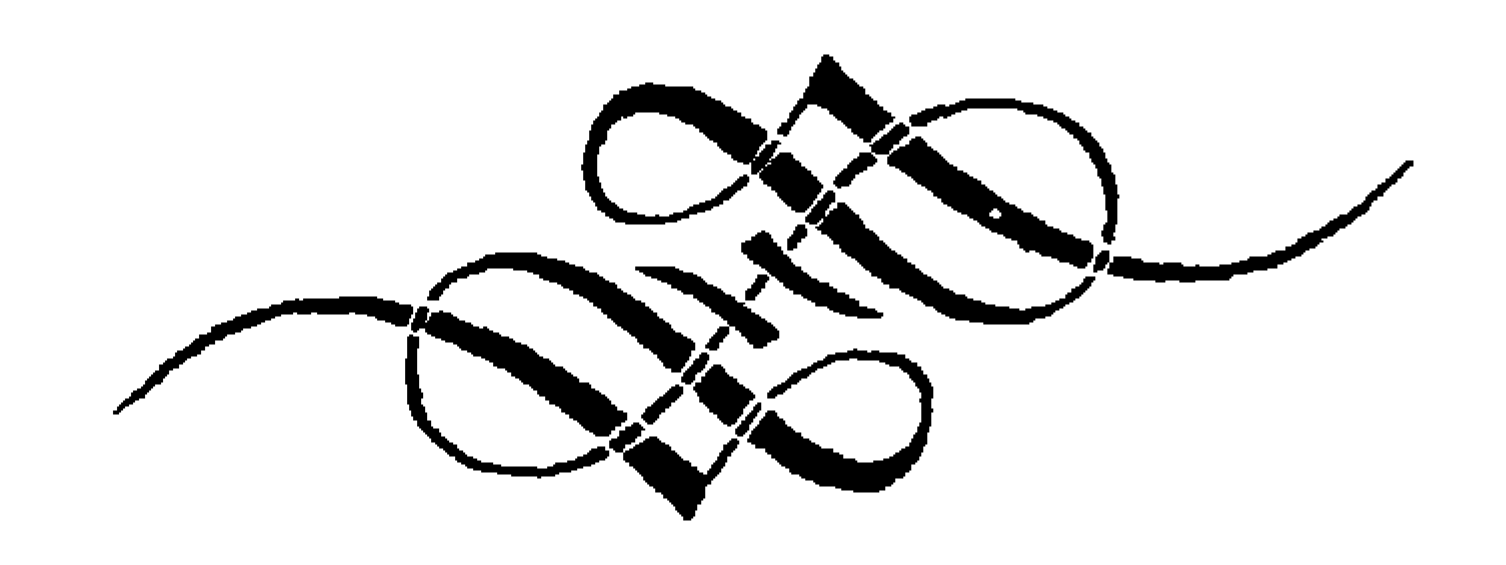
٨٣ـ الصابر والشاكر في الجنة(*)

كان عمران بن حطان فصيحًا قبيح الشكل، وكانت زوجته جميلة، فدخل إليها يومًا وهي بزينتها فأعجبته وعلمت منه ذلك.

فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة.

قال: ومن أين علمت؟

قالت: لأنك أُعطيت مثلي فشكرت، وأنا ابتليت بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة.



(*) «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (١/ ٢٨٨).

٨٤- هل تريد شيئًا؟[*]

ها هو رجل بسيط لم يتعلم العلم الشرعي ولكن قلبه قد امتلأ بحب الله والرغبة في نصرة دين الله جلَّ وعلا فحضر يومًا درسًا لأحد الدعاة وفي أثناء الدرس قال الشيخ: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[1].

فتحرك قلب هذا الرجل البسيط لهذه الكلمات وخرج بعد انتهاء الدرس وقد عزم على أن يدعو إلى الله بهذا الحديث فبدأ يدخل على البقال ويقول له: «كلمتان خفيفتان على اللسان..» ثم يدخل على الجزار. إلى أن أصبح همه كله أن يُعلم الناس جميعًا هذا الحديث.

وفي يوم من الأيام يصاب هذا الرجل بمرض خطير. ويدخل غرفة العمليات ويُجري له الدكتور عملية جراحية خطيرة ـ وكان هذا الدكتور لا يصلي ولا يعرف طريق المسجد ـ.

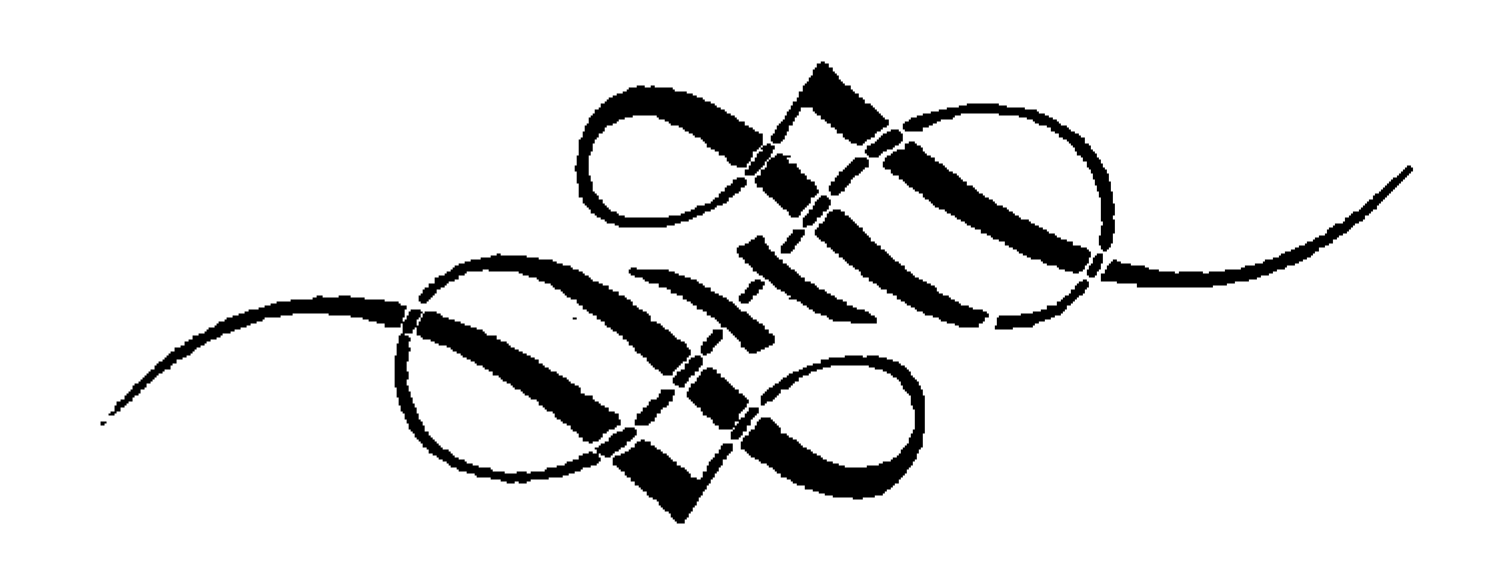
وفجأة قام الرجل بعد إجراء العملية ولم يفق بعدُ من المخدر فقال: يا دكتور! فقال له الدكتور: هل تريد شيئًا؟ فقال له الرجل: «كلمتان خفيفتان عن اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» ثم مات الرجل!.

(*) «مواقف من حياة الأنبياء» (ص: ٦١٢).

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١١/ ٦٦٨٢)، ومسلم (رقم: ٢٦٩٤).

فتعجب الدكتور من هذا الرجل الذي قام وهو تحت تأثير المخدر ليقول له هذا الحديث العظيم.

فتاب هذا الدكتور بسبب تلك الحادثة وذهب ليطلب العلم الشرعي حتى أصبح الآن من أشهر الدعاة إلى الله تعالى... وكل ذلك في ميزان حسنات هذا الرجل البسيط الذي لم يتعلم العلم الشرعي ولكنه أخلص في الدعوة إلى الله تعالى بحديث واحد تعلمه وذهب يدعو به الناس إلى الله تعالى.



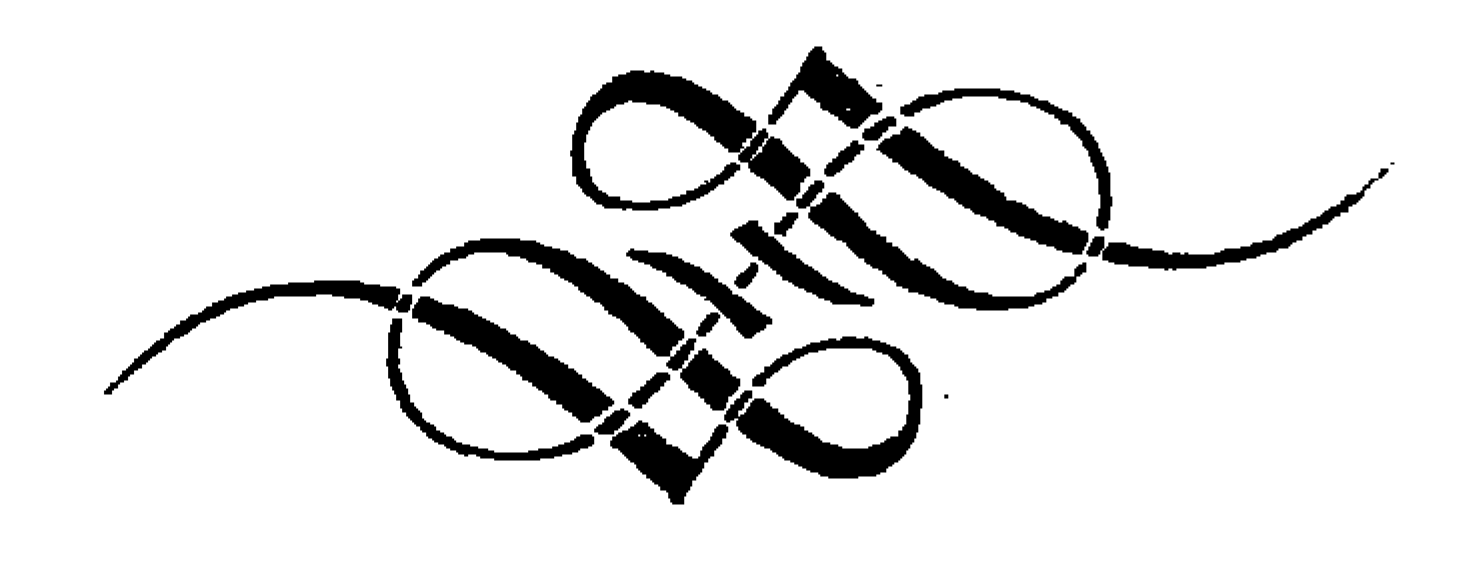
٨٥ـ ليس مفتيك معدودًا من الشعرا(*)

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

مـــاذا يقــول أهل العلم في رجل	آتاه ذو العرش مـالاً حج واعـتـمـرا
فـهـزه الشـوق نـحـو المصطفى طربا	أترون الحج أفضل أم إيثاره الفقـرا
أم حـجـه عن أبيـه ذاك أفـضل أم	مـــاذا الذي يا ســادتي ظهــرا
فافتوا مـحبًا لكم إني فـديتكمو	وذكـركم دأبه إن غـاب أو حـضـرا

فأجابه رضي الله عنه:

نقـول فـيـه: بأن الحج أفـضل من	فـعل التـصدق والإعطاء للفـقـرا
والحج عن والديه فـيــه برهمــا	والأم أسبق في البــر الذي ذكـرا
لكن إذا الفرض نص الأب كان إذًا	هـوالمقـدم فـيـمـا يمنع الضـررا
كما إذا كان محتـاجًا إلى صلته	وأمـه قـد كـفـاها من برا البـشـرا
هذا جـــوابك يا هذا مـــوازنة	ولس مـفـتـيك مـعـدودًا من الشـعـرا



(*) «فتاوى النساء» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ طيب الله ثراه ـ (ص: ٤٣).

٨٦ـ جائزة الأمير(*)

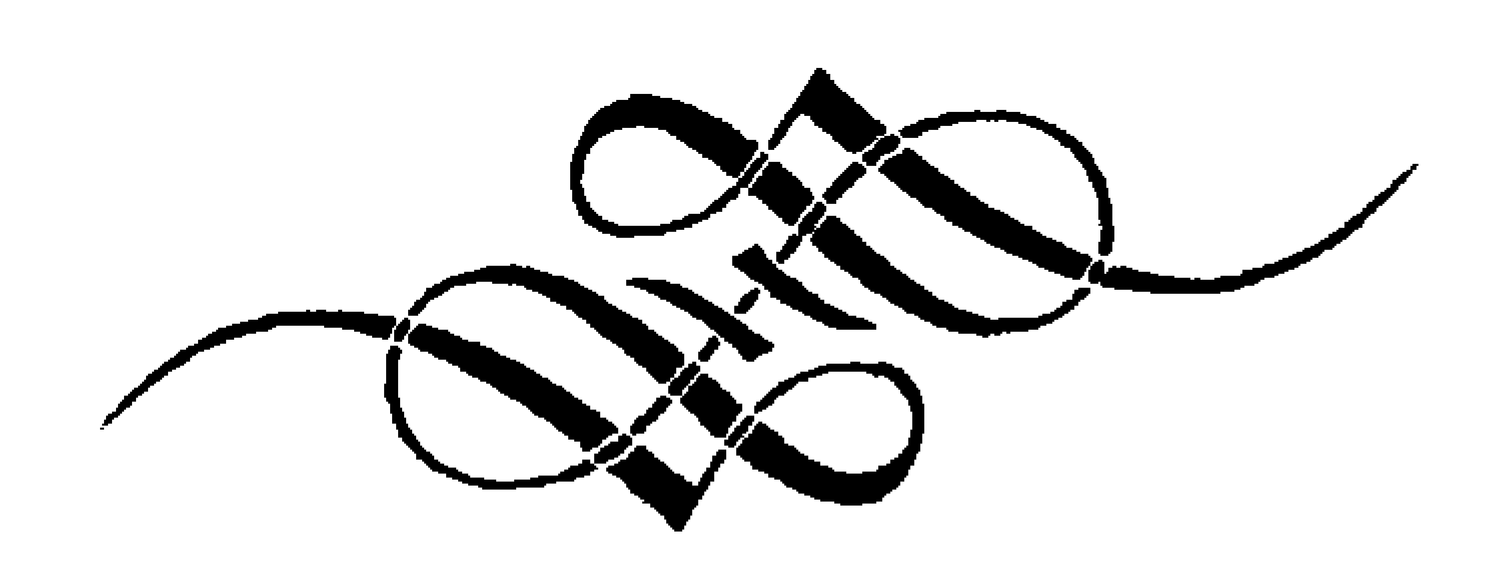
قال ابن العلاف، وكان من الشعراء المجيدين، كنت في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه، فأتى الخادم ليلاً، فقال: يا أمير المؤمنين يقول لكم: أرقت الليلة بعد انصرافكم.

فقلت:

ولم انتبهنا للخيال الذي سرى ٭٭ إذا الدار قفر والمزار بعيد

وقد أُرتج عليَّ تمامه، فمن أجازه بما يوافق غرض أمرت له بجائزة قال: فارتج على الجماعة، وكلهم شاعر فاضل، فابتدرت وقلت:

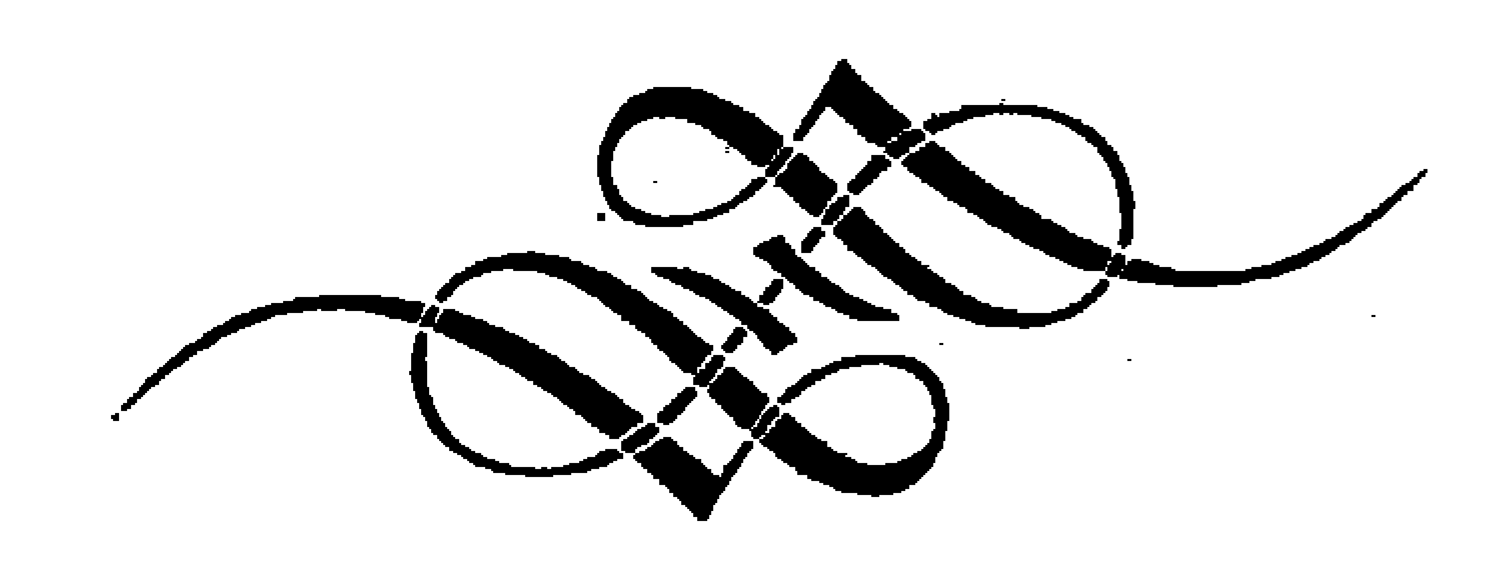
فقلت لعيني عاودت النوم واهجعي ٭٭ لعلَّ خيالاً طارقًا سيعود



(*) «النجوم الزاهرة» (٣/ ٢٦٠).

٨٧ ـ ما حملك على الصدق؟(*)

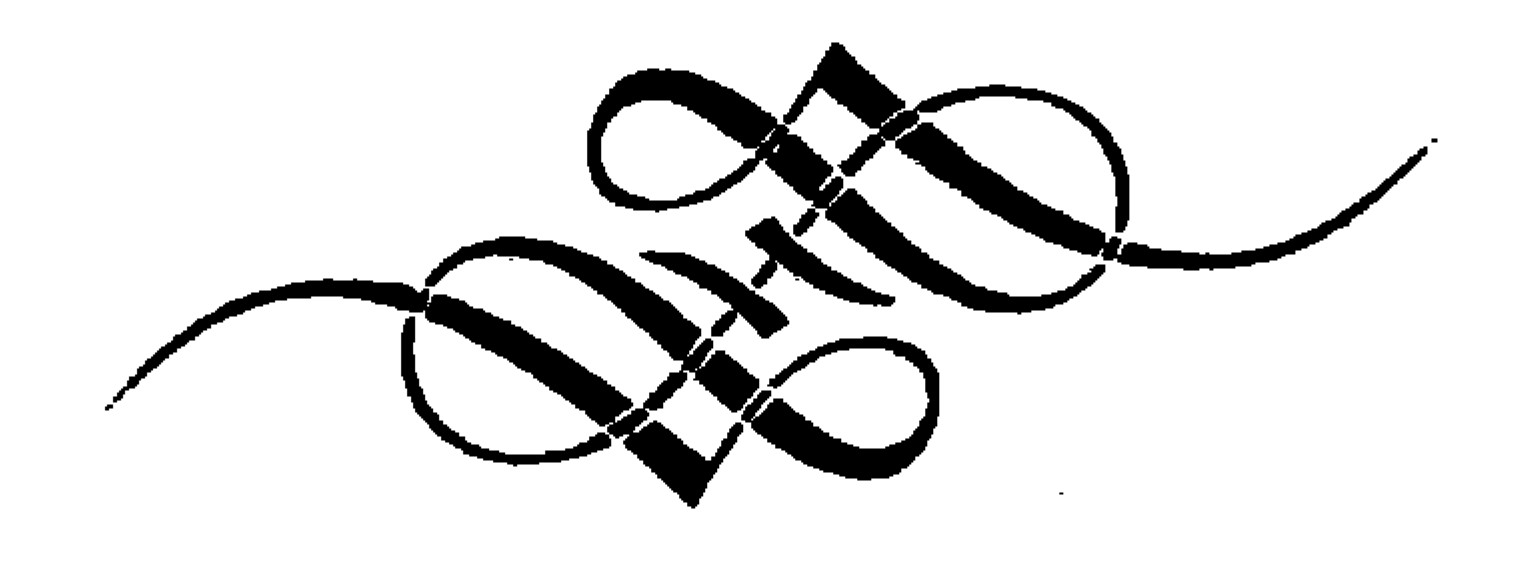
قال الشيخ عبد القادر الكيلاني ـ رحمه الله ـ: بنيت أمري من حين نشأت على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتني أمي أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص فأخذوا القافلة، فمر واحد منهم وقال له: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً، فظن أني أهزأ به، فتركني فرآني رجل آخر، فقال: ما معك؟، فأخبرته بما معي فأخذني إلى كبيرهم فسألني، فأخبرته، قال: ما حملك على الصدق؟. قلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها! فأخذت الخشية رئيس اللصوص فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟! ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة فتابوا جميعًا ببركة الصدق.



(*) «صدقوا ما عاهدوا» (ص: ٥٣)

٨٨ - لا أجعلك في حِل(*)

قال الحافظ صالح جزرة: سمعت هشام بن عمار يقول: دخلت على مالك بن أنس، فقلت له: حدثني، فقال: اقرأ، فقلت: لا، بل حدثني، فقال: اقرأ، فلما رادته، قال: يا غلام، تعالى اذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، قال: فذهب بي، فضربني خمس عشرة درة، ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته، فقلت: قد ظلمتني! ضربتني خمس عشرة درة بغير جُرم، لا أجعلك في حل، فقال مالك: فما كفارته؟ قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثًا، قال: فحدثني بخمسة عشر حديثًا، فقلت له: زد من الضرب، وزد من الحديث، فضحك مالك وقال: اذهب.



(*) «معرفة القراء الكبار» الإمام الذهبي (١/ ١٩٦).

٨٩ ـ بارك الله فيكم(*)

وروي أن النملة التي خاطبت سليمان ﷺ أهدت إليه نقية فوضعتها في كفه وقالت:

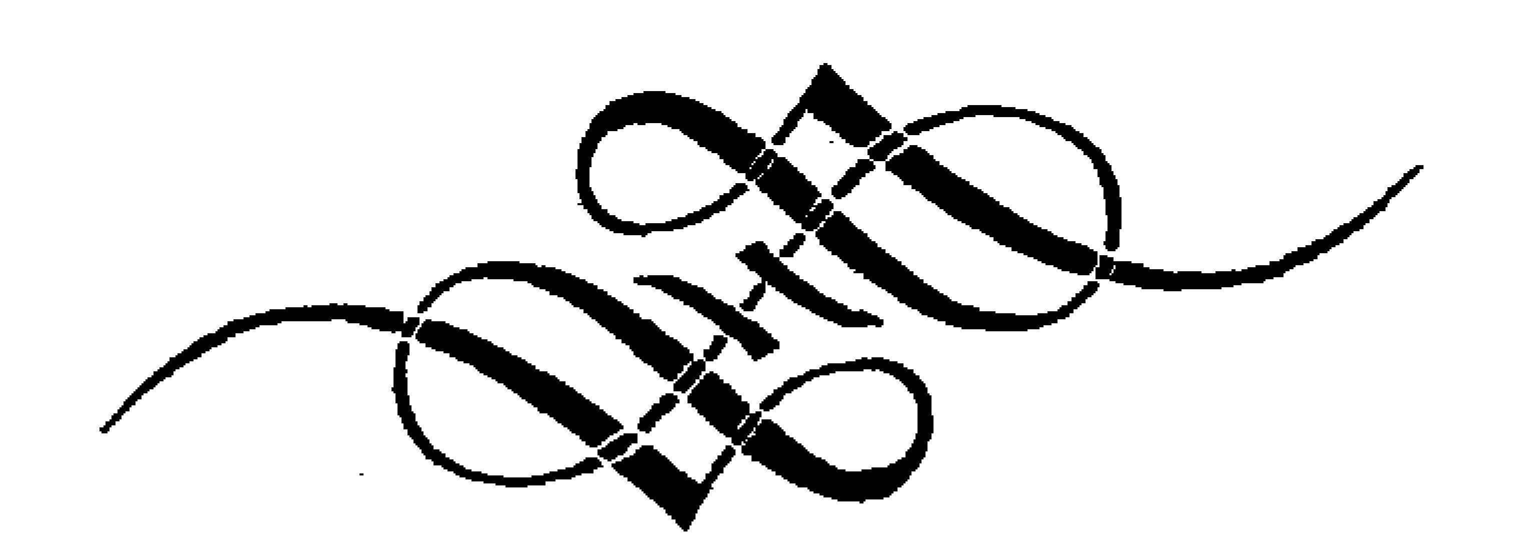
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله ٭ وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

ولو كان يهدي للجليل بقدره ٭ لقصر عنه البحر حين يسائله

ولكننا نهدي إلى من نحبه ٭ فيرضى به عنا ويشكر فاعله

وما ذاك إلا من كريم فعاله ٭ وإلا فما في ملكنا من يشاكله

فقال سليمان ﷺ: بارك الله فيكم... فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله، وأكثر خلق الله توكلاً على الله تعالى.



(*) «حياة الحيوان الكبرى» (٨/ ١٢٩٣).

٩٠ - بدائع الكنايات(*)

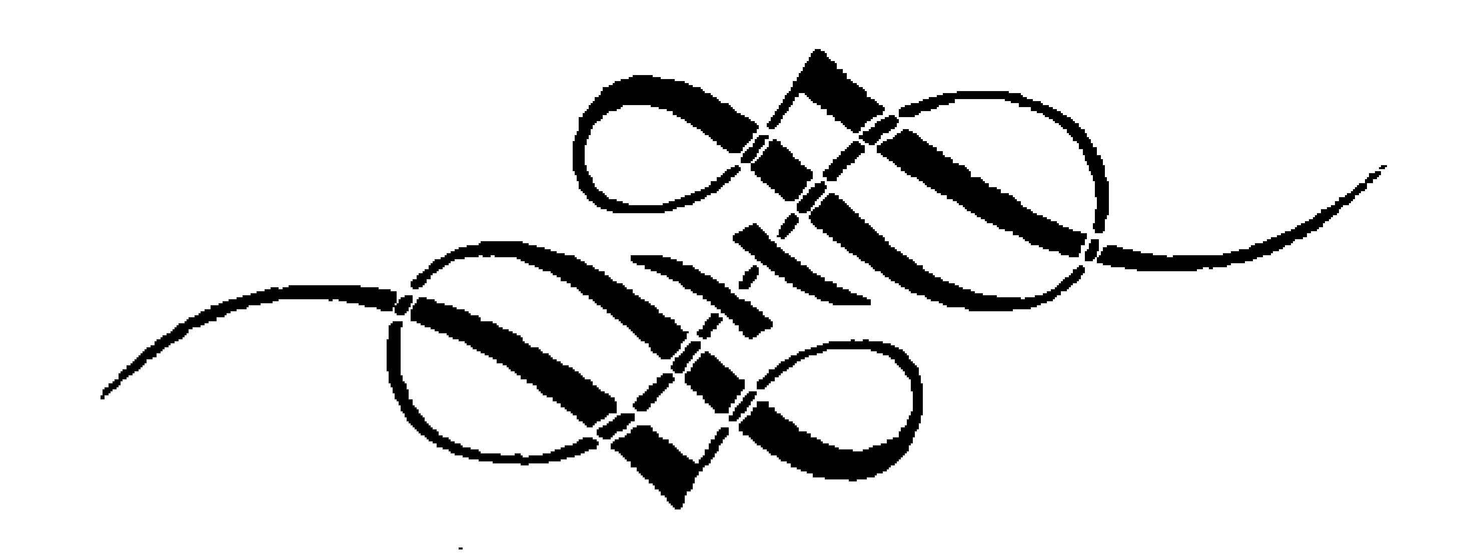
لما قطعت أصابع الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف الزعيفريني، صار يكتب بشماله، فقال:

لقد عشت دهرًا في الكتابة مفردًا ⁂ أصور منها أحرفًا تشبه الدرا
وقد عاد خطي اليوم أضعف ما ترى ⁂ وهذا الذي يسر الله لليسرى

فأجابه قاضي القضاة صدر الدين علي بن الآدمي الحنفي:

لئن فقدت يمناك حسن كتابة ⁂ فلا تحتمل همًا ولا تعتقد عسرا
وأبشر ببشر دائم ومسرة ⁂ فقد يسر الله العظيم لك اليسرى

وهذا من باب التفاؤل، وبدائع الكنايات.



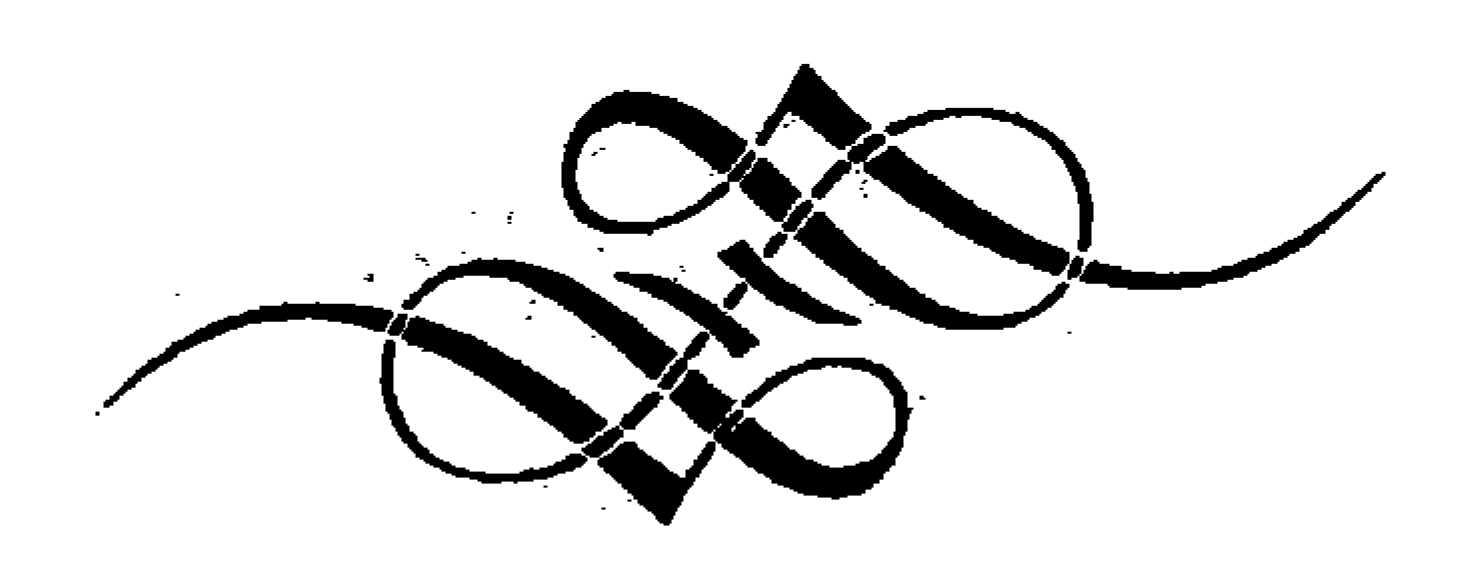
(*) «النجوم الزاهرة» (١٤/ ٣١٢).

٩١ ـ ألف دينار لماذا؟[*]

كنا عند هشام بن عبد الملك فقدم عليه خطباء أهل الحجاز من قريش وغيرها، قال: حتى قام ابن أبي جهم بن حذيفة العدوي من قريش وكان أعظم القوم قدرًا وأكبرهم سنًا فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن خطباء قريش قد قالت فيك فاختلفت وأثنت فأطنبت فوالله ما بلغ قائلهم قدرك ولا أحصى مطنبهم فضلك، أفأطيل أم أُوجز؟، قال: بل أوجز، قال: تولاك الله بالحسنى وزينك بالتقوى وجمع لك خير الآخرة والأولى، إن لي حوائج، أفأذكرها؟ قال: اذكرها، قال: كبرت سني ورق عظمي ونال الدهر مني فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري وأن ينفي فقري فعل، قال: وما الذي يجبر كسرك وينفي فقرك؟، قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار، قال: هيهات يا ابن أبي جهم! رُمت مرامًا صعبًا، بيت المال لا يحتمل ما سألت، ثم أطرق هشام طويلاً ثم قال: هيه، قال: ما هيه! والله لكأنك آليت لا تقضي لي حاجة في موقفي هذا، أما والله، إن الأمر لواحد، ولكن الله آثرك بمجلسك هذا فإن تُعط فحقًا أديت وإن تمنع فإني أسأل الذي بيده ما حويت، إن الله جعل العطاء محبة والمنع مبغضة والله لأن أحبك أحب إليَّ من أن أبغضك، قال: وألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها دينًا قد أحمَّ قضاؤه وقد فدحني حمله وأضربي أهله، قال هشام: فلا

(*) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (رقم: ٤٣٤).

بأس، تُنفس كُربة مع أداء أمانة، وألف دينار لماذا؟ قال: أُزوجُ بها من بلغ من ولدي، قال: نعم المسلك سلكت، أغضضت بصراً وأعففت فرجًا ورجوت نسلاً، وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضًا يعيش فيها ولدي وتكون أصلاً لمن بعدي، قال: فإنا قد أمرنا لك بما سألت، قال: فالمحمود على ذلك الله، قال: ثم أدبر فأتبعه هشام بصره، قال: إذا كان القرشي فليكن مثل هذا، ما رأيت رجلاً أبلغ وأوجم في مقاله ولا أبلغ في ثناء منه، أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل ونكره الإسراف والبخل فما نعطي تبذراً ولا نمنع تقترًا وما نحن إلا خزان الله في بلاده وأمناؤه على عباده فإذا شاء أعطينا وإذا منع أبينا، ولو أن كُلَّ قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلاً ولا رددنا سائلاً فسلوا الذي بيده ما استحفظنا أن نُجريه لكم على أيدينا فإنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه بعباده خبير بصير، قالوا: والله يا أمير المؤمنين، لقد أبلغت وما بلغ في قدر عجبك به ما كان منك في الرد عليه وذِكر نعمة الله عليه، قال: إنه المبتدي وليس المبتدي كالمقتدي.



٩٢ ـ أيما أحب إليك؟ (*)

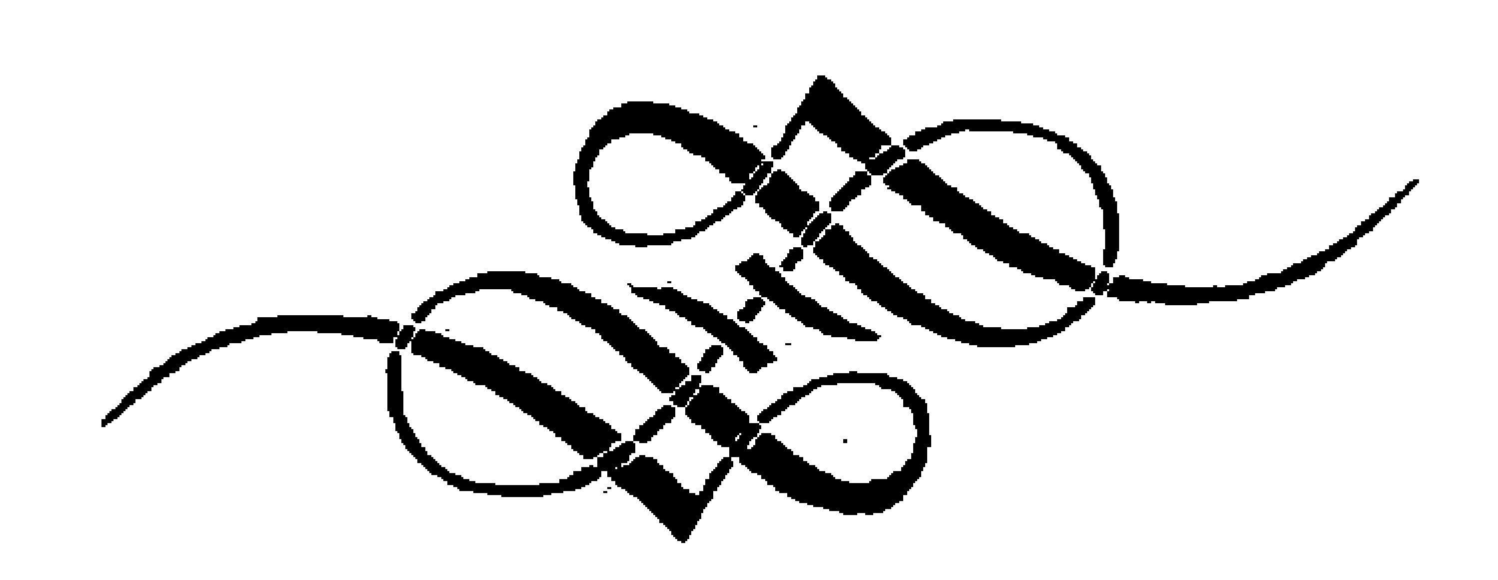
حكى مصعب الزبيري عن أبيه قال: دخل مروان بن أبي حفصة شاعر وقته على الهادي فأنشد قصيدة فيها:

تشابه يوما بأسه ونواله ٭ فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي: أيما أحب إليك، ثلاثون ألفًا معجلة أو مائة ألف درهم تُدون في الدواوين؟

قال: تُعجل الثلاثون، وتدون المائة ألف.

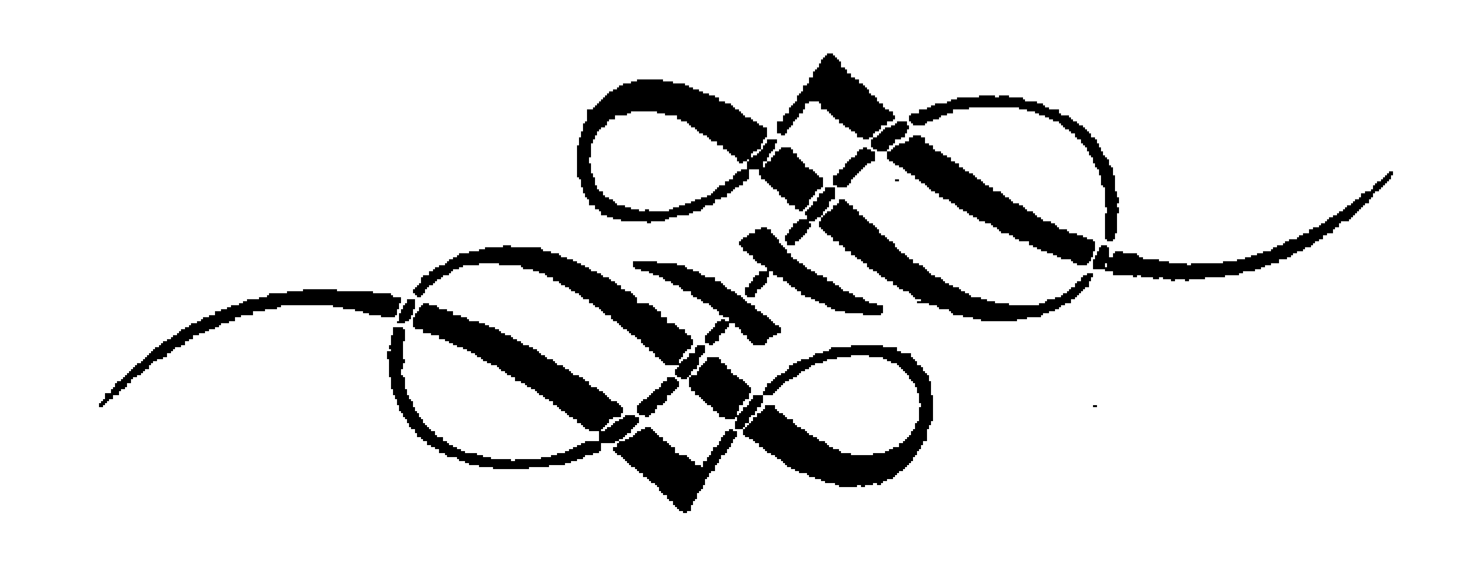
قال: بل تعجلان لك.



(*) «النجوم الزاهرة» (٢/ ٨٢).

٩٣ـ أتدري من أنا؟(*)

خرج المهدي يتصيد، فغار به فرسه حتى وقع في خباء أعرابي، فقال: يا أعرابي هل من قرى، فأخرج له قرص شعير، فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، فلما شرب قال: أتدري من أنا؟ قال: لا، قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة، قال: بارك الله لك في موضعك، ثم سقاه مرة أخرى، فشرب فقال: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة، قال: لا، أنا من قواد أمير المؤمنين، قال: رحبت بلادك وطاب مرادك، ثم سقاه الثالثة، فلما فرغ قال: يا أعرابي أتدري من أنا؟، قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين، قال: لا، ولكني أمير المؤمنين، قال: فأخذ الأعرابي الركوة، فوكأها وقال: إليك عني، فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله، فضحك المهدي حتى غشي عليه، ثم أحاطت به الخيل، ونزلت إليه الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك، ولا خوف، ثم أمر له بكسوة ومال جزيل.



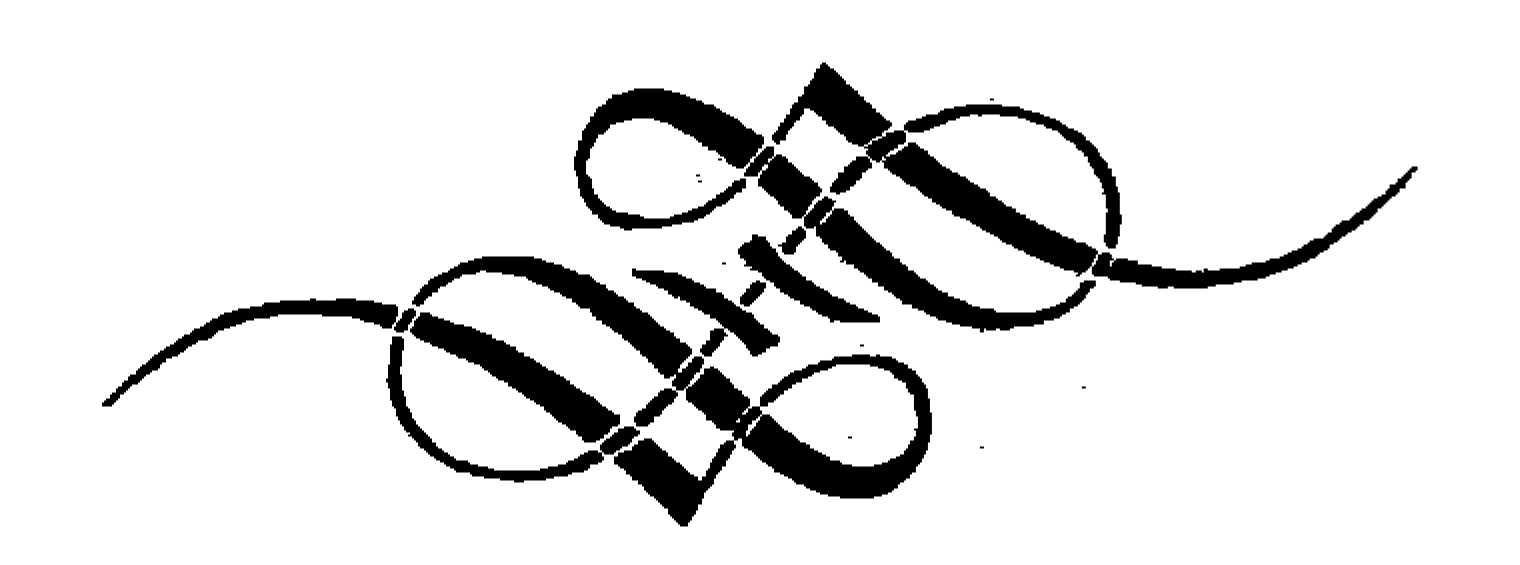
(*) «المستطرف في كل فن مستظرف» (٢/ ٥٣١).

٩٤ - خشيت جمالك وزينتك (*)

يروى أن سليمان قال لها: لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم، أخفت عليها مني ظلمًا؟

قالت: لا، ولكني خشيت أن يفتنوا بما يرون مِنْ جمالك وزينتك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله تعالى.

فائدة: قال بعضهم: إنها تكلمت بعشرة أنواع من البديع: قولها «يا» نادت، «أيها» نبهت، «النمل» سمت، «ادخلوا» أمرت، «مساكنكم» نعتت، «لا يحطمنكم» حذرت، «سليمان» خصت، «وجنوده» عمت، «وهم» أشارت، «لا يشعرون» اعتذرت.



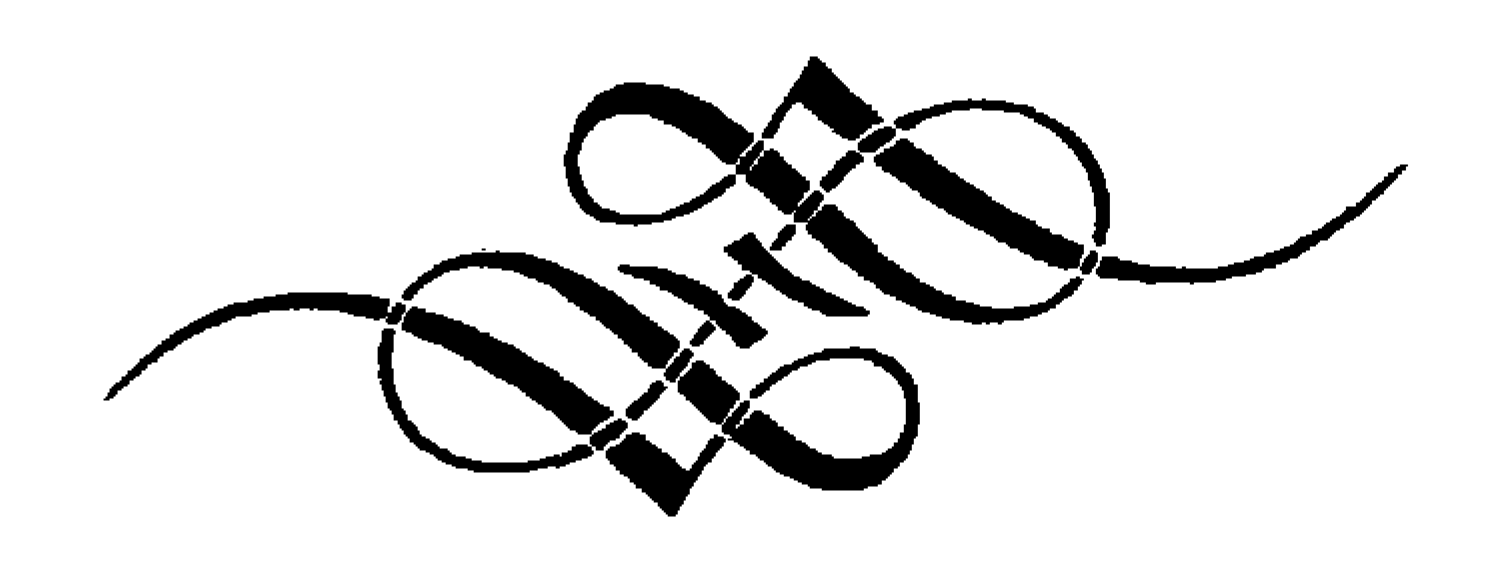
(*) «حياة الحيوان الكبرى» (٨/ ١٢٩٤).

٩٥ـ لا تأسفي عليه(*)

قيل إن المأمون دخل على زبيدة بعد قتل ابنها الأمين يعتذر إليها ويعزيها فيه ويسكن ما بها من الحزن، فقال لها: يا ستاه، لا تأسفي عليه فإنِّي عوضه لك، فقالت: يا أمير المؤمنين، كيف لا آسف على ولد خلَّف أخًا مثلك! ثم بكت وأبكت المأمون حتى غُشي عليه.

قال ابن تغري بردي: ولم يكن قتل الأمين بإرادة أخيه المأمون وإنما اقتحمه طاهر بن الحسين وقتله من غير إذن المأمون.

هكذا تكون المواساة للقلوب الكسيرة، ولله درها في ردها هذا، الذي جعل هذا الأمير الحازم يبكي بين يديها.



(*) «النجوم الزاهرة» (٢/ ٢٦١).

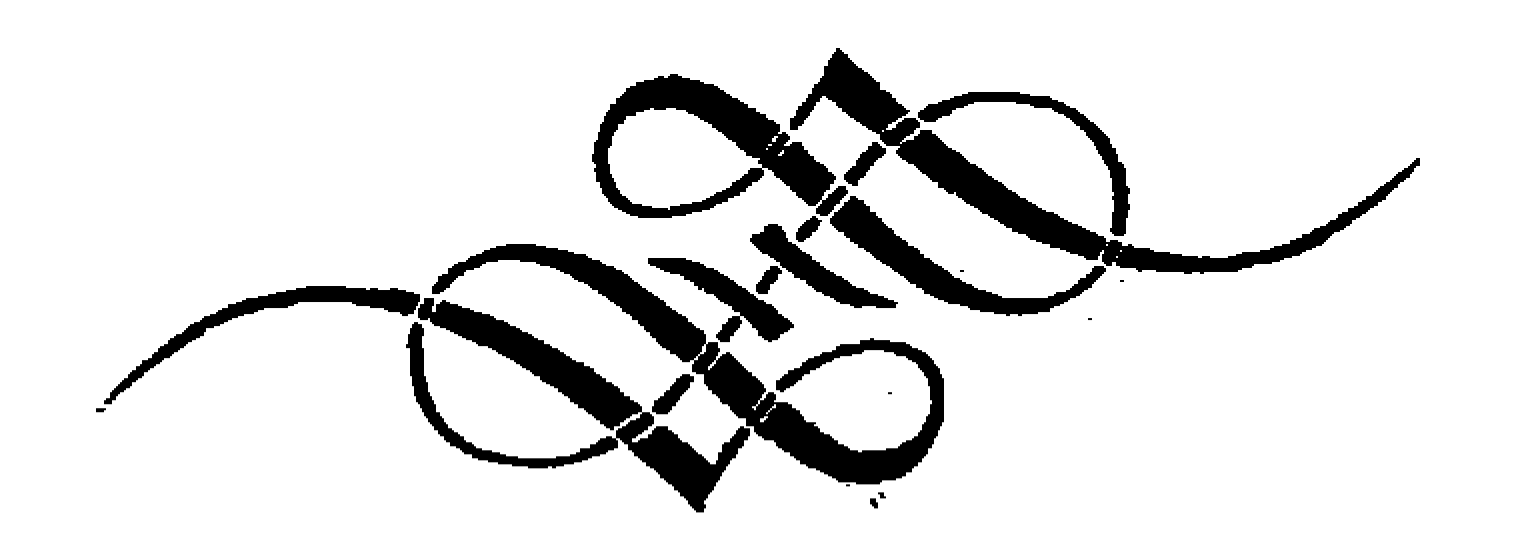
٩٦ - أهنا أبو عمران؟ (*)

من طرائف المستأذنين: ما رواه الخطيب في جامعه بسنده عن مغيرة قال: جاء رجل إلى إبراهيم النخعي فقال: أههنا أبا عمران؟ وإبراهيم يسمع.

ثم قال: أهنا أبي عمران؟

قال - يقول له إبراهيم -: قل الثالثة، وادخل.

يعني أنه نصب «أبا» بالألف في الأولى، ثم جرها بالياء في الثانية، وكلاهما لحن، ولم يبق إلا احتمال رفعها بالواو، وهو الصواب.



(*) «الجامع لأخلاق الراوي، وآداب السامع» (١/ ١٦٨).

٩٧ ـ ما لنا نكره الموت؟(*)

روي أن سليمـان بن عبد الملك قدم المدينـة وهو يريد مكة، فأرسل إلى أبي حازم، فلما دخل عليه، قال له سليمان: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟

فـقال: لأنكم خـربتم آخرتكم، وعـمرتم دنيـاكم، فكرهتم أن تنتـقلوا من العمران إلى الخراب.

فقال: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟

قال: يا أميـر المؤمنين، أما المحسن فكالغائب يقـدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم عليه مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شعري مالي عند الله؟

قال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (سورة الإنفطار: ١٣-١٤).

قال سليمان: فأين رحمة الله؟

قال: قريب من المحسنين.

ثم قال سليمان: يا أبا حازم، أي عباد الله أكرم؟

قال: أهل البر والتقوى.

قال: فأي الأعمال أفضل؟

قال: أداء الفرائض واجتناب المحارم.

(*) «إحياء علوم الدين» الغزالي (٢/ ٩٠٥)، «مختصر منهاج القاصدين» (ص: ١٢٦).

قال: فأي الكلام اسمع؟

قال: قول الحق عند من تخاف وترجو.

قال: فأي المؤمنين أكيس؟

قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها.

قال: فأي المؤمنين أخسر؟

قال: رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره.

قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟

قال: أو تعفيني؟

قال: لابد منها، فإنها نصيحة تلقيها إليَّ.

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين، إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة، من غير مشورة من المسلمين، ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقد ارتحلوا، فلو شعرت بما قالوا وما قيل فيهم.

فقال له رجل من جلسائه: بئسما قلت.

قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه.

قال سليمان: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟

قال: أن تأخذه من حله فتضعه في حقه.

فقال سليمان: ومن يقدر على ذلك؟

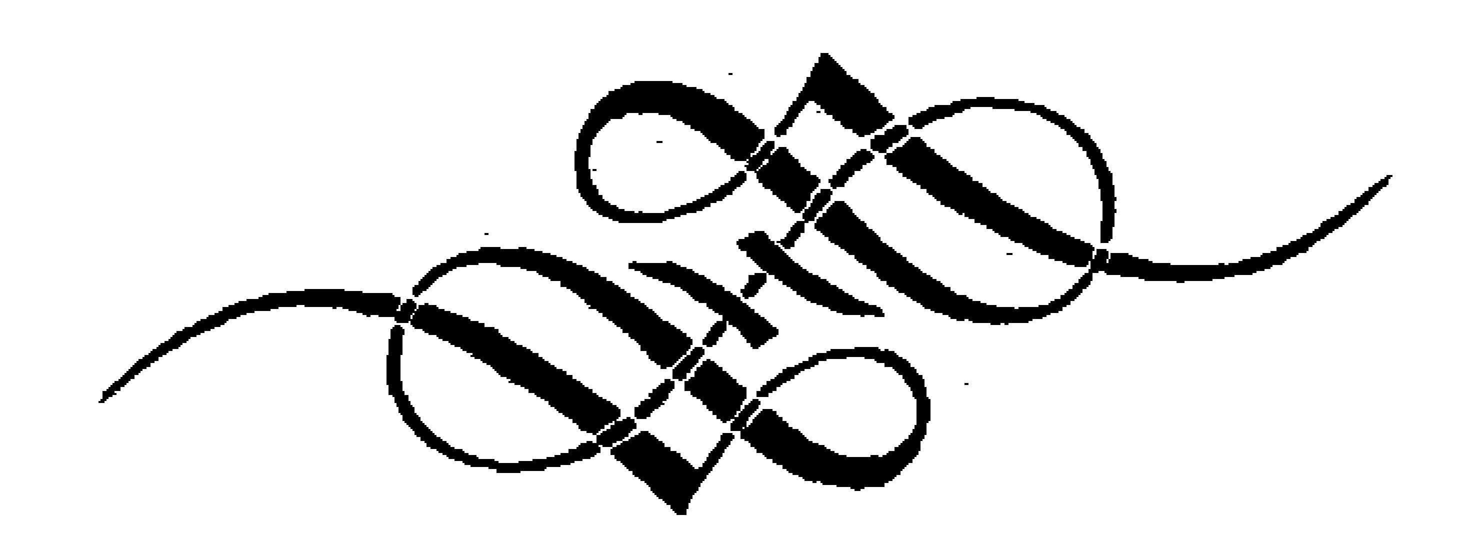
فقال: من يطلب الجنة ويخاف النار.

فقال سليمان: ادع لي.

فقال أبو حازم: اللهم إن كـان سليمان وليك فيسره لخـيري الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

فقال سليمان: أوصني.

فقال: أوصـيك وأوجز؛ عظم ربك، ونزهه أن يراك حيث نهـاك أو يفقدك حيث أمرك.



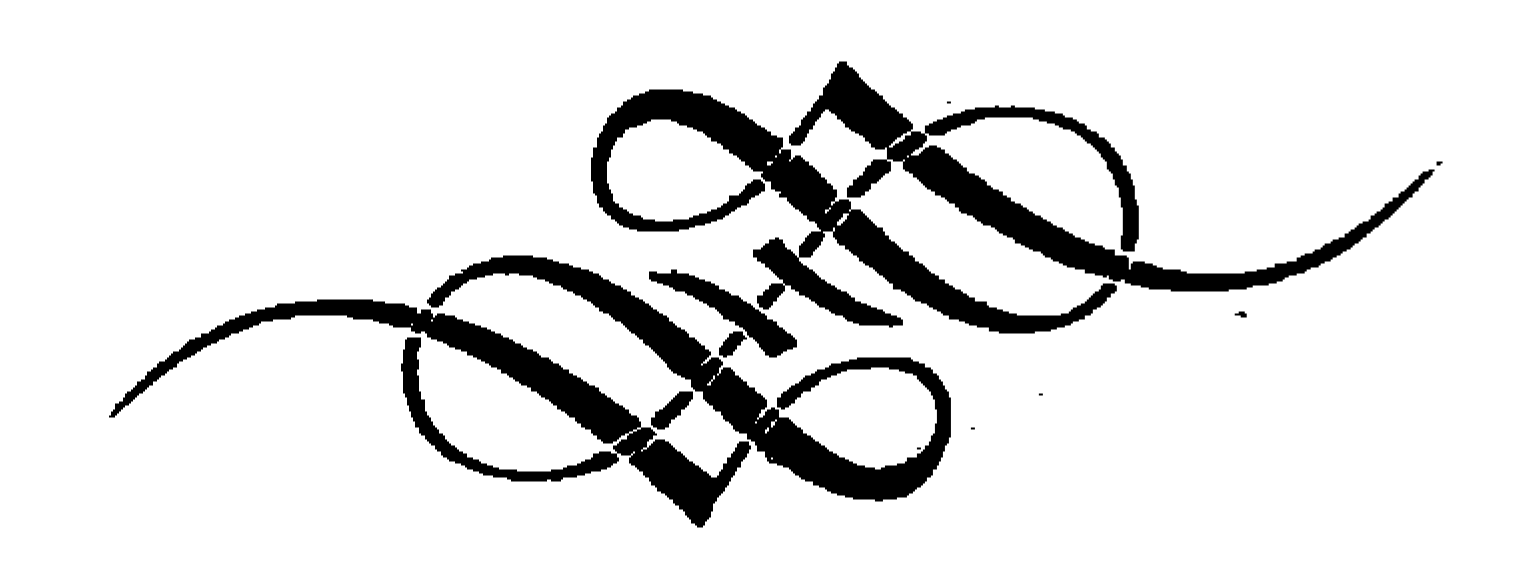
٩٨ ـ المقادير تصير العي خطيبًا(*)

وصف عند الحجاج رجل بالجهل، وكانت له إليه حاجة، فقال في نفسه لأختبرنه، ثم قال له حين دخل عليه: أعصاميًا أنت أم عظاميًا؟

يريد: أشرفت أنت بنفسك، أم تفتخر بآبائك الذين صاروا عظامًا؟

فقال الرجل: أنا عصامي وعظامي.

فقال الحجاج: هذا أفضل الناس، وقضى حاجته، وزاده، ومكث عنده، ثم فاتشه، فوجده أهل الناس، فقال له: تصدقني، وإلا قتلتك، قال له: قل ما بدا لك واصدقك، قال: كيف أجبتني بما أجبت لما سألتك قال له: والله لم أعلم أعصامي خيرًا أم عظامي، فخشيت أن أقول أحدهما، فأخطيء فقلت: أقول كليهما، فإن ضرني أحدهما، نفعني الآخر، وكان الحجاج ظن أنه أراد افتخر بنفسي لفضلي، وبآبائي لشرفهم، فقال الحجاج عند ذلك: المقادير تُصير العي خطيًا، فذهبت مثلاً.

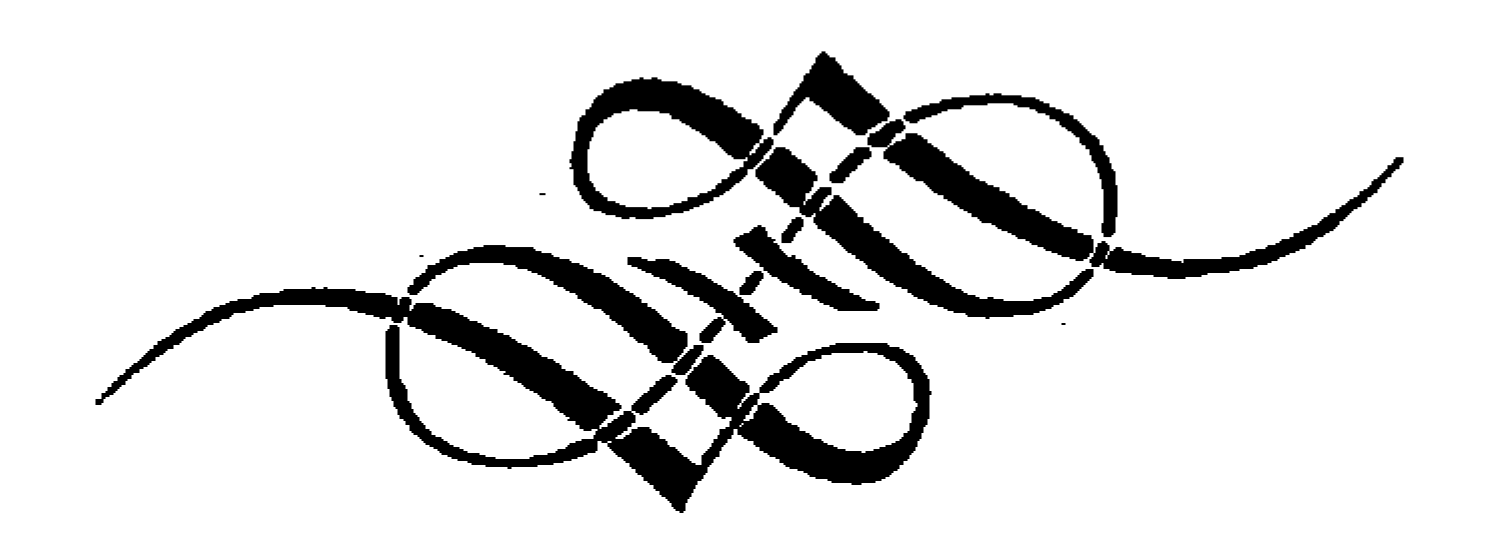


(*) «مجمع الأمثال» (٣/ ٣٦٩).

٩٩ ـ الأمير منعني من الفتيا![*]

بعث الوالي إلى أبي حنيفة يمنعه من الفتيا، فيقال إنه كان يومًا في بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت له ابنته: إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق؟ فقال لها: سلي أخاك حمادًا فإن الأمير منعني من الفتيا.

قال ابن خلكان: هذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتثال إشارة رب الأمر، فإن إجابته طاعة، حتى إنه أطاعه في السر، ولم يرد على ابنته جوابًا، وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر.



(*) «وفيات الأعيان» (٤/ ١٨٠).

١٠٠ ـ أفعلتها؟(*)

روي أن عبد الرحمن بن رواحة ﷺ أصاب جارية له فعلمت امرأته، فأخذت شفرة، ثم أتت فوافقته قد قام عنها، فقالت: أفعلتها؟

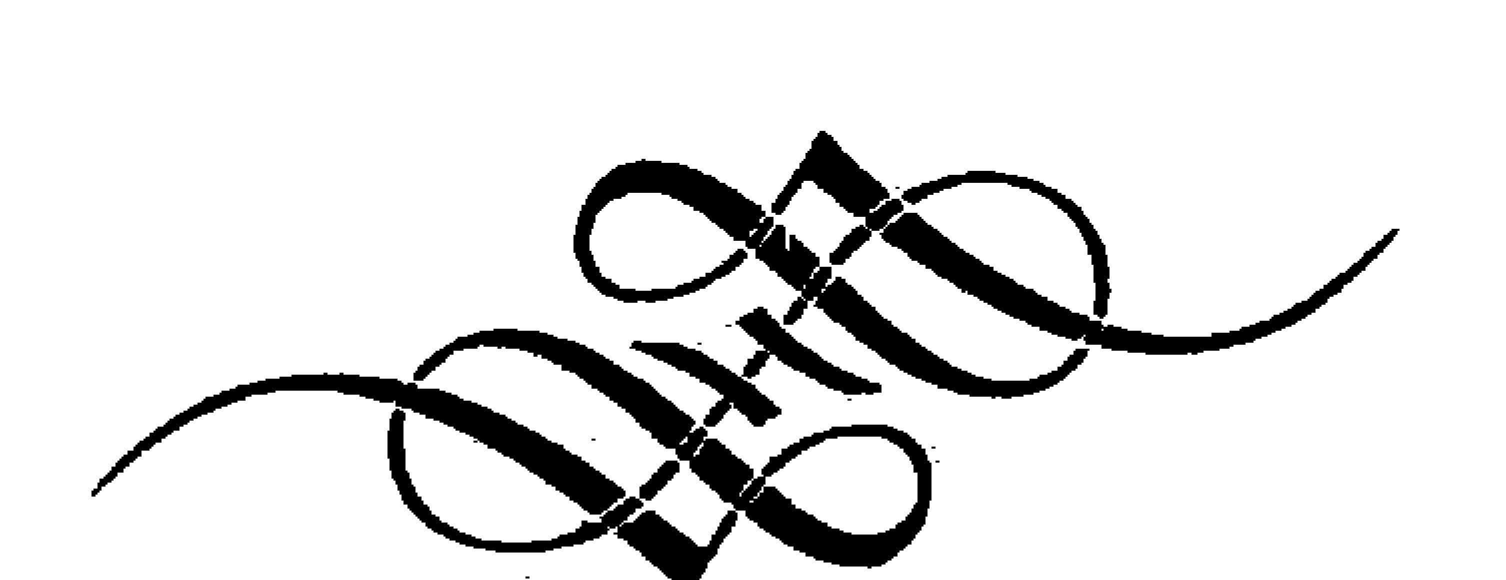
فقال: ما فعلت شيئًا، قالت: لتقرأن القرآن أو لأبعجنك بها، فقال ﷺ:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا ٭ انشق معروف من الفجر ساطع

يبيت يُجافي جنبه عن فراشه ٭ إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أرانا الهدى بعد العمي فقلوبنا ٭ له موقنات أن ما قال واقع

قالت: آمنت بالله وكذبت بصري.



(*) «مختصر منهاج القاصدين» (ص: ١٦٥).

١٠١ ـ ردود سريعة(*)

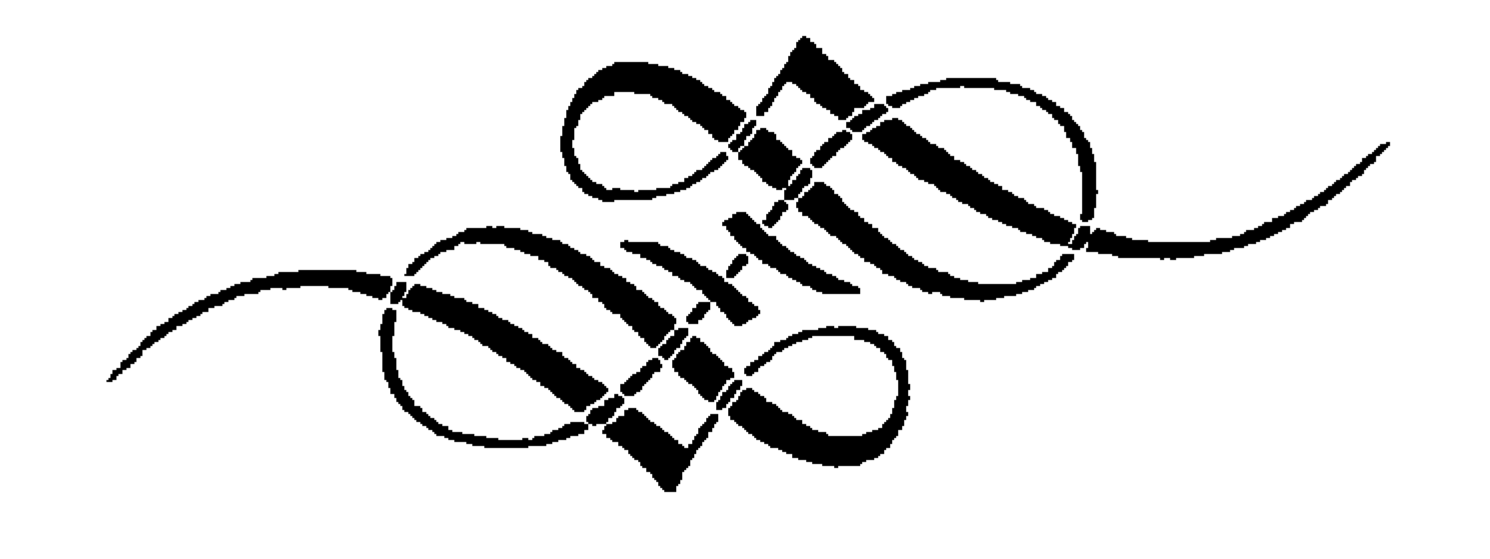
■ منها: أن شريكًا دخل على المهدي، فقال للخادم: هات عودًا للقاضي ـ يعني البخور ـ فجاء الخادم بعود يضرب به، ـ آلة موسيقية ـ فوضعه في حجر شريك. فقال: ما هذا؟، فبادر المهدي، وقال: هذا عود أخذه صاحب العسس ـ يعني الشرطة ـ البارحة، فأحببت أن يكون كسره على يديك فدعا له وكسره.

■ وسئل العباس: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟

فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

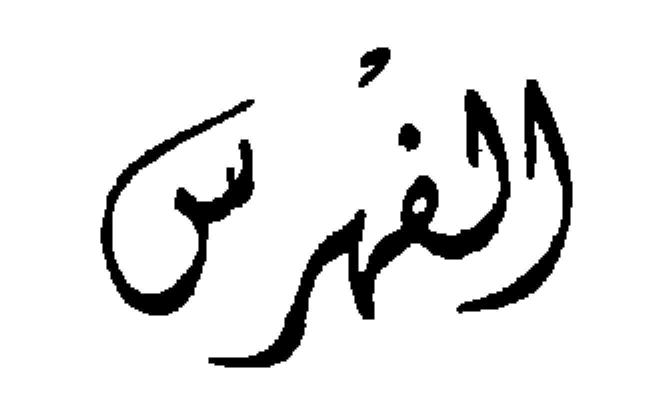
■ وحُكي أن الرشيد هارون ـ رحمه الله ـ لما حضر بين يديه بعض أهل المغرب قال الرشيد: يقال إن الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب، فقال الرجل: صدقوا يا أمير المؤمنين، وإنه طاووس، فضحك أمير المؤمنين الرشيد، وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره.

■ وقال ملك لوزيره: ما خير ما يرزقه العبد؟، قال: عقل يعيش به، قال: فإن عدمه، قال: أدب يتحلى به، قال: فإن عدمه؟، قال: مال يستره، قال: فإن عدمه؟ قال: فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد.



(*) «نفح الطيب» (١/ ٣٥)، «الطرق الحكمية» (ص: ٤٠)، «المستطرف» (ص: ٦٧).

الفهرس





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

مئة قصة وقصة في غرائب وطرائف الحيوانات

أعدها

أبو عبيدة

إبراهيم بن محمود عبد الراضي





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

مئة قصة وقصة

في

أنيس الصالحين وسمير المتقين

جمع وترتيب

محمد أمين الجندي

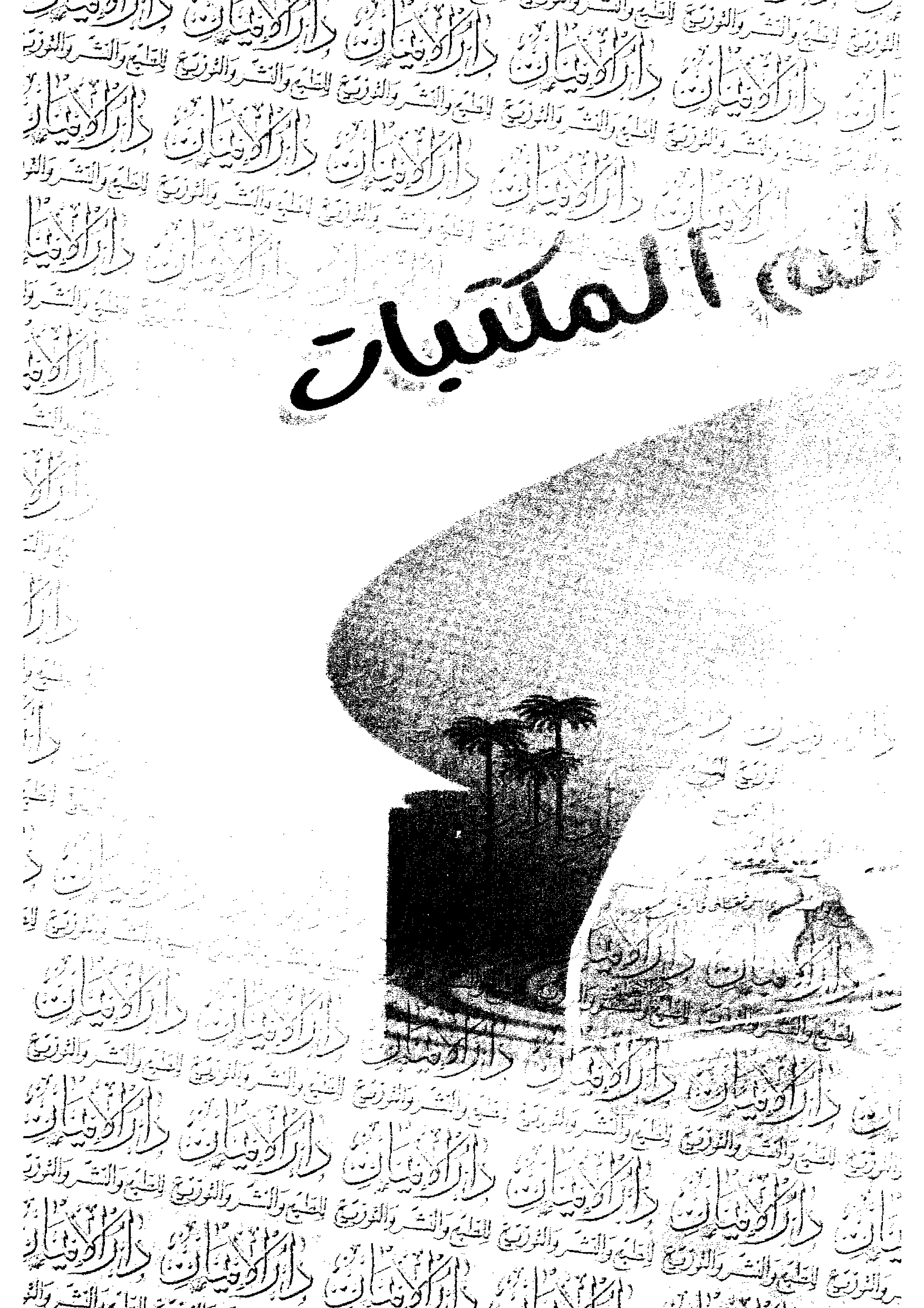
دار الإيمان

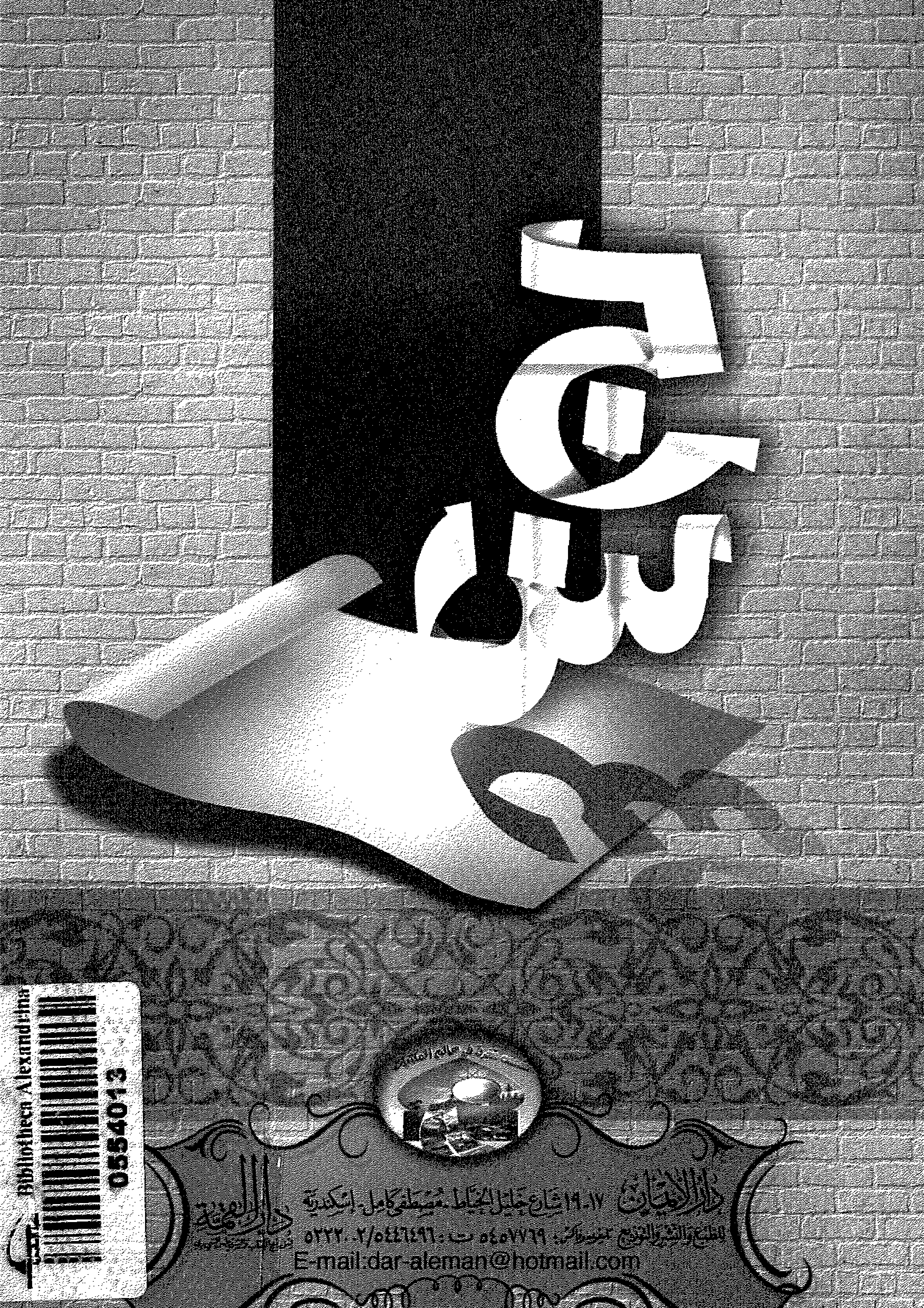
للطبع والنشر والتوزيع

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي


شمس


المكتبات
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع


دار الإيمان ١٧-١٩ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع المكتب: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٢/٥٤٤٦٤٩٦ - ٠٥٢٣٢
E-mail:dar-aleman@hotmail.com
دار القمة
Bibliotheca Alexandrina
0554013